دراسات في
تاريخ الخليج العربي الحديث

الجزء الثاني

مكتبة الرائد العلمية
عمان - الأردن

دار الجيل
بيروت

الإهداء

إلى ذكرى والدتي زينب جابر

«انتقلت إلى رحمته تعالى يوم الأحد
٢٢ ذي القعدة ١٣٨٨هـ الموافق ٩ شباط/فبراير ١٩٦٩م»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

نعمت منطقة الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي في العقد الأول من القرن السادس عشر بالرخاء الاقتصادي، فازدهرت موانئ البصرة وسيراف والبحرين والقطيف ومسقط وقلهات وقيس وهرمز في حقب زمنية متفاوتة وقامت بدور نشط مهم وفعّال في النشاط التجاري والتبادل الثقافي والتفاعل الحضاري مع موانئ المحيط الهندي، طالما بقيت الملاحة العربية آمنة في المياه الشرقية. فقد كانت هرمز عاصمة لمملكة واسعة ضمت في النصف الأول من القرن الرابع عشر معظم السواحل الشرقية والغربية للخليج العربي، وسيطرت على التجارة بين موانئ الساحل الغربي للهند وموانئ الخليج العربي والبحر الأحمر والساحل الشرقي لافريقية.

ولكن مع وصول البرتغاليين إلى موانئ صور وقريات وخورفكان ومسقط وصحار وهرمز في العقد الأول من القرن السادس عشر، فقد العرب مصدر ثروتهم ورخائهم الذي نعموا به من قبل لاشرافهم على التجارة الشرقية مع أوربا عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، بعد أن احتكر البرتغاليون تجارة التوابل واحتلوا مناطق انتاجها في جزر الهند الشرقية وسيطروا على موانئ التجارة الرئيسية في الشرق وقاموا بتحويل طرق التجارة التقليدية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وجردوا العرب من دور الناقل الرئيسي والوسيط التجاري بين الشرق والغرب، واستنزفوا مواردهم الاقتصادية واستخدموا ضدهم مختلف الأساليب الوحشية واستهدفوا استئصالهم من الموانئ الشرقية

للقضاء على نشاطهم الاقتصادي فيها. وقد أدى ذلك كله إلى تدهور التجارة العربية وزال الرخاء الاقتصادي الذي نعمت به موانئ الخليج العربي لقرون خلت.

وعلى الرغم من الضربة القوية التي الحقها البرتغاليون بالاقتصاد العربي فقد أخفقوا في حصر العرب في بحارهم الداخلية وفي قفل منافذها تماماً لوقف نشاطهم التجاري في المحيط الهندي. كما فشل البرتغاليون في احتلال عدن وفي إقامة قواعد بحرية دائمة في البحر الأحمر، وعجزوا عن مد نفوذهم إلى المناطق العربية الداخلية على الرغم من قوتهم البحرية المتفوقة التي مكّنتهم من احتلال هرمز ومالقا وفرض سيطرتهم على سوقطرة وجزر الهند الشرقية وموانئ الساحل العربي للهند والساحل الشرقي لافريقية، حيث ظلت السفن العربية الخفيفة تشق طريقها بصعوبة الى الموانئ الهندية، مما أدى الى استمرار التجارة الشرقية في أسواق البصرة وبغداد وحلب وغيرها من المدن العربية ولا سيما بعد قيام الدولة العثمانية بجهود مضنية في منتصف القرن السادس عشر لتأمين تدفق البضائع الشرقية عبر الخليج العربي في وقت لم يكن فيه الحكم الصفوي المباشر قد امتد بعد الى منطقة الخليج العربي على نحو مؤثر لانشغال الصفويين في حروب مريرة ضد الدولة العثمانية رافقت دولتهم منذ تأسيسها واستمرت حتى انهيارها أمام الغزو الأفغاني (١٧٢٢ - ١٧٢٩ م) باستثناء بعض الفترات التي تخللتها معاهدات الصلح بين الجانبين.

واهتم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩ م) بمنطقة الخليج العربي في مطلع القرن السابع عشر فطرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ م واستعان بالانكليز لطردهم من هرمز؛ ونجحت القوات الصفوية - الانكليزية المشتركة في الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢ م، ورغبة من الشاه عباس الأول في حرمان الدولة العثمانية من الرسوم التي كانت تتقاضاها لقاء مرور الحرير الفارسي عبر أراضيها، أمر بتحويل تجارة الحرير الى ميناء جمبرون - بندر عباس - على ساحل الخليج العربي لتنقله السفن الأوروبية الى مصانع الحرير في بلادها. ولكن الشاه عباس لم يحقق سوى نجاح جزئي لأن تجارة

الحرير الفارسي ظلت تجد طريقها الى الموانئ العثمانية على البحر المتوسط، كذلك فشل مشروع نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧) لبناء اسطول فارسي في الخليج العربي.

وقامت دولة اليعاربة في عمان (١٦٢٤ ـ ١٧٥٣) بدور مهم ورئيسي في القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، وأخذت زمام المبادرة لتحرير الساحل العربي للخليج والساحل الشرقي لافريقية من الاحتلال البرتغالي، وتصدت بنجاح لمحاولات القوى الأوربية الأخرى للسيطرة على موانئ الخليج العربي ورفضت تمكينها من اقامة قواعد عسكرية لها خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر بعد التجربة المريرة للسيطرة البرتغالية عليها. وبعد أن أصبحت عمان ـ في عهد اليعاربة ـ دولة بحرية قوية ذات حكومة مركزية تمكنت من فرض نفوذها على معظم سواحل الخليج العربي والساحل الشرقي لافريقية، واتخذت من مسقط مركزاً تجارياً وقاعدة حربية انطلقت منها الأساطيل التجارية والحربية التي ساهمت في نقل البضائع العربية والهندية والافريقية، وفي الدفاع عن السواحل العربية ضد السيطرة الأوربية.

وشهد الخليج العربي بعد تحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي تنقلات واسعة للقبائل العربية في منطقة شرقي الجزيرة العربية كآل صباح والجلاهمة وآل خليفة والقواسم وبني ياس ودخلت القبائل العربية في تحالفات فيما بينها ووطدت نفوذها حول الموانئ التي استقرت فيها واستأنفت نشاطها التجاري على نطاق واسع مع الموانئ الهندية كما عاودت نشاطها السابق في الغوص والملاحة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

ولا بد من الإشارة الى أن هذه الدراسة تضم جميع القوى المحلية في الخليج العربي ـ العثمانيون والصفويون واليعاربة وآل افراسياب ومملكة هرمز ـ لأن القوى الأوربية التي هددت اقتصاد ورخاء المنطقة وأمنها واستقرارها في الماضي لم تستهدف قوة محلية دون أخرى بل كان غرضها فرض السيطرة عليها جميعاً وخنقها اقتصادياً بالتحكم في مضائقها وممراتها البحرية.

وتعتمد هذه الدراسة أساساً على وثائق سجلات الهند ومكتب

السجلات العامة في لندن وعلى عدد كبير من الدراسات المتخصصة المنشورة في الدوريات العلمية. ويسر الباحث أن يتوجه بالشكر للاساتذة المتخصصين في دراسات الخليج العربي وللعاملين في جامعات ومكتبات ودور الوثائق في لندن وواشنطن وميشغان ولوس انجلوس وشيكاغو وتوسان - أريزونا للمساعدات العلمية والتسهيلات المكتبية التي وفرت بعض الجهد والوقت. والله ولي التوفيق.»

عبد العزيز عوض

الفصل الأول

العثمانيون

وصل العثمانيون في القرن السادس عشر الى ميادين الصراع العربي - البرتغالي في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي. والى ميادين الصراع العربي - الاسباني في البحر الأبيض المتوسط، وتمكنت القوة البحرية العثمانية من الدفاع عن المشرق والمغرب العربي ضد القوى البرتغالية والاسبانية التي نقلت الحرب الاقتصادية والدينية من الأندلس الى البلاد العربية، وبذلك ظهرت الدولة العثمانية كمنقذ لها من الاسبان والبرتغاليين ونجحت نسبياً في تخفيف الضغط البرتغالي عن التجارة العربية في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، وأفشلت المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة برتغالية - حبشية ضد القوى العربية والاسلامية في البحر الأحمر وشرق أفريقية.

وهكذا ظهرت في النصف الأول من القرن السادس عشر قوتان بحريتان في الخليج العربي: القوة البحرية البرتغالية التي وصلت الى الساحل الغربي من الهند ووطدت نفوذها في أماكن استراتيجية مختلفة في المحيط الهندي للسيطرة على التجارة الشرقية واحتكارها[1]، والقوة البحرية العثمانية التي امتدت الى البحر الأحمر ثم الى الخليج العربي بعد استيلاء الدولة العثمانية على مصر في عام ١٥١٧ وسيطرتها على بغداد في عام ١٥٣٤ وعلى البصرة في عام

---

(١) صالح اوزبران: الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١. ترجمة عبد الجبار ناجي.
(بغداد،؟) . ص ٤٢، ٥٥

١٥٤٦. وبذلك أصبحت الدولة العثمانية على اتصال مباشر بالخليج العربي ووقفت ضد التوسع البرتغالي في جهات الخليج العربي.

وكان السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) قد أنشأ ترسانة بحرية في السويس وجعلها قاعدة للعمليات الحربية العثمانية ضد البرتغاليين لحماية البحر الأحمر والخليج العربي من النشاط البرتغالي وعهد بتنظيمها الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا. وعندما ولى السلطان سليمان القانوني الحكم في عام ١٥٢٠ أرسل قطعاً بحرية لبسط النفوذ العثماني على اليمن في عام ١٥٢٥ بقيادة سليمان رئيس[1] القبطان المملوكي الذي دخل في خدمة العثمانيين وقد أكد سليمان رئيس في تقرير رفعه الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا أهمية التجارة الشرقية في المحيط الهندي، وعندما علم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) بأمر الحملات البرتغالية على البحر الأحمر والخليج العربي وباستيلاء البرتغاليين على بعض جهات الهند وعجز أهلها عن صدهم والدفاع عن أنفسهم وبعد استغاثة السلطان محمود صاحب كجرات به، أمر السلطان سليمان القانوني بتجهيز أسطول كبير في السويس بقيادة سليمان باشا الخادم[2] ومنحه صلاحيات واسعة للثأر من البرتغاليين ووضع حد لتجاوزاتهم في الهند واصلاح الموانئ العربية ورفع الحصار البرتغالي عن البحر الأحمر وقفل مضيق المندب في وجه السفن البرتغالية.

ونفّذ سليمان باشا الخادم تعليمات السلطان سليمان القانوني، فبنى في

---

(١) الشاطر بصيلي عبد الجليل: الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق افريقية والبحر الأحمر (المجلة التاريخية المصرية." المجلد الثاني عشر. ١٩٦٤ - ١٩٦٥. ص ١٢٩ - ١٤٠) ص ١٣٤

(٢) وصف قطب الدين النهروالي سليمان باشا الخادم بأنه اشتهر بفتكه وحبه لسفك الدماء وبضعف عقله وخوفه. انظر قطب الدين بن أحمد النهروالي المكي (٩١٧هـ - ٩٩٠هـ): البرق اليماني في الفتح العثماني. (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في اخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين) أشرف على طبعه حمد الجاسر. (الرياض، ١٩٦٧) ص ٧٠ - ٧١.

السويس مئة سفينة متنوعة الحجم[1]ثم شحنها بالسلاح والرجال واستعد لقتال البرتغاليين فتوجه من السويس قاصداً جدة في أيار ١٥٣٨ ثم الى عدن فبلغها في تموز ١٥٣٨ حيث فتك بحاكمها عامر بن داود بقية بني طاهر غدراً بصلبه على صاري سفينة القيادة بعد اعتقاله بالحيلة[2] وبذلك قضى سليمان باشا على الأسرة الطاهرية الشافعية في اليمن وعين اياس باشا والياً عثمانياً على اليمن وكلفه باخضاع الامام الزيدي في صنعاء.

واتخذ سليمان باشا من عدن وموانئ اليمن قواعد بحرية لمهاجمة المحطات والمراكز البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي ولكن أخبار غدره وسوء فعله وتعدياته وقسوته في سواحل اليمن وعدن[3] قد سبقته الى موانئ الهند، مما نفر منه حكامها فامتنعوا عن تقديم المساعدة له ضد البرتغاليين في حصن ديو الذي بدأ الهنود بحصاره قبل شهر من وصول الأسطول العثماني. ولعل تبدل موقف صاحب كجرات بعد طلبه المساعدة من السلطان العثماني يعود الى خوفه من سوء فعل سليمان باشا الخادم وغدره وخوفه من السيطرة العثمانية على بلاده. وبعد أن تخلى الهنود عن مساعدة سليمان باشا نجح البرتغاليون في مقاومة الحصار الذي فرضه العثمانيون على ديو رغم أن قوتهم لم تتجاوز ٨٠٠ جندي، و٦ سفن حربية. واضطر سليمان باشا الخادم الى رفع الحصار والعودة الى اليمن ومعه ثمانين أسيراً برتغالياً وأبقى في عدن قوة عثمانية من خمسمئة جندي وخمس سفن حربية[4] ثم عاد الى القاهرة ومنها الى استانبول لتقديم تقريره الى السلطان سليمان القانوني. وعلى الرغم من فشل المحاولة العثمانية

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٨ - ٨٤ وانظر أيضاً عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين. العهد العثماني الأول ١٥٣٤ - ١٦٣٨. (بغداد، ١٩٤٩). ج ٤، ص ٦٥، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) عبد الكريم محمود غرابية: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ - ١٩١٨. الجزء الأول (دمشق، ١٩٦٠) ص ٣٢ - ٣٣.

(٣) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨٩.

(٤) قطب الدين النهروالي: مرجع سبق ذكره، ص ٨٢ - ٨٤.
وانظر عبد الكريم محمود غرابية: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٢ - ٣٣.

الأولى ضد البرتغاليين في المحيط الهندي فقد كانت محاولة جريئة وطموحة لتحدي السيطرة البرتغالية.

ولكن بعد انسحاب الأسطول العثماني من عدن تعاون سكانها مع البرتغاليين وسلموا المدينة اليهم لسوء فعل سليمان باشا الخادم بهم وبحاكمهم عامر بن داود. وقام البرتغاليون بهجوم معاكس فاكتسحوا بأسطولهم البحر الأحمر وأحرقوا سواكن وحاولوا احراق جدة ولكن شريف مكة محمد أبانمي الثاني (١٥٢٤-١٥٨٤) صدهم عنها فمنحه السلطان سليمان القانوني نصف عائدات جمارك جدة مكافأة له[١]. كما اندحر الأسطول البرتغالي في معركة مصوع في عام ١٥٤٠. وكذلك تم بناء أسطول عثماني آخر في ميناء السويس في عام ١٥٤١ وكان بحارته من رعايا البندقية. ورد البرتغاليون على هزيمة مصوع بحملة بحرية جريئة ضد ميناء السويس في عام ١٥٤١ واتصلوا بالحبشة وقدموا لها مساعدات عسكرية في حربها ضد الإمام أحمد قرين الذي قدمت له الدولة العثمانية قوة عسكرية[٢] ولكن القوات البرتغالية والحبشية انتصرت عليه في عام ١٥٤٨.

أما السياسة العثمانية في البحر الأحمر فقد تمثلت بعدم السماح للسفن الأوربية التجارية بالابحار فيه الى الشمال من ميناء جدة، وبذلك منعت الدولة العثمانية ولاة مصر من استقبال السفن الأوربية في السويس أو السماح لركابها بالمرور عبر الأراضي المصرية في طريقهم الى الاسكندرية خوفاً منها على الأماكن المقدسة في الحجاز لا سيما بعد المحالاوت البرتغالية المتكررة[٣] في النصف الأول من القرن السادس عشر للوصول الى السويس وموانئ الحبشة ولكنها حققت نجاحاً ضئيلاً؛ فقد ظل العثمانيون سادة البحر الأحمر ولا سيما

(١) عباس العراوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨٦ - ٨٧

(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٤.

(٣) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East Indian Company's Connection With The Persian Gulf With A summary of Events. 1600 - 1800. p. 7,9

بعد ازدياد سيطرتهم على عدن لادراكهم أهميتها في السيطرة على مدخل البحر الأحمر وفي ارسال الحملات البحرية العثمانية الى موانئ الخليج العربي.

وبأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني أنشأ أزدمير باشا في ٦ تموز ١٥٥٥ ولاية جديدة في الحبشة شملت مصوع وسواكن لتوطيد النفوذ العثماني في البحر الأحمر ضد النشاط البحري البرتغالي[١]. ونجحت الدولة العثمانية في القرن السادس عشر في اغلاق البحر الأحمر الى الشمال من ميناء مخا في اليمن في وجه السفن الأوربية، ولكنها لم تنجح في المحيط الهندي كما نجحت في البحر الأحمر مما أضعف النفوذ العثماني في الخليج العربي، وكذلك كان ضعف القوة البحرية العثمانية في البحر الأحمر منذ أواخر القرن السادس عشر مسؤولاً عن انهيار السيطرة العثمانية على اليمن في عام ١٦٣٥ واستقلال الأئمة الزيدية بتصريف شؤونها ولم يبق للحكم العثماني سوى الحجاز وكان الحكم فيه للأشراف في مكة المكرمة، وفي أواخر القرن السابع عشر قدر شريف مكة أهمية الرسوم الجمركية كمورد مهم له إذا ما أصبحت جدة مركزاً للسفن الأوربية فحصل على موافقة السلطان العثماني الذي حرّم على السفن الأوربية تجاوز ميناء جدة نحو الشمال وسمح بنقل البضائع الأوربية بواسطة السفن العثمانية من جدة الى السويس حرصاً على سلامة الأراضي العثمانية من العدوان الأوربي.

وبعد أن تمكن العثمانيون من فرض الحكم المباشر على البصرة في عام ١٥٤٦ وطرد حاكمها من آل مغامس الذي استعان بالبرتغاليين ووعدهم بمنح أحد حصون البصرة لهم فأرسلوا له عدة سفن هاجمت القطيف ثم توجهت الى البصرة. ولكن الحملة البرتغالية فشلت بفضل الاجراءات التي اتخذها باشا البصرة العثماني. وبعد الاستيلاء العثماني على البصرة أقام العثمانيون قاعدة بحرية فيها للدفاع عن منطقة الخليج العربي ضد السيطرة البرتغالية التي سبقت الحكم العثماني وتمكنت من توطيد مركزها في هرمز والتي كانت المركز

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣، ٥٠ ـ ٥١

الرئيسي لحركة التجارة من الهند واليها[1] والمحور الرئيسي للتجارة البحرية في الخليج العربي.

ويبدو أن العثمانيين حاولوا في بادئ الأمر التفاهم مع السلطات البرتغالية في هرمز لانعاش التجارة في البصرة واعادة تدفق السلع التجارية بين حلب والخليج العربي فأرسل والي البصرة محمد باشا في عام ١٥٤٧ أحد التجار العرب (الحاج فياض) الى الحاكم البرتغالي في هرمز ليعرض عليه رغبة السلطات العثمانية في البصرة في اقامة علاقات تجارية سلمية مع البرتغاليين[2]. وردت السلطات البرتغالية في جاوه بارسال أحد موظفيها لرعاية مصالحها التجارية في البصرة.

وعلى الرغم من ذلك رأى البرتغاليون في استيلاء العثمانيين على البصرة وتأسيس دار لصناعة السفن فيها تهديداً قوياً لهم، ولذلك كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة التحركات العثمانية البحرية والبرية في الخليج العربي[3]، وعلى الرغم من رغبة العثمانيين في تحقيق فوائد عسكرية في الخليج العربي بارسال مساعدات بحرية الى البصرة كلما دعت الحاجة اليها من موانئ البحر الأحمر فانهم لم يتمكنوا من ذلك وفشلوا في انشاء قاعدة بحرية قوية لهم في ميناء البصرة لعدة أسباب، منها مقاومة الفرس لهم واستمرار الحروب بين العثمانيين والصفويين ومقاومة العصبيات المحلية بالاضافة الى مقاومة السلطات البرتغالية في الخليج العربي للتوسع العثماني الذي شمل القطيف وأجزاء أخرى من الاحساء والتي أعلن شيوخها الولاء للسلطان العثماني سليمان القانوني في عام ١٥٣٤.

ورد البرتغاليون في عام ١٥٥٠ على استيلاء العثمانيين على البصرة

---

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534 - 1581. (Journal Of Asian History. pp. 45 - 87. Vol. 6.N°. 1, 1972.) p70.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

(٣) Stripling, George William Frederic. The Ottoman Turks And The Arabs: 1511 - 1574.(Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°. 4. U.S.A. 1942) p.93; Ozbaran. Salih. Op. Cit. p.58.

بحملة قام بها الاسطول البرتغالي وضمت سبع سفن كبيرة ١٢٠٠ برتغالي بقيادة انطاو دي نورونها يساعدهم ٣٠٠٠ من اتباع ملك هرمز بقيادة الرئيس شرف الدين مستشار ملك هرمز ومعهم حوالي ثلاث عشرة سفينة للاستيلاء على القطيف لتنازل سكانها عن حصتها للعثمانيين. وكان سكان القطيف قد تمردوا على حكم ملك هرمز بمساعدة شيخ الحسا وطردوا الحاكم الهرمزي وطلبوا المساعدة من السلطات العثمانية في البصرة[١] فاحتل العثمانيون ميناء القطيف في عام ١٥٥٠ ووضعوا حامية في حصنها، مما أثار فزع السلطات البرتغالية في هرمز فاستجابت لطلب ملك هرمز باستعادة القطيف من العثمانيين[٢]. كما حاولت السلطات البرتغالية الاستفادة من طلب المساعدة الذي تقدمت به قبائل البصرة اليها ضد الحكم العثماني كما هو شأنها من قبل، وتمكن الاسطول البرتغالي والهرمزي من تدمير حصن القطيف بعد استسلام الحامية العثمانية فيه وعددها حوالي ٤٠٠ رجل. ومن القطيف قرر انطاو دي نورونها الزحف على البصرة ولكنه لم يحقق هدفه لتظاهر باشا البصرة باتفاق السكان العرب والدولة العثمانية ضد البرتغاليين ولم يكتشف انطاو دي نورونها الخدعة الا بعد عودته الى هرمز.

وردت الدولة العثمانية على سقوط حصن القطيف في قبضة البرتغاليين وعلى مساعدة الاسطول البرتغالي للمتمردين في منطقة البصرة بارسال حملة بحرية بقيادة بيري رئيس للانتقام منهم، وكان بيري رئيس قد تمكن من استرداد عدن مرة أخرى في عام ١٥٥٠ بعد استيلاء البرتغاليين عليها[٣].

---

(١) Belgrave, C.D. The Protuguese In The Bahrain Islands, 1521 - 1602. (Journal Of The Royal Asian Society. Vol. XXII. Part IV. Oct. 1935. pp. 617 - 630) p.626.

(٢) محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠، ص ٢٣٢ - ٢٥٦) ص ٢٣٧.

(٣) استولى العثمانيون على عدن في عام ١٥٣٨ للمرة الأولى ثم استعادها بيري رئيس مرة أخرى في عام ١٥٥٠ الى أن استردها امام اليمن من العثمانيين في عام ١٦٢٧. وكان السلطان سليمان القانوني قد عين بيري رئيس قائداً للأسطول العثماني في البحر الأحمر والمحيط الهندي في عام ١٥٤٧، انظر، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤، ص ٦٧ - ٧٠ وانظر ايضاً.

فرضي السلطان سليمان القانوني عنه وجعل له زعامة البحر الأحمر «قبطان بحر القلزم».

وبعد أن تمّ بناء الاسطول العثماني الذي أمر السلطان سليمان القانوني باعداده وتجهيزه في ميناء السويس وضم ثلاثين سفينة أبحر الاسطول في نيسان ١٥٥٢ بقيادة بيري رئيس.

وكانت تعليمات السلطان سليمان القانوني تقضي بأن يقوم بيري رئيس بالطواف حول ساحل الجزيرة العربية لتنظيم ادارة موانئها واستعادة الأماكن التي استولى البرتغاليون عليها[١]. وفي تشرين الثاني ١٥٥٢ أرسل السلطان سليمان القانوني تعليمات أخرى الى باشا البصرة لابلاغها الى بيري رئيس تقضي باحتلال هرمز والاستيلاء على البحرين. وبعد أن وصل الاسطول العثماني ميناء جدة توجّه الى باب المندب ومر في طريقه الى البصرة بموانئ عدن وشحر وظفار[٢] وتمكن محمد بك ابن بيري رئيس من الوصول الى مسقط ومعه خمس سفن كبيرة ثم لحق به والده بيري رئيس حيث تمكن من احتلال قلعة مسقط وأسر حاميتها التي ضمت ستين برتغالياً بعد مقاومة استمرت ثمانية عشر يوماً.

وبعد أن قام بيري رئيس بنهب مسقط ورفع العلم العثماني على قلعتها شحن غنائمه والمدافع البرتغالية التي استولى عليها على ظهر سفنه[٣] وأبحر نحو جزيرة هرمز فوصلها في ١٩ أيلول ١٥٥٢. ولكن البرتغاليين كانوا على علم بنشاط الاسطول العثماني في البحر الأحمر وخططه للاستيلاء على قلعة هرمز التي تتحكم في الملاحة من الهند واليها، وإذا ما خسر البرتغاليون هرمز

= Pitcher, Donald Edgar. An Historical Geography Of The Ottoman Empire. (Leiden 1972) p.142; Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.168.

(١) Phillips, Wendell. Oman, A History. (?1967) p.40.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٣ - ٤٤، ٥٣.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٦٧ - ٨٨.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p.169.

فان مركزهم العسكري في الخليج العربي والمحيط الهندي يصبح في خطر ولذلك اتخذوا الاحتياطات اللازمة لمقاوة الهجوم العثماني المرتقب على هرمز. وتمكنت حامية هرمز البرتغالية التي ضمت سبعمائة رجل من الدفاع عن القلعة ولكنها لم تغامر بالخروج منها ومهاجمة الاسطول العثماني الذي فرض حصاره عليها عشرين يوماً بعد أن استولى على مدينة هرمز. واضطر بيري رئيس الى رفع الحصار والتوجه الى جزيرة قشم بعد أن علم برفاهية وغنى تجار هرمز الذين هربوا بأموالهم اليها بالاضافة الى ثراء سكانها(1)، حيث تمكن من الحصول على أموال كثيرة منها، وبعد أن جمع ثروة طائلة أبحر الى البصرة في نهاية تشرين الثاني ١٥٥٢ محملاً بالغنائم الوفيرة من عملياته البحرية في

(1) Calendar of State Papers. Queen Mary, 1553 - 1558. Edited By William, B. Turnbull. (London 1861.) p.13.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٥.
أطلعني الدكتور خليل ساحلي أوغلو أستاذ التاريخ الاقتصادي في جامعة استانبول على صورة فرمان محفوظ في متحف طوبقبو سراي - مكتبة فوغوشلر - مهمه دفتري رقم ٨٨٨ ورقه ٤٨٧ل بتاريخ يوم الأحد ذي القعدة ٩٥٩ هـ. ووردت فيه معلومات عن مهمة بيري رئيس في الخليج العربي ومما جاء فيه «أن الأسطول العثماني قد غادر بندر السويس في ٢١ شوال ٩٥٩ هـ - قاصداً جدة وعدن ثم رأس الحد حتى بلغ قلعة مسقط التي كانت قاعدة للكفار ففرض عليها الحصار وفتحها في اليوم السابع وقتل عدداً من الكفار وأسر ١٢٠ من حاميتها ووضعهم في الكورك (تجديف السفن) ثم سار حتى بلغ هرمز فدخلها ومعه ٢٤ قادين و٤ بوارج و٨٥٠ جندياً وبحاراً، فدخل الكفار القلعة واحتموا بها. ثم أعطى القبودان (بيري رئيس) الجند رواتبهم حتى نهاية شهر ذي الحجة ٩٥٩ هـ - ونفذ ما لديه من نقد.
واقترح قباد باشا (بيكلربك الجزائر) على السلطان أن يقوم بيري رئيس بمهاجمة جميع الأماكن التابعة لمملكة هرمز وفرض الضرائب عليها والمكان الذي يرفض اهله دفعها يعاقب بالهدم وذلك من أجل الحصول على المال الكافي لدفع رواتب الجند ولأن الأسطول العثماني يجب أن يبقى في مياه الخليج لدرء خطر الكفار عنه. ويرى قباد باشا أيضاً ضرورة وضع حامية من الجند العثماني في مصر للمحافظة عليها. وأكد على ضرورة بقاء الأسطول والجند العثماني في مياه الخليج لضبط البنادر والتي في ناتجها من الايرادات ما يكفي لدفع رواتب الجند وارسال الفائض منها للخزينة في استانبول. وحذر قباد باشا من انسحاب الأسطول العثماني من مياه الخليج لأنه يعني عودة الكفار الى البصرة وسيكون سبباً للاضطراب فيها، وينصح بابلاغ القبودان (بيري رئيس) بالبقاء في مياه الخليج والاستمرار في فتح القلاع على الساحل العربي لأن في ذلك حفظ البصرة ودفع تحركات القزلباش» . هـ

الخليج العربي خوفاً من أن يقطع الاسطول البرتغالي الطريق عليه.

وكان نائب ملك البرتغال في الهند الفونسو دي نورونها قد قرر التوجه الى هرمز على رأس أسطول ضم أكثر من ثمانين سفينة بعد أن علم بالخطر العثماني الذي يتهددها. وبينما كان في طريقه الى ديو علم بمغادرة الاسطول العثماني الى البصرة فغيّر رأيه وعاد الى جاوه[1] وبعث بدلاً منه ابن عمه انطاو دي نورونها على رأس أسطول ضمَّ أربعين سفينة فوصل هرمز في نهاية تشرين الثاني ١٥٥٢ بعد أن زال الخطر العثماني عنها حيث ابتعد الاسطول العثماني قاصداً البصرة. وعندما وصل بيري رئيس الى البصرة بعث واليها تقريراً الى السلطان سليمان القانوني عن نشاط الاسطول العثماني في منطقة الخليج العربي، وعندما علم بيري رئيس أن التقرير في غير صالحه ترك معظم أسطوله في البصرة وأبحر الى السويس ومعه الغنائم التي استولى عليها والأسرى البرتغاليون في ثلاث سفن كبيرة[2].

وفي طريق العودة الى السويس غرقت إحدى سفنه بعد أن تحطمت على صخور البحرين المرجانية. وبعد وصوله الى السويس استدعاه السلطان سليمان القانوني الى الآستانة للرد على التهم المتعلقة بعدم كفايته وبخاصة في عملياته الحربية ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي، وصدر أمر السلطان باعدامه في عام ١٥٥٣ ومصادرة أمواله الطائلة بتهمة الخيانة.

وبعد فشل بيري رئيس في الاستيلاء على هرمز اهتمت الدولة العثمانية بتأكيد سيطرتها على الساحل الشرقي للجزيرة العربية وبخاصة البحرين وتأمين مرور أسطولها في مضيق هرمز، ولكن تحقيق هذا الهدف يعتمد أساساً على القوات العثمانية في البصرة والحسا، وعلى امكانيات دار صناعة السفن العثمانية في البصرة والتي ظلت تخشى من قيام السلطات البرتغالية في هرمز باجراءات انتقامية ضدها.

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٣.
(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٦ ـ ٤٧

وبعد عودة بيري رئيس الى السويس عهدت الدولة العثمانية بقيادة أسطولها في البصرة الى مراد بك حاكم القطيف السابق الذي طرده أهلها بعد ثورتهم عليه، وصدرت التعليمات في عام ١٥٥٣ الى مراد رئيس لاعادة الاسطول العثماني الى السويس مع ابقاء قسم منه في البصرة للدفاع عنها(١)، فوصل البصرة براً قادماً من مصر ليقود بقايا الاسطول العثماني الذي ضمّ خمس عشرة سفينة الى السويس. ولّما كان مراد رئيس حريصاً على إعادة الاعتبار لنفسه وانقاذ سمعته بعد فشله السابق في القطيف فقد أبحر بجرأة الى مضيق هرمز حيث وجد الاسطول البرتغالي بانتظاره، وكان على علم بتحركات الاسطول العثماني فاشتبك الأسطولان في آب ١٥٥٣ وفقد مراد رئيس اثنين من القادة - رجب رئيس وسليمان رئيس(٢) - وبعد أن تابع سيره بالقرب من موانئ مسقط وصور وقلهات التقى ثانية بالأسطول البرتغالي فاضطرّ الى العودة بالأسطول العثماني الى البصرة مرة أخرى بعد أن خسر عدداً من سفنه الى الشمال من مسقط(٣)، ومن البصرة توجه مراد رئيس الى الآستانة. وهكذا فشلت الجهود العثمانية ضد البرتغاليين الذي نجحوا في اغلاق مضيق هرمز في وجه الاسطول العثماني مما عزّز هيبتهم وقوى مركزهم في منطقة الخليج العربي.

وبعد فشل مراد رئيس عهد السلطان سليمان القانوني بقيادة الاسطول

---

(١) Belgrave, J.H.D. History Of The Bahrain Islands. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXXIX. Part 1. January 1952. pp.57 - 68) pp.62 - 63; Stripling, George William Frederic. Op. Cit. P.94.
Phillips, Wendell. Op. Cit. P.40.
وانظر أيضاً: لوريمر ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ١٧، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٨.

(٢) Dames, M. Longworth. The Protuguese And Turks In The Indian Ocean In The Sixteenth Century. (Journal Of The Royal Asiatic Society Part 1. January 1921. pp.1 - 28) p.21.
وانظر، محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى البحر (القاهرة، ١٩٧٩) ص ١٦٦.

(٣) Phillips, Wendell. Op. Cit. P.40.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٧٠.

العثماني في البصرة الى سيدي علي رئيس[1] أفضل القادة العثمانيين شهرة في عصره لإعادة الاسطول العثماني من البصرة الى البحر الأحمر.

وبناء على تعليمات السلطان توجه سيدي علي رئيس الى البصرة فوصلها براً في شباط ١٥٥٤ وبدأ على الفور في اعداد الاسطول العثماني للحرب. وبعد أن أمضى خمسة أشهر فيها أقلع بأسطوله الذي ضمّ خمس عشرة سفينة من البصرة في ٢ تموز ١٥٥٤ قاصداً موانئ الساحل الفارسي عبادان وديزفول وشستر ثم الى جزيرة خرج ومنها الى بوشهر وبعد ذلك توجه الى القطيف ثم قصد البحرين حيث رحب به حاكمها ولكنه لم يستطع أن يقدّم له شيئاً من المعلومات النافعة عن تحركات الاسطول البرتغالي[2]. ويبدو أن سيدي علي رئيس قد علم أثناء وجوده في البحرين بخلو مياه الخليج العربي من البرتغاليين باستثناء أربع سفن برتغالية في مسقط.

ولذلك توجّه الى جزيرة قيس «هرمز القديمة» لعلّه يتمكن من الحصول على أخبار عن تحركات الاسطول البرتغالي ثم قصد جلفار «رأس الخيمة». وبعد أن وثق سيدي علي رئيس من طلائعه بخلو الخليج من السفن البرتغالية أبحر باتجاه هرمز، ولكنه عندما بلغ خورفكان على الساحل العماني وبعد أربعين يوماً من مغادرته البصرة التقى فجأة بالأسطول البرتغالي الذي ضمّ خمساً وعشرين قطعة بحرية. وعندما تقدم الاسطول البرتغالي نحوه أمر باعداد المدافع وقرر خوض القتال ضد البرتغاليين ووقعت معركة عنيفة بين الأسطولين البرتغالي والعثماني في ٩ آب ١٥٥٤ ودام القتال طول النهار ثم انسحب الاسطول البرتغالي في الليل نحو هرمز واعتبر سيدي علي رئيس هذه المعركة

---

(١) تدرب سيدي علي رئيس على يد القبطان العثماني خير الدين بربروسا واشترك معه في فتح جزيرة رودس، وكان حاكماً لدار صناعة السفن في استانبول وذا دراية بعلوم البحار. انظر
Miles, S.B. Op. Cit. pp.171 -172

(٢) Dames, M. Longworth Op. Cit. p. 21; Sidi Ali Reis. The Travels And Adventures Of The Turkish Admiral, 1553 - 1556. Translated From The Turkish, With Notes By A. Vambery. (London 1899) pp.9 -10
وانظر أيضاً، جيمس بلجريف: البحرين (بيروت، ١٩٧١؟) ص ١٣٨

في صالحه(١). ولذلك تابع الاسطول العثماني سيره نحو مسقط وقلهات. وأثناء تجواله في مياه الخليج العربي فوجئ مرة أخرى بالأسطول البرتغالي في ٢٥ آب ١٥٥٤. واشتبك سيدي علي رئيس مع البرتغاليين في معركة أخرى واجه فيها الاسطول البرتغالي بعد إعادة تجهيزه وزيادة عدد سفنه التي بلغت اثنتين وثلاثين سفينة بقيادة فرناندو دي نورونها الذي علم بتحركات الاسطول العثماني فاستعد لها وجاء بأسطول برتغالي من الهند كما نقل مجموعة من السفن الحربية الى مسقط وترك مجموعة أخرى لمراقبة الاسطول العثماني في مياه الخليج العربي.. وعندما وصل سيدي علي رئيس الى صحار انطلق الاسطول البرتغالي من مسقط وبالقرب من ساحل عمان الصخري وعلى بعد أميال من مسقط(٢) استسلمت ست سفن عثمانية للأسطول البرتغالي ولذلك اضطر سيدي علي رئيس للفرار ببقية سفن الاسطول بعد أن لحقت به خسائر جسيمة، ووصف المعركة بأنها من أعنف المعارك التي حاربها في حياته وكان في نيته التوجه الى اليمن، ولكن بينما كان الاسطول العثماني يقترب من مضيق هرمز هبت رياح قوية أرغمته على الابتعاد عن الساحل وجرفت سفنه الى عرض الخليج فوصل الى ميناء بندر شاهبور الفارسي على ساحل مكران(٣). وبعد أن تزود بالماء العذب قصد سواحل اليمن ولكن الرياح قذفت به مرة أخرى الى ساحل الهند فوصل ميناء ديو البرتغالي، ولكنه بادر الى تغيير اتجاه سفنه فوصل كجرات ومكث فيها بعض الوقت أنجز خلاله تأليف كتابه «المحيط» وهو دليل للملاحة في البحار الشرقية(٤).

وأثناء اقامته في كجرات تفرّق عنه رجاله في خدمة أمراء الهند وعاد أكثرهم الى بلادهم براً؛ ثم باع سيدي علي رئيس سفنه الست الباقية ومدافعه وذخائره الى حاكم سورات الهندي وعاد براً الى الآستانة عن طريق بغداد

(١) Sidi Ali Reis. Op. Cit. p. 10

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٧.

(٣) Sidi Ali Reis. Op. Cit. pp. 14 -15; Miles, S.B. Op. Cit. p. 175.

(٤) Serjeant, R.B. The Portuguese Off The South Arabian Coast (Oxford 1963) p. 20.

فوصلها في آيار ١٥٥٧ بعد ثلاث سنوات من بداية حملته البحرية في الخليج العربي. وفي الآستانة ألف كتاب «مرآة الممالك» ذكر فيه ما جرى له من أهوال وتفرق رجاله واضطراره الى بيع سفنه وارسال ثمنها الى السلطان سليمان القانوني[١].

وكان السلطان سليمان القانوني قد أرسل صفر رئيس ومعه ثلاث سفن للبحث عن الاسطول العثماني الذي يقوده سيدي علي رئيس، ولكنه لم يتمكن من العثور على أي أثر له فاكتفى بأسر بعض السفن البرتغالية التي كانت في طريقها بين ديو وهرمز[٢].

وهكذا كانت هزيمة الاسطول العثماني بقيادة سيدي علي رئيس ضربة قوية ومؤثرة على القوة البحرية العثمانية في الخليج العربي ولم يستطع العثمانيون مقاومة الاسطول البرتغالي بعد خسارتهم لاسطولهم، على الرغم من توطيد نفوذهم اكثر من ذي قبل في منطقة الاحساء.

وبقي البرتغاليون سادة الخليج العربي ونجحوا في قفل مضيق هرمز في وجه الملاحة العثمانية، وعملوا على مساعدة زعماء قبائل البصرة ضد الحكم العثماني، ففي عام ١٥٥٦ وصل الأسطول البرتغالي الى البصرة وعندما اقترب من شط العرب هبت عليه عاصفة أرغمته على العودة إلى قاعدته في هرمز دون أن يتمكن من تحقيق هدفه[٣] بمساعدة قبائل البصرة ضد الحكم العثماني. وفي المقابل قدّم العثمانيون مساعداتهم الى اتباع ملك هرمز للثورة على الحكم البرتغالي.

ولم يقم العثمانيون بعد فشل حملة سيدي علي رئيس بمحاولات بحرية

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 177.
وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٨١.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٣) Bent, j. Theodore. The Bahrain Islands. In The Persian Gulf. (Proceeding Of The Royal Geogiaphical Society And Monthly Records Of Geogaraphy. Vol XII, N°. 1. January 1890. pp. 1 -19. London) p. 11, Miles, S.B. Op. Cit. p.178.
وانظر، لوريمر. ج ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨

مهمة باستثناء المحاولة الفاشلة التي قام بها بيكلر بك الحسا مصطفى باشا الذي أخذ على مسؤوليته القيام بحملة ضد جزيرة البحرين في عام ١٥٥٩ دون موافقة السلطان سليمان القانوني، فسار باسطوله وبرفقته ١٢٠٠ جندي من بينهم عدد من انكشارية بغداد. وفي ٢ تموز ١٥٥٩ بدأ بحصار حصن المنامة، وعندما وصلت أخبار الغارة العثمانية على البحرين الى هرمز أرسل البرتغاليون أسطولاً ضم ٢٢ سفينة بقيادة جوا دي نورونها ابن عم حاكم هرمز البرتغالي لانقاذ جزيرة البحرين، وتمكن الاسطول البرتغالي من الحاق بعض الخسائر بالاسطول العثماني. وبسبب النقص في المؤن والتجهيزات ووفاة مصطفى باشا قرر العثمانيون انهاء الصراع. وكذلك رغب البرتغاليون في الاتفاق مع العثمانيين بعد الوفيات الكثيرة بسبب تفشي الحمى بين جنودهم. ولذلك توصل الجانبان العثماني والبرتغالي الى اتفاق تضمن أن يسلم العثمانيون اسلحتهم الى البرتغاليين وأن يدفعوا لهم غرامة حربية قدرها ١٢,٠٠٠ كروسادو، وفي مقابل ذلك يقوم الاسطول البرتغالي بنقل الجنود العثمانيين الى ساحل الاحساء(١).

وبعد فشل الأسطول العثماني في السيطرة على البحرين في عام ١٥٥٩ قدّر علي باشا والي البصرة العثماني أن استمرار الصراع مع البرتغاليين ليس في صالح العثمانيين ورغبة منه في الفوائد الاقتصادية التي يمكن تحقيقها من تشجيع التجارة بين الدولة العثمانية والهند أرسل في عام ١٥٦٢ مبعوثاً من قبله الى الحاكم البرتغالي في هرمز، ورد نائب ملك البرتغال في الهند بارسال انطونيو تكسيرا في صيف ١٥٦٣ الى استانبول لمقابلة السلطان العثماني واعلامه برغبة باشا البصرة في إعادة العلاقات التجارية بين البرتغاليين والعثمانيين في منطقة الخليج العربي. وعندما اجتمع المبعوث البرتغالي بالسلطان العثماني، أجابه السلطان «أنه لا يطلب السلام من أي جهة أخرى، فاذا كان ملك

---

(١) Saldanha, J.A The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914) p. 39.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥١ ـ ٥٥. وجيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٨.

البرتغال يرغب في السلام فعليه أن يبعث مسؤولاً كبيراً من حاشيته أو بلاطه الى استانبول»[1]. ويبدو أن محاولات التفاهم والاتفاق بين العثمانيين والبرتغاليين لم تحقق تقدماً ملموساً.

واستمرت العلاقات العدائية بين الجانبين في منطقة الخليج العربي حيث عادت الدولة العثمانية في عام ١٥٧٥ الى انتهاج سياسة أكثر عداء للبرتغاليين. كما زادت من اهتمامها بالبحرين، فكلفت حاكمي بغداد والحسا باعداد حملة بحرية ضد البرتغاليين ولكن الامكانيات البحرية العثمانية لم تكن كافية للقيام بحملة بحرية كبيرة فاكتفت الدولة العثمانية بمراقبة سواحل الحسا في عام ١٥٧٧ لمنع أي نشاط معاد لها[2].

ومهما يكن من أمر فقد فشلت المحاولات العثمانية في الربع الثالث من القرن السادس عشر لطرد البرتغاليين من الخليج العربي. وظل الادعاء العثماني بحكم الحسا في القرن السادس عشر اسمياً، كما أن السيادة العثمانية في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية كانت أضعف من السيادة البرتغالية على الرغم من ولاء بعض الشيوخ العرب للعثمانيين، ومن الزيارات الدورية التي قامت بها الأساطيل العثمانية للساحل الجنوبي للجزيرة العربية[3]، وفشل العثمانيون في السيطرة على مضيق هرمز وفي المقابل فشل البرتغاليون في توطيد نفوذهم على ساحل البصرة والقطيف وظلت البحرين جزيرة حاجزة بين النفوذين العثماني والبرتغالي.

أما عجز الأسطول العثماني عن تحقيق نصر حاسم على الأسطول البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي فيعود لعدة أسباب نذكر منها.

أ ـ كانت قواعد الأسطول العثماني الرئيسية في البحر الأبيض المتوسط حيث توجد إمكانيات بناء السفن. ولم يكن في وسع الأسطول العثماني الوصول الى المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح.

---

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) المرجع السابق. ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٣) Pitcher, Donald Edgar. Op. Cit. p. 142.

ب ـ واجهت الدولة العثمانية صعوبات أثناء بناء سفنها الحربية في السويس والبصرة. وإذا تمكنت الدولة العثمانية من نقل الأخشاب الى السويس فقد وجدت صعوبة في نقلها الى البصرة حيث كان الخشب المستعمل في بناء السفن يؤتى به من جبال مرعش ومنها الى البصرة عبر بيره جك على نهر الفرات(١).

ج ـ لم يستطع العثمانيون إنشاء قاعدة بحرية قوية في ميناء البصرة بعد استيلائهم عليها في عام ١٥٤٦. فالبصرة بمستنقعاتها وخلجانها على شط العرب غير صالحة لهذا الغرض، كما واجه العثمانيون فيها مقاومة من جانب القبائل البدوية والسلطات الفارسية على حد سواء ولذلك كانت البصرة مركزاً تجارياً بارزاً أكثر منها قاعدة بحرية مؤثرة(٢) على الرغم من وجود دار لصناعة السفن فيها.

د ـ اعتماد الدولة العثمانية على أسطولها في البحر الأحمر لحماية مصالحها في الخليج العربي، ولكن السفن المصنوعة في السويس لا تصلح لارسالها في حملات بحرية متتالية الى الخليج العربي والمحيط الهندي لبعد المسافة بين السويس والبصرة(٣) من ناحية ولضعف السفن العثمانية بمقارنتها بالسفن البرتغالية الأقوى والأفضل تسليحاً من ناحية أخرى. كما حالت سيطرة البرتغاليين على مضيق هرمز دون اتصال الأسطولين العثمانيين وأضعفت فاعليتهما، كما اعتمد العثمانيون في معظم نشاطهم البحري في الخليج العربي على بعض قادة الأسطول العثماني في البحر المتوسط مثل بيري رئيس ومراد رئيس وسيدي علي رئيس ممن اشتهروا بالمغامرة والجرأة والشجاعة.

---

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. p. 68 - 70.
وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley, Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p. 106

(٣) Stripling, George William Frederic. Op. Cit. p 93
وانظر، عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر. (بغداد، ١٩٦٦ ص ١١ ـ ١٢.

وكذلك فشلت محاولات العثمانيين البحرية ضد هرمز والبحرين بسبب تفوق القوة البحرية البرتغالية ورجالها على منافستها العثمانية من ناحية ولخضوع البصرة والحسا للحكم العثماني المباشر لفترات متقطعة من ناحية أخرى على الرغم من التعاطف الديني الذي حظي به العثمانيون من السكان المحليين الذين قاوموا البرتغاليين بوصفهم كفاراً(١). كذلك أدى ضعف الأسطول العثماني الى فشل باشوات بغداد في بسط نفوذهم على الملاحة في الخليج العربي وشط العرب وعجزوا عن توفير الحماية البحرية للبصرة ضد هجمات الفرس وتحديات بعض القبائل العربية في المناطق المجاورة لها.

ومهما يكن من أمر فقد تحكم العثمانيون بطرق التجارة البرية بين البصرة وحلب وشجعوا على تدفق البضائع الشرقية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر مما أدى الى انتعاش التجارة في مصر وبلاد الشام في أواخر القرن السادس عشر، وعملوا بكل قوة لمنع عرقلة البرتغاليين لطرق الحج والتجارة الشرقية وسعوا الى إحياء الطريق التجاري البري بين أواسط آسيا واستراخان والقرم(٢). ولكن السفن البرتغالية ظلت نشيطة في ملاحقة السفن العثمانية التي تغامر بمغادرة البحر الأحمر بدون تصريح كما ظل البرتغاليون يرسلون عدداً من سفنهم الى موانئ الحبشة للتجارة معها وللحصول منها على البحارة(٣) لاستخدامهم في الأسطول البرتغالي مما يدل على استمرار التعاون البرتغالي ـ الحبشي ضد العثمانيين.

ولكن مركز البرتغال في الخليج العربي بدأ يضعف في الربع الأخير من القرن السادس عشر وبخاصة بعد خضوع البرتغال في عام ١٥٨٠ لحكم اسباني جشع ومتعصب بالاضافة الى قسوة وفساد أساليب الحكم البرتغالي

---

(١) Belgrave, C.D. Op. Cit. p. 626.

(٢) Ozbaran, Salih. Op. Cit, p 70.
وانظر أيضاً، احمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني (بيروت، ١٩٨٢) ص ١٣٣، ١٤٤.

(٣) Colonial Papers East Indies Vol. I. 1513-1616. London March 10, 1600. p. 104.

ونقص الامدادات الى الحاميات البرتغالية في الخليج العربي[1]. ولذلك استأنفت الدولة العثمانية نشاطها البحري ضد الوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي. ففي عام ١٥٨١ خرجت من مخا حملة بحرية عثمانية ضمت أربع سفن بقيادة علي بك[2] لتحقيق هدف محدود ضد مسقط. وتمكنت الحملة من مفاجئة الحامية البرتغالية فيها براً وبحراً وبعد أن أرغمتها على الانسحاب نحو الداخل قامت بنهب المدينة.

ولعلّ احراز ذلك النصر السهل يعود الى جرأة علي بك من ناحية والى عدم قدرة البرتغاليين في الدفاع عن الساحل العماني من ناحية أخرى، وقد اشتهرت هذه الحملة لأن علي بك تمكن من مهاجمة مسقط بأربع سفن قديمة وضعيفة وبثمانين رجلاً على الرغم من علم السلطات البرتغالية في هرمز باعداد حملة بحرية عثمانية في البحر الأحمر لمهاجمة مسقط ونهبها، ولكن حاكم هرمز البرتغالي لم يأخذ الحيطة والحذر والاستعداد للمقاومة[3]. ويبدو أن حامية مسقط البرتغالية لم تكن مستعدة لصد أي هجوم عليها من البحر ما لم تتخذ السلطات البرتغالية الوسائل الكفيلة بالدفاع عنها.

وأرسلت السلطات البرتغالية في هرمز حملة بحرية لتأديب علي بك الذي عاد بالغنائم الى البحر الأحمر ولما فشلت الحملة البرتغالية في ملاحقته توجهت بدلاً من ذلك الى جوادر وقيس على ساحل مكران ودمرتها[4] وقد أدت الهزيمة التي الحقها علي بك بالبرتغاليين في مسقط الى اضعاف مركز البرتغاليين والى إصدار التعليمات بتقوية التحصينات في الموانئ البرتغالية في الخليج العربي.

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op Cit. p. 101.

(٢) Reusch, Richard. History Of East Africa. (New York 1961) p. 241.

(٣) Strande, Justus. The Portuguese Period In East Africa. Translated From The German By Jean F. Wallwork. (Nairobi 1968) p. 128, 130; Sir Antony Sherley His Relations Of His Travels Into Persia. (London 1613) p. 9; Miles, S.B. Op. Cit. p. 178, pp. 181-183.

(٤) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 117; Ozbaran, Salih. Op. Cit. p. 69.

وتشجع علي بك بنجاحه الذي أحرزه ضد البرتغاليين في مسقط في عام ١٥٨١ فقام بحملات بحرية ضد المستوطنات البرتغالية في الساحل الشرقي لأفريقية وتمكن من الحاق خسائر جسيمة بالملاحة البرتغالية في المحيط الهندي، وقام علي بك الذي اتصف بالجرأة في الخليج العربي بحملة بحرية أخرى ضمت سفينتين وأبحر من مخا في خريف ١٥٨٥ الى شرق أفريقية وفي الطريق فقد علي بك إحدى السفينتين لأنها كانت قديمة وتالفة ووصل بالأخرى الى مقديشو وبارا وقاسمليو وفازا وبات وليوا وكيلوه وخدع السكان فيها بزعمه أن سفينته طليعة أسطول عثماني كبير وأن السلطان العثماني قد أرسله ليحررهم من الحكم البرتغالي[١]. ولما كان القسم الشمالي من الساحل الشرقي لأفريقية في ثورة شبه مستمرة ضد البرتغاليين فقد أعلن السكان فيه ولاءهم للسلطان العثماني وانتشرت الاضطرابات في كل مكان تقريباً في شرق أفريقية، ورحبت به ممباسة وطلبت منه حماية عثمانية دائمة عليها.

ولما وصلت أنباء الغارة العثمانية الأولى على الساحل الشرقي لأفريقية الى السلطات البرتغالية في جاوه بواسطة سفينة شراعية صغيرة أرسلها سلطان مالندي الموالي للبرتغاليين بعد مغادرة علي بك الساحل الشرقي لافريقية، قرر نائب ملك البرتغال في الهند إبعاد الخطر العثماني عن المستوطنات البرتغالية والانتقام من السكان الذين قدموا المساعدة الى الحملة العثمانية[٢]. ولكن علي بك ظل نشيطاً في المحيط الهندي يطوف بأسطوله موانئ الساحل الشرقي وافريقية حتى عام ١٥٨٨ عندما طلبت منه المدن العربية والاسلامية الوفاء بوعده وتحريرها من السيطرة البرتغالية وعرضت عليه المساعدة بتكاليف الحملة غير آبهة بالسفن البرتغالية الموجودة في بعض موانئها، واستجاب علي بك لطلب المساعدة وأبحر في عام ١٥٨٩ من البحر الأحمر ومعه خمس سفن حيث

---

(١) Reusch, Richard. Op. Cit. p. 242; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 128; Bradly-Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf To The Caspian, Vol.XX (U.S.A. 1910) p. 9.

(٢) Freeman - Grenville, G.S.P. The Coast 1498 -1840. (History Of East Africa. Edited By Roland Oliver And Gervase Nathew. Vol. I Oxford 1963) pp. 137 - 138; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 128, 130.

استقبله السكان في كل المدن التي نزل بها أو مرّ بقربها في الساحل الشرقي لافريقية بحفاوة بالغة مرة أخرى باستثناء مالندي التي اطلقت النار على سفينته عندما حاولت الاقتراب منها[1] لولائها الدائم للبرتغاليين، ولذلك هاجمها علي بك لاخضاعها ولكن دون جدوى. وكان حاكمها البرتغالي قد بعث رسالة الى قائد الأسطول البرتغالي يحثه فيها على القدوم على جناح السرعة لنجدته بعد أن تأكد من وصول علي بك الى لامو للتزوُّد بالماء العذب[2].

وفي ٥ آذار ١٥٨٩ اشتبك علي بك مع الأسطول البرتغالي الذي ضم عشرين سفينة بقيادة توماس دي سوزا كويتنهو- أخ نائب ملك البرتغال في الهند- في الوقت الذي كانت فيه قبائل الزيمبا تهاجمه من الداخل، فوقع في أسر البرتغاليين الذين أرسلوه الى لشبونة حيث اعتنق المسيحية[3] ومات فيها..

وهكذا فشلت المحاولات التي بذلها العثمانيون خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر لطرد البرتغاليين بمساعدة عرب الخليج، ولم يتمكنوا من القيام بعمل حاسم في الخليج العربي والمحيط الهندي كما فعلوا في البحر الأحمر. وعلى الرغم من استمرار دار صناعة السفن العثمانية في السويس في بناء السفن الحربية التي طافت بالسواحل البعيدة عن البحر الأحمر من مالندي وغيرها من المدن العربية والاسلامية المنتشرة على طول الساحل الشرقي لافريقيه، فقد بقي النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي قوياً حتى العقد الثاني من القرن السابع عشر عندما ظهر المنافسون الاوروبيون الذين جعلوا مركز البرتغاليين حرجاً للغاية ويصعب الدفاع عنه.

---

(١) Coupland, R. East African And Its Invaders (Oxford 1938) p. 59.

(٢) Strandes, Justus. Op. Cit. p. 134.

(٣) Stigand, C.H. The Land Of Zinj. (London 1913) p. 17; Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967) p. 102.

الفصل الثاني
ولاية البصرة

كانت البصرة[1] بحكم موقعها على الخليج العربي وشط العرب من أكثر الموانئ العربية اتصالاً بالصراع الدائر على النفوذ بين القوى الأجنبية والمحلية. فقد خضعت منذ عام ١٥٠٨ للنفوذ الصفوي الاسمي بعد احتلال الشاه اسماعيل الأول بغداد حتى عام ١٥٣٤ عندما أعلن حاكمها راشد بن مغامس خضوعه الاسمي للعثمانيين بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد. وقد تمتع راشد بن مغامس بصلاحيات واسعة وكان صاحب خطبة وسكة[2] ولكنه دفع الاتاوة السنوية لحاكم بغداد في العهدين الصفوي والعثماني.

وقد تدخل البرتغاليون لأول مرة في شؤون البصرة في عام ١٥٢٩ عندما طلب شيخ منطقة الجزاير المجاورة للبصرة الجزية من راشد بن مغامس الذي رفض دفعها والتمس المساعدة من السلطات البرتغالية في هرمز التي استجابت لطلبه وارسلت حملة بحرية لمساعدته، وبعد أن حقق راشد بن مغامس هدفه

(١) وصف الرحالة البصرة في مطلع القرن السادس عشر بأنها مدينة مأهولة بالمسلمين وفيها قلعة ونهر ماؤه عذب يدعى الفرات وتخضع لحكم الشاه اسماعيل. انظر

Barbosa, Durate. A. Description Of The Coasts Of East Africa And Malabar In The Beginning Of The Sixteenth Century. (Translated By Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970) pp. 40- 41.

(٢) يذكر عباس العزاوي أن راشد بن مغامس كان أميراً مستقلاً من أمراء المنتفق ووصل إلى حكم البصرة بقوة العشائر. انظر، تاريخ العراق بين احتلالين، (بغداد، ١٩٤٩) ج ٤ ص ٤٦ - ٤٧.

رفض التنازل للبرتغاليين عن بعض حصون البصرة، فانتقم قائد الحملة البرتغالية منه باحراق بعض الأماكن المجاورة للبصرة[1] في طريق عودته الى هرمز. وقد أدى وصول البرتغاليين الى مياه الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر الى عرقلة تجارة البصرة لا سيما وأن هدف البرتغاليين قد تمثل في تدمير مراكز التجارة العربية والقضاء على دور العرب في نقل التجارة الشرقية.

ولم تخضع البصرة للحكم العثماني المباشر إلا في كانون الأول ١٥٤٦ بعد أن استبد حاكمها بأمورها ولم يذكر اسم السلطان في الخطبة ولم يظهره على النقود حتى عام ١٥٣٨. كما رفض إعادة بعض الهاربين من والي بغداد اليه، فانتهزت الدولة العثمانية فرصة تأييد حاكم البصرة لثورة أحد شيوخ منطقة الجزاير فاعتبرته عاصياً وأرسلت اليه جيشاً بقيادة والي بغداد اياس باشا الذي دخل البصرة دون حرب بعد فشل البرتغاليين في إنجاد حاكمها الذي هرب الى الحسا[2]. ونظم اياس باشا شؤون البصرة وضم اليها واسط والجزاير، وكان السلطان سليمان القانوني قد ترك البصرة والمناطق المجاورة لها

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534- 1581. (Journal Of Asian History. Vol. 6 N°. 1 1972 pp. 45- 87). p. 48.

وانظر أيضاً: لوريمر، ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ١٦

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) pp. 25- 26.

وكان مانع قد تولى الحكم في البصرة بعد أبيه راشد ولكنه بسبب ضغط أعيان البصرة عليه اضطر للتنازل إلى الشيخ يحيى الذي دخل في حلف مع سيد عامر المشعشعي أحد أعيان البصرة. وفي عام ١٥٤٥ وقع خلاف بين الشيخ يحيى وسيد عامر من جهة وبين حريم بك الذي كلفه والى بغداد العثماني ببناء حصن في منطقة زكية من أعمال البصرة - من جهة أخرى. وكان السلطان سليمان القانوني قد عهد بمنطقة زكية إلى سيد عامر. وبعد اخضاع سيد عامر أصبحت منطقة زكية تحت الحكم العثماني وأصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات العثمانية التي احتلت البصرة في كانون الأول ١٥٤٦ بعد أن رفض حاكمها المحلي تنفيذ أمر السلطان سليمان القانوني باعادة بعض الهاربين اليها من والي بغداد. انظر، صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ١٥٣٤ - ١٥٨١. ترجمة عبد الجبار ناجي (بغداد، ؟) ص ٣٠ - ٣٢.

لشيوخ القبائل العربية بعد استيلائه على بغداد في عام ١٥٣٤، بعد أن أرسل حاكم البصرة راشد بن مغامس ولده مانع الى بغداد ومعه مفاتيح البصرة ليعرض الطاعة والولاء. ولذلك أقر السلطان سليمان القانوني والده على حكم البصرة بشروط منها أن تكون الخطبة والنقود باسم السلطان، وأن يكون تابعاً لولاة بغداد في المسائل المهمة. كما قدم شيوخ الجزاير والحويزة ولاءهم للسلطان العثماني، وقدمت بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ وفود من شيوخ القطيف والبحرين للترحيب بالسلطان العثماني[١]، لحاجتهم الى حمايته ضد الخطر البرتغالي مما يدل أيضاً على استياء القوى المحلية من التحالف البرتغالي الفارسي في الخليج العربي.

وكانت البصرة في عهد آل مغامس عامرة بسكانها مزدهرة بتجارتها التي امتدت الى الهند وهرمز والبحرين وفارس وبغداد ودمشق وحلب وقصدتها السفن من كل الجهات حاملة اليها البضائع الشرقية كالتوابل والبهارات والعقاقير الطبية ومختلف أنواع الأقمشة وعادت منها محملة بالتمر وغيره من المنتجات العربية.

ويبدو أن للدولة العثمانية أسبابها في إخضاع البصرة لحكمها المباشر لرغبتها في الوصول الى الخليج العربي وإقامة قاعدة بحرية فيها للاتصال بأسطولها في البحر الأحمر[٢]، مما أدى الى دخولها في صراع مع البرتغاليين الذين سبقوا العثمانيين الى الخليج العربي وتمكنوا من تأكيد سيطرتهم عليه في

---

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. pp. 50-51.

وانظر أيضاً، علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. (بغداد، ١٩٢٧). ص ١٠٥ - ١٠٦.

وعلي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٤٩. وانظر عماد أحمد الجواهري: الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ - ١٦٠٠ (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثالث عشر، كانون الثاني ١٩٧٨، ص ٨٣ - ٩٦) ص ٨٦. وعبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ - ١٦٠٠ (دمشق، ١٩٦٠ ج ١ ص ٩٧.

عام ١٥٢١ بعد اخضاع حكام الحسا والبحرين والقطيف وارغامهم على دفع الجزية الى ملك هرمز وملك البرتغال.

وبعد اخضاع البصرة للحكم العثماني المباشر عينت الدولة العثمانية بلال محمد باشا برتبة بيكلر بك عليها، ومنحته راتباً سنوياً (سالیانه) قدره ٢٠٠،٠٠٠ أقجه، وفي عام ١٥٤٧ كان في البصرة ٢٢٠٠ جندي عثماني من بينهم ألف جندي في الحصن الرئيسي للبصرة وسبعمئة جندي في المدينة بالاضافة الى ألف فارس من الاتراك وعدد لا بأس به من المتطوعين. وفي عام ١٥٧٤/١٥٧٥ أصدرت الدولة العثمانية قانون نامه ولاية البصرة وتم تقسيمها الى عشرين لواء وكانت أراضيها من التزام الوالي العثماني ولم يكن فيها اقطاعات من نوع زعامت أوتيمار[1]. ثم عملت الدولة العثمانية على بسط سيطرتها على المناطق المجاورة للبصرة مثل الحويزة والجزاير والحسا والقطيف والبحرين ولذلك دخلت في صراع عنيف مع السلطات البرتغالية في هرمز. وفشل الحكم العثماني في مد نفوذه على بعض المناطق المجاورة للبصرة بسبب معارضة السكان وتعاون بعض الحكام مع البرتغاليين. ولكن البصرة ظلت تحت الحكم العثماني المباشر حيناً وغير المباشر أحياناً وأبقى العثمانيون فيها قوة عسكرية ضعيفة، لذلك اضطرت السلطات المحلية فيها الى الاعتماد على مساعدة ولاة بغداد للدفاع عنها أو لاخماد ثورة داخلية فيها. كما كانت حدود البصرة الادارية في تغير مستمر؛ ففي بعض الأحيان لا تتجاوز ضواحي المدينة وفي أحيان أخرى تتسع لتشمل المنتفق والعمارة والقطيف والحسا حسب قوة حاكمها وعلاقته بولاة بغداد، والدولة العثمانية.

---

(1) Stripling, George William Frederic. The Ottaman Turks And The Arabs: 1511- 1574. (Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°. 4. U.S.A. 1942) p. 93.

وانظر أيضاً، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤ - ٣٦.

عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ٢٧٤.، احمد نور الانصاري: النصرة في أخبار البصرة. تحقيق يوسف عز الدين (بغداد، ١٩٦٩) ص ٥.

آل آفراسياب في البصرة

عندما عجز والي البصرة درويش باشا عن دفع ارزاق جنده في عام ١٥٩٦ بسبب كثرة الفتن وازدياد نفقات الادارة وقلة ايرادات الولاية ومقاطعة سكان البصرة له، ضعف أمره وعجز عن تدبير شؤون الولاية وباع منصبه الى كاتب جند البصرة آفراسياب الديري السلجوقي بثمانية أكياس من الذهب[١]. واشترط عليه استمرار الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) وتولى آفراسياب - الذي لا يعرف شيء عن أصله ونسبه غير أنه ينتسب الى نهر الدير شمال البصرة حيث يقيم أخواله في تلك الجهات - ادارة ولاية البصرة وحسنت سيرته وتوسعت تجارة البصرة في عهده فأحبه الناس. وعندما قوي أمره استولى على أكثر منطقة الجزاير المجاورة للبصرة. وبمساعدة والي بغداد حسن باشا قضى على فتنة مبارك بن عبد المطلب أمير الحويزة[٢] ومنعه من أخذ الاتاوة من البصرة ومن جهات شط العرب، ونشر العدل والعلم في البصرة.

وبعد وفاته في عام ١٦٠٣ خلفه في حكم ولاية البصرة ابنه علي باشا وظل فيها حتى وفاته في عام ١٦٤٧. وكان حازماً كأبيه وشجع العلم ونشر الأمن ووسع حدود ولاية البصرة[٣]. وفي عهده وقعت بعض الأحداث

---

(١) كان الكيس يساوي ثلاثة آلاف محمدية، انظر، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً. (صيدا، ١٩٤٨). ص ١٥١. وانظر ايضاً، علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٢٩.

المهمة في الخليج العربي. فقد قوي أمر الشاه عباس الأول في فارس وتمكن من الحاق الهزيمة بالدولة العثمانية وطرد قواتها من تبريز وبغداد والموصل كما ألحق الهزيمة بالبرتغاليين وطردهم من البحرين وقشم وهرمز، ولكن علي باشا آفراسياب حافظ على ولائه للدولة العثمانية على الرغم من سقوط أكثر العراق في قبضة الشاه عباس الأول وصمد أمام الحملة الفارسية ضد البصرة بقيادة خان شيراز إمام قولي خان في ١٦٢٤/١٦٢٥، فقد تمكن علي باشا من صدها بمساعدة الأسطول البرتغالي ثم حاصر الفرس البصرة مرة أخرى في عام ١٦٢٦ ولكن وفاة الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٩ اضطرتهم الى رَفْع الحصار عنها.

وهكذا فشلت جميع المحاولات الفارسية لاحتلال البصرة في عهد علي باشا آفراسياب على الرغم من الحصار الشديد لها، فقد بذل سكانها أقصى جهودهم للدفاع عنها. ولكن ولاء علي باشا للدولة العثمانية كان اسمياً فلم يشترك في محاولاتها لاستعادة بغداد من الفرس. وعلى الرغم من ذلك فقد أبقاه السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) في ولاية البصرة بسبب المساعدات التي قدمها لجيوشه اثناء حصار بغداد. ولما عادت بغداد الى الحكم العثماني مرة أخرى في عام ١٦٣٨ فان علاقة علي باشا آفراسياب لم تكن ودية مع ولاة بغداد لمحاولاته المتكررة احتلال مناطق تابعة لنفوذهم[١] مما أدى الى زيادة تدهور العلاقات بين الجانبين.

وبعد وفاة علي باشا في عام ١٦٤٧ خلفه في حكم البصرة ولده حسين باشا (١٦٤٧ - ١٦٦٧) الذي خالف سيرة جده وأبيه فاستبد بالسلطة وأساء السيرة والتدبير، فقد أساء الى أقاربه والى تجار وأعيان البصرة والى السلطات العثمانية التي أرسلت عليه ثلاث حملات لتأديبه وتمكنت في الثالثة من طرده

---

(١) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثاني.
١٦٣٩ - ١٧٥٠ (بغداد، ١٩٥٣) ج ٥ ص ٤٤.
وانظر ايضاً.

Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 108- 109.

واستعادة البصرة لحكمها المباشر[1] مرة أخرى.

وكان قد حدث خلاف بين حسين باشا وبين عميه أحمد آغا وفتحي بك ولدي آفراسياب اللذين فرا الى الأحساء ثم الى بغداد فاستانبول حيث قدما شكوى الى السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) الذي أمر والي بغداد مرتضى باشا بطرده، فقصد والي البصرة في عام ١٦٥٣ وحاصرها ثلاثة أشهر وانتهى الحصار بهرب حسين باشا وأهله الى فارس في عام ١٦٥٤ حيث ترددت الشائعات بأنه قد وضع نفسه تحت حماية الشاه الفارسي[2].

ولكن مرتضى باشا أساء التصرف في البصرة بعد هرب حسين باشا منها؛ فقتل أحمد آغا وفتحي بك أفراسياب وصادر أموال الأعيان والوجهاء المؤيدين لآل آفراسياب فثار عليه أهل الجزاير والمنتفق والخزاعل وبنو كعب وبنو لام وحاصر الثائرون البصرة فاضطر مرتضى باشا الى ترك البصرة بعد فترة قصيرة من احتلالها. واستدعى أهل البصرة حسين باشا آفراسياب فدخلها في عام ١٦٥٤ وبادر الى إرسال الهدايا للسلطان العثماني الذي قبل بالأمر الواقع وأمر بتوجيه البصرة اليه مع لقب وزير. ولكنه طمع في عام ١٦٦٢ بولاية الاحساء المجاورة للبصرة وكان حاكمها قد حرض عليه عميه احمد آغا وفتحي بك بعد لجوئهما اليه في عام ١٦٥٣، فاستولى عليها عنوة وطرد حاكمها محمد باشا[3]. فتوجه الى استانبول واستغاث بالسلطان العثماني الذي أمر والي بغداد ابراهيم باشا بقيادة حملة ضمت جيوش الولايات المجاورة وزادت عن خمسين الفاً من الجنود وزحفت على البصرة في خريف ١٦٦٥ لتأديب حسين باشا آفراسياب وإعادة محمد باشا الى ولاية الاحساء، وحاصرت الحملة القرنة حيث تحصن فيها حسين باشا تاركاً البصرة تحت رحمة الجيش العثماني، وعندما

---

(١) عبد الرزاق الحسني: مرجع سبق ذكره، ص ١٥١.
(٢) Messrs, Spiller And Daniel At Ispahan To The Company. Nov. 11, 1654. (The English Factories In India. Vol. IX 1651- 1654. By William Foster. Oxford 1915.) pp. 296- 297.
(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، (بغداد، ١٩٢٧)، ص ١٣١ - ١٣٣.

أدرك حسين باشا حرج موقفه العسكري، وعدم قدرته على المقاومة قدم الرشوةالى قادة الجيش العثماني[1] واعتذر الى قائد الحملة ابراهيم باشا عن ضم الاحساء اليه وتم الاتفاق بينهما على الشروط التالية:

أ - يتنازل حسين باشا آفراسياب عن الحكم لابنه.

ب - يدفع حسين باشا نفقات الحرب (٦٠٠ كيس) الى خزينة الدولة.

ج - يعود محمد باشا حاكم الأحساء الى منصبه.

د - يسعى ابراهيم باشا لدى السلطاي العثماني للعفو عن حسين باشا.

رفض السلطان العثماني الموافقة على الصلح وأصدر أمره بطرد حسين باشا نهائياً من البصرة وتوجيه الولاية مع لقب الوزارة الى يحيى آغا كتخدا وصهر حسين باشا آفراسياب[2].

واستعد حسين باشا لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية وصادر أموال التجار وهرّب أمواله وأرسل أهله الى فارس واستعد للمقاومة في القرنة، ولكن الجيش العثماني هزمه واستولى على القرنة ودخل البصرة في كانون الأول ١٦٦٧. وهرب حسين باشا مع حاشيته الى شيراز ولحق بأهله وأمواله فيها. وبذلك انتهى استقلال آل آفراسياب في البصرة. ولم يرغب الشاه الفارسي في الاساءة الى علاقته بالسطان العثماني إذا سمح لحسين باشا بالاقامة في بلاده فطلب منه مغادرة شيراز فتوجه الى بندر ريق في ايلول ١٦٦٩ في طريقه الى الهند حاملاً معه أهله وخزائن أمواله وحاشيته[3]، وفي الهند تولى حكم بعض المدن وقتل في الحروب التي جرت مع الحكام الآخرين.

بعد هرب حسين باشا آفراسياب عيّن السلطان العثماني يحيى باشا والياً على البصرة في عام ١٦٦٧ ولكنه وجد نفسه مقيداً بموظفين عثمانيين مستقلين عنه مثل الدفتردار والقاضي وآغا الانكشارية، ولذلك أخذ يجمع من حوله

---

(١) The Surat Presidency, 1666. (The English Factories In India 1665- 1667. By Sir William Foster. Oxford 1925) pp. 158- 159.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٧٨ - ٨٩، ص ٩٠ - ٩٥.

(٣) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India. 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 210.

الأعوان ولما قوي أمره طرد الدفترادار وآغا الانكشارية وطلب من السلطان الانفراد في حكم البصرة في مقابل خراج سنوي قدره ٢٠٠ كيس. وتمكن من القضاء على الفتنة التي قامت بها القوات الانكشارية في البصرة، بسبب التأخر في دفع مرتباتها(١)، بمساعدة القبائل العربية المجاورة للبصرة، ولم ينج من الانكشارية الا من تمكن من الهرب.

ولذلك صدر أمر السلطان العثماني في عام ١٦٦٩ بعزل يحيى باشا وتوجيه ولاية البصرة الى قبوجي مصطفى باشا. وبدأ والي بغداد سلحدار قره مصطفى باشا الزحف على البصرة في تموز ١٦٦٩ فدخلها دون قتال بعد هرب يحيى باشا الى الهند(٢). وتولى حكم البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر عدد من الباشوات العثمانيين، أساء بعضهم السيرة ولذلك قامت الدولة بعزلهم، نذكر منهم قبوجي مصطفى باشا (١٦٦٩ - ١٩٧٢) وحسن باشا (١٦٧٢ - ١٦٧٤) وسلحدار حسين باشا (١٦٧٤ - ١٦٧٧) ثم حسن باشا مرة ثانية (١٦٧٧ - ١٦٨١) وسلحدار حسين باشا مرة ثانية (١٦٨١ - ١٦٨٢) وعبد الرحمن باشا (١٦٨٢ - ١٦٨٦) وكان الوالي الأخير عالماً فاضلاً مجدداً لبناء المساجد والمدارس(٣).

وقد تعرضت البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر الى غارات القبائل البدوية المجاورة لها فقد بقيت عشائر المنتفق والجزاير وغيرها مصدر ازعاج مستمر لولاة البصرة، وتمكنت القبائل البدوية الثائرة من استغلال الخلاف الذي حدث بين السكان في البصرة والوالي احمد باشا بشأن الرسوم والضرائب مما أدى الى نشوب القتال بين السكان والوالي، وعندئذ اتفقت عشائر الجزاير مع قبائل المنتفق فهاجموا أحمد باشا وقتلوه بعد أن تفرق عنه معظم اتباعه كما قتلوا كتخذاه. ونهب الثائرون معسكرات الجيش العثماني في

---

(١) The Surat Presidency, 1668 (The English Factories In India 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 42.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٩٦ - ١٠٠، وانظر ايضاً Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 118- 119.

(٣) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧.

عام ١٦٩٢ فاضطرت السلطات العثمانية في بغداد الى ارضاء الشيخ مانع زعيم المنتفق ليسمح لوالي البصرة الجديد خليل باشا باستلام منصبه، ولكن الشيخ مانع استجاب لنداء أهل البصرة الذين اختلفوا مع خليل باشا. ودخل الشيخ مانع البصرة وحكمها ثلاث سنوات (١٦٩٤ ـ ١٦٩٧)[١]. ولكنه عجز عن ضبطها وحسن ادارتها فاتفق أعيان البصرة على ابعاده واختاروا أحدهم «حسن الجمال» ليقوم بالمتسلمية بانتظار وصول الوالي العثماني الجديد.

واستعدت الدولة العثمانية لاستخلاص البصرة وانقاذها من المنتفق وعهدت بقيادة الحملة الى والي بغداد؛ ولكن وفاة حسين باشا والي ديار بكر في بغداد وقلة الأرزاق أدت الى تأجيل الحملة. وحتى عام ١٦٩٧ لم تتمكن السلطات العثمانية في بغداد من ضبط العشائر المجاورة لها وعجزت عن اخضاع عشائر المنتفق لنفوذها. ولذلك سمح والي بغداد لأمير الحويزة المولى فرج الله المشعشعي التابع للشاه الفارسي بالاستيلاء على البصرة باسم الدولة العثمانية. وأرسل المولى فرج الله مفاتيح البصرة الى الشاه الذي حرص على استمرار العلاقات الودية مع السلطان العثماني فأرسل اليه مفاتيح البصرة مع بعض الهدايا وعين داود خان والياً من قبله عليها حتى تتسلمها الدولة العثمانية منه[٢].

ولكن البصرة ظلت تحت الحكم الفارسي حتى عام ١٧٠٠. وعندما قررت الدولة استعادة سلطتها على البصرة والقرنة عهدت الى علي باشا والي بغداد السابق بقيادة قوات الولايات المجاورة للبصرة وفوضته ببناء أسطول نهري في الفرات ضم ١٢٠ سفينة متنوعة. وعندما سمع سكان البصرة بوصول القوات العثمانية أبدوا الطاعة والولاء، ودخل علي باشا البصرة بعد انسحاب حاكمها الفارسي داود خان في عام ١٧٠٠، وبذلك عادت البصرة الى حوزة الدولة العثمانية[٣]. ولكن مغامس بن مانع شيخ المنتفق انتزعها ثانية من

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 119- 120.

(٢) Ibid. 120.

وانظر أيضاً، عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ص ١٣٨ ـ ١٥٠.

(٣) عباس العزاوي: المرجع السابق، ج ٥ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

واليها العثماني في عام ١٧٠٥ حتى أخرجه منها والي بغداد حسن باشا في كانون الأول ١٧٠٨ وضم البصرة الى ولاية بغداد وأرسل متسلماً لحكمها نيابة عنه.

ومن بين أسباب خراب البصرة في نهاية القرن السابع عشر ظلم الحكام الذين ابتزوا الأموال الكثيرة من السكان، والطاعون الذي أصابها في عام ١٦٩٠ والحق بها أضراراً بالغة، وأصاب الحامية العثمانية فيها وقضى على عدة آلاف من السكان. وفي عام ١٦٩١ كان الطاعون عنيفاً وقدر عدد ضحايا الطاعون بثمانين ألف نسمة ماتوا أو هربوا من البصرة؛ وكان معدل الضحايا اليومي خمسمئة نسمة، وبقيت البصرة مهجورة من معظم سكانها لمدة ثلاث سنوات[١].

ومهما يكن من أمر فقد تراخت القبضة العثمانية على ولاية البصرة في العقد الأخير من القرن السابع عشر لانشغال الدولة العثمانية في حروب طاحنة وعنيفة في الميدان الاوربي ولقيام سلسلة من الثورات المحلية في منطقة البصرة.

---

(١) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty And The Afghan Occupation Of Persia. (Cambridge 1958) p.52; Hamilton, Alexander. A New Account Of Th East Indies (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. by John Pinkerton Vol. VIII. London 1811) p. 293.

وانظر أيضاً: ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، (بغداد، ١٩٦٢) ص ١٦٠.

القبائل العربية في جوار البصرة

كانت القبائل العربية المجاورة للبصرة مصدر ازعاج دائم للحكم العثماني فيها وسنذكر أهمها:

أ ـ المشعشعون

استولى السيد محمد بن السيد فلاح المشعشعي على القسم الشمالي من عربستان وأسس أمارة له في الحويزة في عام ١٤٤١ م امتدت الى جنوب العراق واستولى على البصرة وتوفي في عام ١٥٠٨[١]. وبعد قيام الدولة الصفوية في فارس في مطلع القرن السادس عشر وتوسعها في جهات العراق ضعف نفوذ الامارة المشعشعية بعد حكم دام نحو خمسمئة عام. وبعد ضعفها طمع فيها شيوخ القبائل في عربستان وحرص شيخ كل قبيلة أن يكون صاحب الأمر في قبيلته مما شجع الدولة الصفوية على دعم نفوذها في عربستان[٢].

وبعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ أسرع الشيخ مانع أمير الحويزة بتقديم الولاء للسلطان العثماني فأقره في منصبه. وفشلت المحاولات العثمانية في عامي ١٥٥٤، ١٥٨٤ لاحتلال الحويزة. وقد استفاد أمراء الحويزة من وقوع امارتهم في منطقة الحدود الصفوية العثمانية لتوزيع ولائهم بين السلطان العثماني والشاه الصفوي، وسيطروا على الملاحة في شط العرب وأرغموا السفن النهرية على دفع ضريبة لوكيلهم في القبان.

(١) عماد أحمد الجواهري: مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت، ١٩٦٢) ج ٣ ص ٩٠ ـ ٩١.

وتمكن السيد مبارك في عام ١٥٩٧ من نهب جهات البصرة وسواحل الأحساء وعاث فيها فساداً مستعيناً باعداد كبيرة من العرب والفرس. واستغاث السكان بالسلطان العثماني الذي طلب من الشاه الصفوي وقف حركات السيد مبارك وولده السيد بدر حاكم الدورق[١]. وهكذا خضعت المنطقة الواقعة شرق شط العرب لحكم السيد مبارك وكانت الحويزة ومجذوم (مقطع) والدورق (الفلاحية) من أهم المناطق التي سيطر عليها.

ولكن والي البصرة آفراسياب تمكن من القضاء على نفوذ السيد بدر حاكم الدورق وعلى نفوذ والده السيد مبارك حاكم الحويزة ومنعهما من أخذ الرسوم من جهات البصرة وشط العرب[٢] وانتزع منه القبان. وقد وقف أمير الحويزة السيد منصور على الحياد أثناء محاولات الشاه عباس الأول لانتزاع بغداد من السلطان العثماني والبصرة من آل آفراسياب (١٦٢٣ - ١٦٢٩) وكان الشاه عباس الأول قد عين السيد منصور حاكماً على الحويزة بعد وفاة أخيه السيد مبارك. وقبل احتلال الشاه عباس بغداد في عام ١٦٢٣ طلب من السيد منصور الانضمام الى الحملة الفارسية، ولكنه لم يستجب لرغبته، كذلك رفض التوجه الى اصفهان لمقابلته فطلب الشاه عباس من حاكم شيراز إمام قولي خان أسره أو قتله وتولية السيد محمد بن مبارك بدلاً منه وخاف السيد منصور على نفسه فلجأ مع خمسمئة من أتباعه الى باشا البصرة - علي باشا آفراسياب - الذي منحه مكاناً قريباً من الحويزة ليستقر فيه حتى وفاته في عام ١٦٤٣. وقبل أهل الحويزة بحكم السيد محمد بن مبارك على أن يقيم حامية فارسية في الحويزة[٣].

وفي آخر القرن السابع عشر ضعف نفوذ الحويزة وازداد ضغط القبائل العربية عليها وغزاها بنو لام وانتزع بنو كعب القبان منها. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن أمير الحويزة المولى فرج الله من الاستيلاء على البصرة في عام

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧.
(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٤ ص ١٤٠ - ١٤١ ج ٥ ص ١٤١، ١٥٠.
(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج د ص ٢٣٩٥ - ٢٣٩٧.

١٦٩٧ واستمر حكم المشعشعين لها ثلاث سنوات حتى عام ١٧٠٠ وكان الشاه الصفوي قد أرسل رستم خان سفيراً له ليقدم مفاتيح البصرة والهدايا الى السلطان العثماني.

ب - المنتفق

كانت عشائر المنتفق أكبر مجموعة قبلية وأقواها وأكثرها ازعاجاً للسلطات العثمانية في جهات البصرة في الربع الأخير من القرن السابع عشر. وبعد أن قتل الثائرون والي البصرة أحمد باشا ابن عثمان باشا في عام ١٦٨٨ عهدت الدولة العثمانية بالولاية الى كتخداه حسن آغا الذي هزمه مانع بن شبيب شيخ المنتفق في جزاير البصرة في عام ١٦٩٠ لتقاعس والي بغداد عن نجدته واستولى مانع على حصان وبدره ومندلي، وأرغم خليل باشا والي البصرة الجديد على العودة الى بغداد. فاضطرت الدولة العثمانية الى ارضاء الشيخ مانع بزيادة اقطاعه ليسمح لخليل باشا بالتوجه الى البصرة[1].

ولما استبد أعوان خليل باشا نقم أهل البصرة عليه واتفقوا فيما بينهم في عام ١٦٩٤ على تسليم المدينة الى الشيخ مانع. وفشلت محاولة علي باشا والي بغداد في عام ١٦٩٥ لانقاذ البصرة بمساعدة قوات ولاة ديار بكر وكركوك والموصل والرها؛ ولكنه لم يستطع بسبب وفاة حسين باشا والي ديار بكر في بغداد وعودة أكثر جنوده الى بلادهم لقلة الأرزاق، وبقي الشيخ مانع في البصرة حتى أخرجه منها حاكم الحويزة المولى فرج الله في عام ١٦٩٧ وعين الشاه داود خان حاكماً على البصرة حتى تتمكن الدولة العثمانية من استلامها. وقد تم لها ذلك بعد ثلاث سنوات[2]. فعادت الى الحكم العثماني في عام ١٧٠٠.

ولكن الشيخ مغامس بن مانع تمكن من الاستيلاء على البصرة في عام ١٧٠٥ وعندما طلب الهولنديون منه حماية وكالتهم التجارية في البصرة، والآباء

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٣٥ - ١٤١.
(٢) علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص ١٣٧ - ١٤٠.

الكرمليون حماية كنيستهم ودارهم، استجاب لهم وحصل الهولنديون في عهده على امتيازات خاصة فازدهرت تجارتهم في أسواق البصرة[1].

ج - بنو لام

نزح بنو لام من نجد الى منطقة البصرة وامتد نفوذهم من القرنة الى نهر ديالي وسيطروا على الطريق التجاري بين بغداد والبصرة وساعدهم موقعهم الجغرافي على الاستفادة من الصراع العثماني - الصفوي. وكلما ازداد ضغط السلطات العثمانية في بغداد والبصرة عليهم استعانوا بالسلطات الفارسية[2]، أو لجأوا الى أراضيها.

وكان السيد براك بن مفرج بن سلطان الذي ينتسب الى عشيرة أوس من قبيلة طيّئ أول من قصد العراق من شيوخ بني لام، بعد أن قتل عمه في عام ١٥٤٦ وهرب الى البصرة ثم تركها وتوجه الى الحويزة عاصمة المشعشعين. فقرَّبه المولى سجاد زعيم المشعشعين وجعله من مستشاريه وأدخل ولده حافظ مدرسة الأمراء في الحويزة قبل أن يعهد اليه بادارة بعض النواحي (الطيب والدويرج). وأخذ حافظ يستميل القبائل اليه وتمكن من كسبها الى جانبه واستعان بها في غزواته ضد القبائل المناوئة له، وبعد وفاة والده السيد براك في عام ١٥٨٩ اختار حافظ الاستمرار في تقديم الولاء والطاعة للمشعشعين خوفاً من تمرد القبائل الموالية له ومن انتقام قبيلة ربيعة المجاورة لمنطقة نفوذه.

واستغل حافظ بن مبارك انشغال المولى مبارك بن بدران زعيم المشعشعين عن مراقبته فجمع القبائل المؤيدة له وانتصر على قبيلة ربيعة وطردها شمالاً بعيداً عن المنطقة التي يسيطر عليها وأقام حكم بني لام[3]،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧ - ١٤٠ وانظر حامد البازي: البصرة في الفترة المظلمة (بغداد، ١٩٧٠) ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٠٩.

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي (بيروت، ١٩٦٥) ج ٤ ص ٩٢ - ٩٤.

وخلفه أولاده وأحفاده من بعده. وظل بنو لام في القرنين السابع عشر والثامن عشر مصدر ازعاج لولاة بغداد.

د ـ آل عليان

سيطر آل عليان من امراء طيِّئ في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الملاحة النهرية في شط العرب وكانت العشائر في جهات البصرة من أقربائهم وتصرفوا ببعض النواحي والقرى، وتولوا زعامة العشائر في أنحاء واسط. وعجز العثمانيون عن تثبيت نفوذهم في المنطقة الخاضعة لآل عليان على الرغم من احتلالهم المؤقت للمدينة مركز آل عليان في عام ١٥٤٩. كذلك فشل الأسطول العثماني في عام ١٥٥٤ في احتلال حصون آل عليان في منطقة الجزاير وفي عام ١٥٦٧ قاد والي بغداد اسكندر باشا ضدهم حملة برية ونهرية وساعده في حملته ولاة شهر زور والبصرة وبعض الأمراء الأكراد(١)، واضطرهم الى طلب الصلح ودفع الغرامة وتقديم الرهائن بعد قطع أشجار النخيل واتلاف المحصولات. وفي عهد آل آفراسياب تم اقرار السلام مع آل عليان.

هـ ـ الخزاعلة

ورد اسم الخزاعلة في العراق لأول مرة وهم من طيِّئ خلال الحكم الفارسي لبغداد (١٦٢٣ ـ ١٦٣٨)، وأظهر زعيمهم مهنا العصيان في أطراف السماوة على السلطان العثماني، وقطع الطريق في تلك الجهات. كذلك لم يذعن الشيخ سلمان بن عباس الخزعلي للسلطات العثمانية في عام ١٧٠٠ واستولى على النجف الأشرف وبعض جهات العراق الجنوبية ولم يتمكن ولاة بغداد من اخضاعه وجمع جيوشاً بلغت زهاء أربعين ألفاً من المشاة والفرسان من البصرة للاستيلاء على الحلة. ولكن خذله البدو في جيشه اثناء الاشتباك مع القوات العثمانية التي ضمت قوات ولاة بغداد وديار بكر وشهر زور فلحقت به

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٠٦ ـ ١٠٩.
وانظر عبد الكريم غرابية، مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٩ ـ ١٠٧، ١٠٨.

الهزيمة. واضطر في عام ١٧٠٢ الى طلب الأمان من السلطات العثمانية وتعهد تقديم ابنه ووالده رهينة وبتأدية الضرائب للدولة[١]. وازدادت قوة الشيخ سلمان وصاهر القبائل العربية المجاورة له ولكن الدولة العثمانية هزمته مرة أخرى فالتجأ الى مغامس بن مانع شيخ المنتفق في عام ١٧٠٥.

و ـ بنو كعب

استقرت قبيلة بني كعب في القبان على الساحل بين بندر هشور وشط العرب في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر مكافأة لها على الخدمات التي قدمتها لحكام البصرة من آل آفراسياب. وتحت حكمهم عززت قبيلة كعب مركزها في تلك الجهات. وقد وقفت قبيلة كعب بقيادة شيخها بدر بن عثمان للدفاع عن البصرة ضد الغزو الفارسي لها خلال الفترة (١٦٢٤ ـ ١٦٢٩) وحصلت على الجزر الواقعة عند مصب شط العرب مكافأة لها على اخلاصها.وبعد عودة البصرة الى الحكم العثماني المباشر ١٦٦٩ استمر بنو كعب في المنطقة التي استقروا فيها في عهد آل آفراسياب.

ثم وصلت قبيلة كعب الى منطقة عربستان[٢] في الربع الأخير من القرن السابع عشر. وكانت القبان على رأس خور كنكه أحد فروع خور موسى من أكبر مواطنهم الأولى في عربستان. وكان بنو كعب من رعايا الدولة العثمانية على الحدود الفارسية، فقد دفعوا مبالغ من المال لخزينة الباشا العثماني في البصرة. وخلال الاضطرابات التي تلت وفاة نادر شاه أصبح لبني كعب أراضٍ في فارس. وبذلك أصبحوا رعايا للدولتين العثمانية والفارسية فكانت

---

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٢٠ ـ ٢١ ص ١٥٢ ـ ١٥٤.

(٢) تشمل منطقة عربستان الأراضي الرسوبية بين الجبال والبحر إلى الجنوب الشرقي من العراق، وتضم سهل ديزفول وتستر والحويزة وتمتد من نهر الكرخة إلى المحمرة غرباً وأعلى منابع نهر الكارون شمالاً وشط العرب والخليج العربي جنوباً ونهر هنديان شرقاً.
انظر: صالح محمد العابد: إمارة كعب العربستانية (الفصل السادس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية (بغداد، ١٩٨١) ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠.

القبان في الجانب العثماني وكانت الدورق في الجانب الفارسي[1] وأصبحت لبني كعب رئاسة القبائل العربية في الجنوب واتخذوا القبان مركزاً لهم.

(١) تعود بداية استيطان كعب في عربستان إلى عام ١٦٨٣ م انظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٢٣٩٧، وانظر، أيضاً، حسين خلف الشيخ خزعل: مرجع سبق ذكره، ج ٣ ص ٩٣.

ولاية الأحساء

كانت الأحساء خاضعة لحكم الجابري أحد زعماء قبيلة قيس العربية، ولكن بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ أعلن شيوخ الأحساء والقطيف عن ولائهم وخضوعهم للحكم العثماني لحاجتهم الى الحماية العثمانية ضد التحالف البرتغالي الفارسي، وقد ضمت ولاية الأحساء وفقاً للتقسيمات الادارية العثمانية القطيف والمبرز وجبرين وقوبان والتهامية وعيون وغيرها[١]، والبحرين في بعض الأحيان. وكانت الأحساء تتبع ولاة بغداد ويرسل شيوخها اليهم الهدايا ويشاورونهم في المسائل المهمة، واستمر الحكم العثماني في الأحساء بمساعدة قبائل المنتفق العربية، ولم تكن لولاة الأحساء ـ فاتح باشا وعلي باشا ومحمد باشا وعمر باشا ـ صلاحيات واسعة فيها. وعندما حدثت الفتنة بين حسين باشا آفراسياب وعميه أحمد آغا وفتحي بك وقف والي الأحساء العثماني الى جانبهما وقدم لهما المساعدة ولذلك انتقم حسين باشا منه باستمالة القبائل العربية في شرق الجزيرة وفي مقدمتها قبيلة بني خالد أقوى القبائل العربية في شرق الجزيرة خلال القرن السابع عشر، وزعيمها آنذاك براك بن غرير آل حميد الخالدي، ونجح حسين باشا آفراسياب في الاستيلاء على الأحساء بمساعدة براك.

ولكن ما لبث أن نشب خلاف بين حسين باشا آفراسياب وبني خالد فأرسل حسين باشا جيشاً بقيادة صهره وكتخداه يحيى آغا، فهرب براك وطلب أعيان الأحساء الأمان من يحيى آغا وبذلك عادت الأحساء الى حكم

(١) Ozbaran, Salih. Op.Cit. p. 56.

آل آفراسياب[١]. وبعد طرد حسين باشا آفراسياب من حكم البصرة في عام ١٦٦٧ تمكن براك من ارغام والي الأحساء العثماني عمر باشا على الاستسلام في عام ١٦٧٠، وبذلك انتهى الحكم العثماني فيها وظل براك يحكم الأحساء حتى وفاته في عام ١٦٨٢. وكان براك أول من أسس حكم بني خالد في الأحساء بعد طرد العثمانيين منها[٢]. وبعد وفاته خلفه أخوه محمد بن غرير في حكمها.

(١) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ٧٤ ـ ٧٧.
(٢) أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٤٧ ـ ٤٨ ص ٦٠ ـ ٦١.

تجارة البصرة

كانت البصرة في النصف الأول من القرن السادس عشر مركزاً تجارياً مهماً حيث تتجمع فيها البضائع من مختلف الأقطار ثم يعاد توزيعها مرة أخرى. وبذلك قامت البصرة بدور الوسيط التجاري، فقد كانت البضائع الشرقية تأتيها من الهند وتنقل منها الى فارس وموانئ بلاد الشام والجزيرة العربية والأناضول، ومن موانئ البحر المتوسط تنقل الى الموانئ الاوروبية.

وقد تأثرت تجارة البصرة نتيجة أطماع ولاة البصرة وبغداد في أموال التجار المحليين والأجانب وفقدان الأمن والاستقرار في بعض الأحيان. فقد كان في وسع القبائل البدوية المجاورة للبصرة والقاطنة على طول الطريق التجاري بين البصرة وحلب عرقلة التجارة الداخلية والدولية[1]. كما تأثرت أيضاً من سيطرة البرتغاليين على مضيق هرمز. واشتهرت البصرة بتصدير التمور واشتغلت نسبة لا بأس بها من سكان البصرة في جمعها وتجفيفها وتعبئتها.

ولم تزدهر تجارة البصرة في النصف الثاني من القرن السادس عشر لاستمرار الحروب بين الصفويين والعثمانيين مما أدى الى منع تجارة الشام من الوصول الى بغداد والبصرة لنقل البضائع الشرقية. كذلك ألحقت السياسة البرتغالية باحتكار السيطرة على التجارة الشرقية ضرراً كبيراً باقتصاد البصرة

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية ١٧٥٠ - ١٨٠٠ نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة محمد أمين عبد الله. (بيروت، ١٩٦٥) ص ٥٩. وانظر أيضا، عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر. (بغداد، ١٩٦٦) ص ١٠.

الذي اعتمد على تجارة المرور[1]. فقد كانت البصرة مركزاً تجارياً مهماً لتجارة التوابل التي ترد اليها من الهند والشرق الأقصى عن طريق هرمز ثم توزع في قوافل عبر بغداد الى حلب وغيرها من موانئ البحر المتوسط. ولكن الطرق التجارية المؤدية الى البصرة لم تكن آمنة دائماً بسبب تعرضها لهجمات القبائل العربية وبسبب الصراع شبه الدائم بين الصفويين والعثمانيين وعلى الرغم من ذلك فان التجارة الشرقية لم تنقطع عن البصرة الا في بعض الحالات التي ساد فيها الاضطراب الشديد الطرق التجارية المؤدية اليها.

وقد وصف الرحالة الانكليزي رالف فيتش البصرة في عام ١٥٨٣ بأنها «مدينة ذات تجارة غنية بالتوابل والعقاقير التي تأتيها من هرمز وفيها مخزن كبير للحبوب والرز والتمور التي تنمو فيها بكثرة والتي تزود بغداد وأنحاء العراق الأخرى بها»[2].

وفي عهد آل آفراسياب غدت البصرة مركزاً تجارياً مهماً للتجارة الاوربية، فقد فتح آل آفراسياب أبواب البصرة وممراتها المائية أمام التجار البرتغاليين والانكليز والهولنديين، وأسس البرتغاليون فيها مركزاً تجارياً لهم وديراً للآباء الكرمليين فيها بعد خسارتهم هرمز في عام ١٦٢٢، وبعد أن أسرعوا بتقديم المساعدة العسكرية الى علي باشا افراسياب للدفاع عن المدينة ضد الهجمات الفارسية في عام ١٦٢٤ [3]. وبذلك أصبحت البصرة بعد طرد البرتغاليين من هرمز مركزاً رئيسياً للتجارة البرتغالية في الخليج العربي لا سيما بعد أن أقام البرتغاليون وكالة تجارية ومعهداً للتعليم الديني وحصلوا على تصريح من باشا البصرة لبناء دير للطائفة الكرملية فيها[4]. وظل البرتغاليون

---

(1) (1)Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 290.
وانظر أيضا، طارق نافع الحمداني: تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر، (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٣٤، نيسان ١٩٨٣، ص ٦٣ - ٧٢)، ص ٦٦ - ٦٩.

(٢) Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England?) p. 15. (٢)

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p. 107. (٣)

(٤) The English Factories In India. Vol. III. 1624- 1629. By William Foster (Oxford 1909) p. 22.

حتى عام ١٦٤٠ يشكلون منافساً نشيطاً للتجارة الانكليزية فيها.

وقد تذمر علي باشا في عام ١٦٢٩ من المضايقات الانكليزية والهولندية للتجارة مع البصرة، ومن عرقلة مرور السفن ومصادرة البضائع المتجهة الى البصرة والقطيف وكتب بذلك الى وكلاء الشركة الانكليزية والهولندية في سورات وأبلغ السلطان العثماني بالأذى الذي ألحقه الانكليز والهولنديون بالرعايا العثمانيين وتجارتهم. ولذلك استدعى السلطان العثماني السفير الانكليزي في الآستانة لمعرفة الأسباب الموجبة لذلك(١).

وكان ولاة بغداد يحبذون ازدهار التجارة الانكليزية في البصرة لما يحققونه من فوائد تجارية ورسوم جمركية وازدهار للطريق التجاري بين البصرة وحلب عبر بغداد، وكانت التجارة الانكليزية قد بدأت مع البصرة في عام ١٦٣٥ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية الانكليزية قارباً شراعياً محملاً بالبضائع الهندية اليها. وبعد بضع سنوات أرسلت الشركة الانكليزية بعض مستخدميها الى البصرة لتسويق بضائعها وتأسيس تجارتها في ميناء لا يخضع للحكم الفارسي ويخلو من المكائد والدسائس الهولندية ضد الانكليز، ووصل وكلاء الشركة الانكليزية الى البصرة في ٣١ ايار ١٦٤٠ وحصلوا على تصريح من باشا البصرة العثماني بتفريغ بضائعهم وبيعها في أسواق البصرة. وإذا ما رغبت الشركة الانكليزية الاستمرار في التجارة مع البصرة فينبغي عليها إقامة وكالة انكليزية دائمة فيها(٢).

---

(١) Ali Pasha Of Basra To The English And Dutch Chiefs At Surat. March 1629? (The English Factories In India. Vol. III) p. 324; Alee Bashaw, Bashaw Of Balserra To The Worshipful, The Friends Of The Chieftains Of The English And Dutch Nations Resident At Surat. April? 1629. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625- 1629) pp. 661- 662.

وانظر أيضا، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٦.
واحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة.؟) ص ٢٢٩.

(٢) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating to Persia And The Persian Gulf. (London p. 22.

وقد تمتع وكلاء الشركة الانكليزية في البصرة في عـام ١٦٤٢ ببعض الامتيازات فقد منحهم باشا البصرة قطعة أرض بالقرب من مـركز جمـارك البصرة لتكون مقراً للوكالة الانكليـزية، ولكنـه منعهم من بناء أمـاكن لهم للاقامة أو مخازن لحفظ بضائعهم فيها(١). وكان لدى الوكلاء الانكليز بعض الآمال في التجارة باللؤلؤ والخيول العربية والتمور ولكنهم تذمروا من أساليب التجار العثمانيين معهم ومن اخفاق باشا البصرة العثماني بالوفاء بوعوده التي بذلها لهم في بداية صلاتهم التجارية مع البصرة(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد قررت الشركة الانكليزية في عام ١٦٤٣ نقل بضائعها وممتلكاتها من جمبرون «بندر عباس» الى البصرة لضمان سلامتها وإقامة وكالة دائمة لرعاية مصالحها التجارية فيها ولا سيما بعد ازدياد الخلاف بين الشركة الهولندية والسلطات الفارسية. كما رأت الشركة الانكليزية في عـام ١٦٤٤ أن البصرة هي المكان الذي يمكن للمنتجات الانكليزية أن تحقق فيه فائدة مهمة الى أن تسمح السلطات العثمانية للشركة الهولندية بالتجارة مـع البصرة. وعندئذ سيحضر الهولنديـون على جنـاح السرعة لتخـريب التجارة الانكليزية فيهـا كما فعلوا في المـوانئ الأخرى(٣). وفي تمـوز ١٦٤٥ قامت الشركة الانكليزية بنقل وكـالتها وبضـائعها من جمـبرون «بندر عبـاس» الى البصرة بعد اضطراب العلاقات الهولندية ـ الانكليزية في فارس.

ولكن الشركة الهولندية سرعان ما لحقت بـالانكليز وأرسلت أسـطولاً تجارياً ضم ثماني سفن(٤) محملة بالبضائع الشرقية غزا أسواق البصرة وأغرقها

(١) President Fremlen, Francis Breton, And John Wylde At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1642 (The English Factories In India. Vol. VII 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p. 2, 27.

(٢) Wilbur, Marguerite Eyer, The East India Company And The British Empire In The Far East. (New York 1965). p. 202.

(٣) President Breton, Thomas Merry, And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Nov. 28, 1644. (The English Factories In India. Vol. VII.) p. 199, 208; Hall, Lesley A. Factory Records, Persia And Persian Gulf. 1620-1822. p. 4.

(٤) Robert Crammer, Revett Walwyn, Thomas Cogan, And William Weale At Basra To The Company. July 31, 1645. (The English Factories In India. Vol. VII.) p. 273; Hall, Lesley A. Op. Cit. pp. 4- 5.

بالبضائع في عام ١٦٤٥، وألحق ضرراً بليغاً بالتجارة الانكليزية وقضى على سمعتها في البصرة وتسبب في توقفها مؤقتاً.

وكانت التجارة الانكليزية في البصرة في عام ١٦٤٦ متنوعة من حيث الأصناف ومختلفة من حيث الجودة. وكان هناك طلب على الفلفل ولكن السعر الذي عرضه التجار المحليون على الوكلاء الانكليز كان قليلاً ولذلك قرر الوكلاء الانكليز الامتناع مؤقتاً عن بيع كميات الفلفل التي في حوزتهم(١). وفي مطلع عام ١٦٤٧ لاحظ وكلاء الشركة الانكليزية أن تجارتهم في البصرة فقيرة جداً وعزوا ذلك إلى المنافسة الهولندية الشديدة ولكن السفن الانكليزية ظلت تقوم بشحن كميات صغيرة من البضائع إلى البصرة من مخزون الشركة الانكليزية في فارس لتسويقها. وقد تحسن وضع التجارة الانكليزية في نيسان ١٦٤٨ بعد أن وجدت تشجيعاً من التجار القادمين إلى البصرة(٢) من الولايات العثمانية الأخرى. واستمر التحسن التجاري في أسواق البصرة وتمكنت الشركة الانكليزية من بيع مخزونها من البضائع القديمة في عام ١٦٤٩ وكان الوضع التجاري في صالحها في عام ١٦٥٠ على الرغم من الخسارة التي لحقت بها والتي كانت ضئيلة بمقارنتها بالأعوام السابقة(٣).

ولكن الشركة الهولندية لم تترك الانكليز ينعمون بالتجارة مع البصرة لاسيما بعد طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠، فقد حقق الهولنديون سيطرة تامة على الخليج العربي في الربع الثالث من القرن السابع عشر، واضطرت الوكالة الانكليزية التي أقيمت في البصرة في عام ١٦٤٣ إلى التوقف

(١) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary Of Events. 1600- 1800. p. 11.

(٢) President Breton, Thomas Merry, And William Pitt At Swally Marine To The Company, Jan. 25, 1647;
George Tash And John Lewis At Gombroon To The Company, April, 12, 1648. (The English Factories In India Vol. VII 1646- 1650. By William Foster. Oxford 1914) p. 75, 82, pp. 207- 208.

(٣) President Merry And Messrs. Tash, Pearce, And Oxenden, At Swally Marine To The Company. Jan 25, 1650. (The English Factories In India. Vol. VIII) p. 274, 280.

في عام ١٦٥٧ بعد أن علم والي البصرة حسين باشا أفراسياب بأنها على وشك الإفلاس. وحدث تطور مفاجئ في سياسة الشركة الانكليزية في عام ١٦٦٠ عندما أصدرت تعليماتها لوكيلها في البصرة بالتخلي عن التجارة معها بشكل دائم واخلاء عقاراتها منها بعد الاهتمام السابق بها(١).

واستمرت التجارة الانكليزية مع البصرة على نحو متقطع بواسطة السفن التجارية التي ارسلت خصيصاً من سورات إلى ميناء البصرة باشراف مستخدمي الشركة الانكليزية حيث جرت العادة ارسال موظف أو أكثر من سورات أو جمبرون ومن وقت لآخر إلى البصرة للاشراف على البيع والشراء وبعد استكمال المهمة التي أوفد من أجلها يعود الموظف إلى مركزه السابق(٢). ووردت إشارات في الوثائق الانكليزية إلى سفن البصرة في بعض المناسبات ولكن الشركة لم تذكر معلومات عن وصولها ومغادرتها وبضائعها ومبيعاتها التي حققت فائدة، ومن الأمثلة على ذلك وصول سفينة انكليزية في آذار ١٦٦١ إلى ميناء البصرة(٣).

وقد تحسن وضع التجارة الانكليزية في البصرة والدولة العثمانية في عام ١٦٦١ بعد الامتيازات التي حصل الانكليز عليها(٤) وتعديلها في عام ١٦٧٥ مما شجع سفن الشركة الانكليزية على الاستمرار في التردد على البصرة. ففي نيسان ١٦٧٦ وصلت سفينة انكليزية من سورات محملة بالبضائع الشرقية لحساب تاجر انكليزي، ويستدل من وثيقة مؤرخة في ١٤ تموز ١٦٧٧ أن الوكيل الانكليزي في بندر عباس قد أشرف على وكالات الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي(٥).

ولكن التجارة مع البصرة تدهورت نتيجة الحرب بين حسين باشا

---

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. Op. Cit. p. 202.

(٢) Precis Containing Information Regard To The First Connection Of The Ho-n'able East India Company with Turkish Arabia. (Calcutta, 1874) pp. 11- 12.

(٣) Ibid. p.11.

(٤) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٨

(٥) Precis Containing Information etc. Op. Cit. p. 12.

آفراسياب والي البصرة والدولة العثمانية في عام ١٦٦٩، مما أدى إلى اضطراب الحكم في البصرة وزيادة الضغط الفارسي من جهة والى اعتداءات العشائر البدوية من جهة أخرى، بالاضافة إلى جشع باشوات البصرة العثمانيين واستمرار الحروب بين الدولة والثوار(١). وقد أدى ذلك إلى عدم الاستقرار في البصرة وبالتالي إلى انصراف عدد كبير من التجار الأجانب عنها مما أضعف حركة التجارة فيها. فقد نتج عن الحرب بين حسين باشا آفراسياب وجيوش الدولة العثمانية في عام ١٦٦٩ كساد تجاري في أسواق البصرة وهجرة سكانها وانتقلت العدوى إلى الأسواق الفارسية التي غمرتها البضائع المهربة من البصرة مما ألحق بالتجار المحليين والأجانب بعض الخسائر(٢).

ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت تجارة البصرة في عهد آل آفراسياب (١٥٩٦ - ١٦٦٩) فقد أسسوا فيها مراكز الجمارك والجيش النظامي، وقصدها التجار من مختلف أنحاء الدولة العثمانية، وجاءها الهولنديون والانكليز بالتوابل وزاد الطلب على تمورها وازدهرت الملاحة النهرية في شط العرب وتمتعت الطوائف الدينية المختلفة في عهدهم بالتسامح الديني كما اتصف حكمهم بتشجيع الحركة العلمية والأدبية ورحبوا بالتجار الأجانب وسمحوا لهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية. ولكن العائلات التجارية المتنفذة في البصرة وقفت ضدهم وحرضت السلطان العثماني عليهم وساهمت في تمويل الفتن والاضطرابات ضدهم؛ بينما وقفت القبائل البدوية المجاورة للبصرة إلى جانبهم(٣) لنفورها من محاولات الدولة العثمانية العرب الخاضعين لحكمها في منطقة الخليج العربي بحزم وقسوة لا سيما في حالات التمرد ضدها وأبقت على السكان في مستوى متدن من العيش. وقد اشتمل نشاط السكان في البصرة على تربية الخيول حيث كان للعرب خبرة وبراعة في تربيتها وكذلك عمل

---

(١) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India, 1668- 1669. By William Foster. Oxford 1927). p. 200, 210.

(٢) Ibid. p. 204.

(٣) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢ - ١٠٣

السكان في الملاحة النهرية وكان في البصرة عدد من اليهود الذين عاشوا على السمسرة والصرافة(١).

وبعد أن تمكنت الدولة العثمانية من استعادة الحكم المباشر في البصرة عينت عليها مصطفى باشا الذي لم يتمكن في عام ١٦٧٠ من دفع حصة الدولة ونفقات الادارة والجند. ولذلك طالب باعفاء البصرة من بعض الضرائب وشكل لجنة من ذوي الكفاءة لإعادة تحرير دفاتر البصرة وتحديد الأراضي ورسومها ومعادلة الايرادات والنفقات، وحصل على موافقة السلطان العثماني على التنظيم الجديد(٢). ثم حكم البصرة بعد مصطفى باشا عدد من الولاة العثمانيين لكنهم لم يوفقوا في تثبيت الحكم العثماني فيها ولم ينجحوا في نشر الأمن والاستقرار في أنحاء الولاية وبقيت العشائر البدوية في المناطق المجاورة للبصرة مصدر ازعاج مستمر للسلطات العثمانية.

وبعد سقوط حكم أل آفراسياب استمرت التجارة الأوربية مع البصرة. ففي عام ١٦٩٠ سمح باشا البصرة العثماني للبرتغاليين بالتمتع بالحرية التجارية والدينية الكاملة وبعدم دفع ضريبة أكثر من ٣٪ على بضائعهم(٣). كما اهتمت الشركة الانكليزية بالبصرة لتأمين نقل بريدها من الهند إلى الخليج العربي ثم نقله براً بواسطة الطريق الصحراوي إلى حلب أو اللاذقية ثم إلى آسية الصغرى ومنها إلى موانئ اليونان وايطاليا، ثم عبر القارة الأوربية إلى انكلترا. وقد امتاز طريق الخليج العربي على طريق البحر الأحمر بالسرعة والأمان ولا سيما بعد أن تمكنت الشركة من استرضاء القبائل التي يمر البريد الانكليزي بأراضيها(٤).

وفي الفترة التي حكم فيها الفرس البصرة (١٦٩٧ - ١٦٩٩) لم تفقد

---

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 293- 294.

(٢) عباس العزاوي: مرجع سبق ذكره، ج ٥ ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣) Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII, London 1914) p. 40.

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤.

البصرة مكانتها التجارية، وخلال الربع الأول من القرن الثامن عشر تحسنت الأوضاع الاقتصادية في البصرة فقامت الشركة الانكليزية بتأسيس مركز دائم لها في البصرة في عام ١٧٢٣ أداره وكيل انكليزي مقيم فيها تحت اشراف الوكيل الانكليزي في بندر عباس. واحتلت البصرة المركز الثاني من حيث الأهمية في التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي بعد بندر عباس.

الفصل الثالث

اليعاربة

حكم ملوك بني نبهان عمان[1] منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وأقاموا فيها حكماً ملكياً وراثياً واستقروا في منطقة الجبل الأخضر[2] وفي آخر عهدهم ضعفت سلطتهم واقتسمها امراء من بني نبهان وآل عمير وآل هلال[3] اهتموا بتأكيد نفوذهم وسيطرتهم على قبائلهم في الداخل، بينما كان الساحل العماني تحت حكم ملوك هرمز منذ عام ١٢٧٠م، وأقاموا فيه وكيلاً لهم في

(١) يشمل الاصطلاح الجغرافي لعمان الربع الخالي وساحل الهدنة وجزر كوريا موريا. وشملت عمان في الماضي منطقة أوسع مما هي عليه الآن وامتدت حدودها في القرن الثامن الميلادي حتى عدن غرباً والبحرين شمالاً، ومما يجدر ذكره أن تاريخ عمان القديم يكتنفه بعض الغموض. واشتهرت عمان بخصب أراضيها. ووصفها ابن بطوطة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي بأنها بلاد خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس، وقاعدتها نزوى وهي في سفح جبل تحف به البساتين والأنهار. انظر، شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٢. وانظر أيضاً، أرنولد ويلسون: الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف (الكويت، ؟) ص ١٤٩ - ١٥١، ٢٠٧. وانظر كذلك،

The Geographical Section Of The Naval Intelligence Division, A Hand Book Of Arabia. Vol. I. p. 237; Hamilton, Alexander. A New Account Of The East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. Digested By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811). p. 288.

(٢) عرف أيضاً بجبل اليحمد أو رضوى.

(٣) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف: عمان - تاريخ يتكلم - (دمشق، ١٩٦٣) ص ١٥٣ - ١٥٤.

مدينة قلهات لتحصيل الرسوم الحمركية من الموانئ التابعة لهم[1]. وتمتع ابن جابر بسلطة واسعة في عمان الداخلية. ومد شيوخ بني جابر نفوذهم على بعض مدن الساحل العماني وهددوا الحامية الهرمزية في صحار في الربع الأول من القرن السادس عشر.

أما الغزو البرتغالي للساحل العماني فقد وقع في عهد الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل (١٥٠٠ ـ ١٥٣٥) عندما استولى البرتغاليون في عام ١٥٠٧ على موانئ قريات ومسقط ومطرح وصحار وخورفكان. وأقام الإمام بركات في الرستاق[2] بينما تمتعت نزوى وبهلى وغيرهما بقسط وافر من الاستقلال في عهده. فقد كانت بهلى عاصمة عمان في عهد بني نبهان ومارست نزوى نفوذاً واسعاً على المناطق المجاورة لها. واتخذها سلطان بن محسن بن سليمان أول ملوك بني نبهان المتأخرين عاصمة له[3]. وفي نهاية عهد ملوك بني نبهان المتأخرين انتشرت الفوضى والحرب الأهلية في عمان، وفشل بنو نبهان في منع الحروب بين القبائل وانتقلت السلطة الفعلية إلى عمير بن حمير ملك سمايل الذي اخضع معظم المناطق الداخلية في عمان لنفوذه وقام بدور مهم في النزاعات القبلية التي حدثت في عمان خلال الربع الأول من القرن السابع عشر، وأيدته القبائل العمانية ضد ظلم بني نبهان.

ونشب نزاع بين عمير ومحمد بن مهنا الهديفي شيخ صحار لاغارة

---

(١) يقع الساحل العماني أو الباطنة خارج منطقة الخليج العربي وأطلق عليه اسم الباطنة لأنه يمثل جوف عمان وتمييزاً له عن الظاهرة التي تمتد من البريمي شمالاً حتى جبل الكور جنوباً وتنتهي في منطقة الجبل الأخضر. أما المنطقة الشمالية من الساحل العماني. «ساحل الصلح أو الهدنة» فهي الوحيدة من مناطق عمان التي تقع ضمن منطقة الخليج العربي. انظر. جون ب. كيلي: بريطانيا والخليج ١٧٩٥ـ ١٨٧٠، ترجمة محمد أمين عبد الله. (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٩ ـ ١١. ومحمد متولي: حوض الخليج العربي (القاهرة، ١٩٧٤) ج ١ ص ١٥.

(٢) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p. 155.

(٣) نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (القاهرة، ١٩٦١) ج ١ ص ٣٨٨ ـ ٣٩٨. وانظر أيضاً، محمود علي الداود: ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي (مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد ٨ لعام ١٩٧٧) ص ١١ ـ ١٢.

الأخير بتحـــريض من سلطان بن حمير على مقاطعة السيب التابعة لنفوذ عمير أثناء غيابه عنها في بهلى[1]. فاستعان عمير بالبرتغاليين وبملك هرمز للاستيلاء على صحار. وفي مقابل مساعدته على الأخذ بثأره وافق على وضع صحـار تحت السيطرة البرتغالية. وانتصر عمير بن حمير وقتل خصمـه محمد بن مهنا الهـديفي في عام ١٦١٦ وعـاد إلى سمايـل بكثير من الغنـائم. وبـاستيـلاء البـرتغـاليـين عـلى صحـار تخلصـوا من منـافستهـا لمينـاء مسقط الخـاضـع لاشرافهم[2].

وقام عمير بن حمير بدور مهم في حسم النزاع بين مالك بن أبي العرب شيخ الرستاق ومن زعماء اليعاربة[3] وبين بني لمك حيث وقف عمير إلى جانب مالك وحشد القبائل لنصرته في عام ١٦١٧. وبفضل المساعدة العسكرية التي قدمها عمير تمكنت قوات مالك من القضـاء على قـوات بني لمك، ونجـح اليعاربة في توطيد حكمهم في الـرستاق والاطـاحة بحكم ملوك بني نبهـان وطردهم من موطنهم الاصلي في حجر[4].

وعندما اشتد ظلم الحكام للرعية، وانتشرت الفوضى في مختلف أنحاء عمان وزادت حدة الصراعات القبلية وانغمست معظم القبائل العمانية فيها[5] اجتمع حوالي سبعين من كبار العلماء ورجال الدين في الرستاق والحوا على ناصر بن مرشد قبول البيعة بالإمامة فقبلها في عام ١٦٢٤.

---

(١) Miles, S B Op. Cit. p. 183.

(٢) نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٨٨ - ٣٩٨. وانظر أيضاً، عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. (بيروت، ١٩٧٥) ص ٤٠ - ٤٣.

(٣) ينتسب اليعاربة إلى نصر بن زهران. وهم أحد بطون بنى نبهان التي هاجرت من اليمن، وقد تمتعت قبيلة اليعاربة كغيرها من القبائل العمانية باستقلالها وتميزت عنها بالاستقرار شأن غيرها من القبائل العربية التي أقامت في الرستاق. انظر: نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٣ - ١١. وانظر أيضاً، سالم بن حمود السيابي: اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان (؟، ١٩٦٥) ص ١١٩ - ١٢٠.

(٤) لوريمر، ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي (الدوحة، ١٩٧٦) ج ٢ ص ٦٢٩ - ٦٣١.

(٥) Miles, S.B. Op. Cit p. 192.

الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ - ١٦٤٩).

بدأ الإمام ناصر بن مرشد عهده بتوحيد عمان ونجح في القضاء على معارضة شيخ الرستاق مالك بن أبي العرب وعلى منافسة القبائل لبعضها[١] ودخلت نزوى وسمايل وأزكى وغيرها في طاعته ثم توجه إلى الظاهرة وصم فدك وعبرى ومقنيات، وحظي الإمام ناصر بن مرشد بتقدير واحترام الأهالي في عمان لعدله ونزاهته وقوة شخصيته وحياته البسيطة والبعيدة عن الترف[٢]. وبعد أن فرغ الإمام ناصر بن مرشد من توحيد القبائل العمانية كرس جهوده لتحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي وأعلن الجهاد ضدهم وتمكن من طردهم من معظم مراكزهم المنيعة، فاستولى على جلفار واسترد صحار في عام ١٦٤٣. ولكن الحامية البرتغالية في مسقط قاومت الحصار الذي فرضه الإمام عليها في عام ١٦٤٣، ولذلك تم الاتفاق معها على دفع الجزية للإمام بانتظام والسماح لعرب عمان بحرية التجارة، كما تعهدت الحامية البرتغالية بالامتناع عن القيام بحركات معادية وهدم التحصينات البرتغالية في سمد وقريات في مقابل احتفاظها بمسقط[٣].

ولكن البرتغاليين خالفوا شروط الاتفاق، وقدموا مساعدة إلى سيف بن محمد شيخ ليواو عدو الإمام ناصر بن مرشد[٤] وأساءوا معاملة مبعوثي الإمام ورفضوا دفع الجزية باعتبارها اذلالاً لهم. وأمرت السلطات البرتغالية في جاوه باستئناف الحرب ضد الامام ناصر بن مرشد الذي جهز حمله عسكرية في عام ١٦٤٨ أرغمت الحامية البرتغالية في مسقط على القبول بشروط إتفاقية ١٦٤٣ مرة أخرى.

---

(١) Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa. (Translated From The German, By Jean F. Wallwork. Nairobi 1968) p 197

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 286.

(٣) جمال زكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٨٤١ - ١٨٦١ (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٢٠ - ٢١.

(٤) Miles, S B. Op. Cit. p. 194.

الإمام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨)

بعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٤٩ بويع ابن عمه سلطان ابن سيف بالإمامة، وتمكن من الاستيلاء على مسقط[١] في رجب ١٠٥٩ هـ/ كانون الثاني (يناير) ١٦٥٠ وانتزع صور وقريات على الساحل العماني من البرتغاليين ثم تتبعهم إلى سواحل الهند الغربية وافريقية الشرقية[٢] وفرض الحصار على ممباسة في عام ١٦٦٠ لمدة خمس سنوات، وغنم كثيراً من أموالهم ودمر كثيراً من مراكبهم وأرسل السفن لمهاجمة مواقعهم في ديو ودامان في ساحل كجرات وحمل معه التحف الذهبية والفضية من الكنائس البرتغالية فيها[٣].

ونجح الإمام سيف بن سلطان في تقوية مركزه العسكري في الخليج العربي وتمكن من تأسيس أسطول قوي ضم بواسطته عدة جزر في الخليج مثل قشم والبحرين[٤]. أما في الداخل فقد اهتم الامام باجراء اصلاحات عسكرية وعمرانية، فبنى قلعة مستديرة في نزوى وأصلح القناة التي تصل بين أزكى ونزوى واهتم بالتجارة وأرسل مبعوثيه إلى حكام الهند وفارس والبصرة، وقد أدى انشغال الإمام بالتجارة إلى نفور رجال الدين منه لأنها لا تليق بمركزه الديني من وجهة نظرهم[٥]. ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت عمان في عهد الإمام سيف بن سلطان وسادها الهدوء والاستقرار وعمها الرخاء فأمنت طرقها وزادت ارباحها التجارية.

الإمام بلعرب بن سلطان (١٦٦٨ - ١٦٨٨).

بويع له بالإمامة بعد وفاة والده سلطان بن سيف ونقل عاصمته من

(١) استولى الامام سلطان بن سيف على مسقط بمساعدة سكبيلة الهندي الذي أخبره بالموعد المناسب للهجوم على الحامية البرتغالية فيها ولذلك رفع الامام الجزية عن سكبيلة ونروتيم وذويهما. انظر. نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٤٥ - ٦٧.

(٢) محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٣) Badger, George Percy - Translator - History Of The Imams And Seyyids Of Oman. By Salil-Ibn-Razik. From: 66 - 1856. (U.S.A. 1963) p.XXVII

(٤) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

(٥) Miles, S.B. Op. Cit. p. 213.

نزوى إلى جبرين بعد أن بنى حصناً فيها، وأكثر من بناء القلاع والحصون في عمان. وفي آخر عهده ثار عليه أخوه سيف، وعندما عجز بلعرب عن حرب أخيه اجتمع أعيان عمان وبايعوا سيفاً بالإكراه(١) بعد أن نجح في فرض سيطرته على القلاع الرئيسية في عمان وحاصر أخاه بلعرب في قلعة جبرين، وبوفاة بلعرب ـ أثناء الحصار(٢) انفرد سيف بن سلطان بحكم عمان.

الإمام سيف بن سلطان (١٦٨٨ ـ ١٧١١)

بلغت عمان في عهده أوج قوتها وازدهارها؛ فقد اهتم بالزراعة لاسيما زراعة النخيل التي قدرت ثروته منها بثلث نخيل عمان(٣). فزرع في بركا ثلاثين ألف فسيلة نخل وستة آلاف شجرة من جوز الهند(٤). ويبدو أنه قد استفاد من حصته في الغنائم في بناء الحصون وامتلاك الأراضي. كذلك أصلح الافلاج القديمة وبنى أخرى جديدة في الرستاق والحزم وغيرها حيث أجرى في عمان سبعة عشر فلجاً(٥). وازدهرت في عهده تجارة عمان الخارجية بفضل أسطوله البحري الذي ضم ٢٨ سفينة و٢٤ مركباً. وكان الفلك أكبر سفن الاسطول وحمل ٨٠ مدفعاً من عيار ٢٨ بوصة واستفاد الإمام من طموح القبائل العمانية ونزعتها الحربية فوجهها نحو الجهاد ضد البرتغاليين(٦) حتى تمت له الغلبة عليهم وتعقبهم في ممتلكاتهم الهندية والافريقية فهاجم ديو وامتدت غزواته إلى ساحل كجرات وبارسالور ومانجالور بالقرب من بومباي(٧) وأخذ منهم ممباسة وكيلوه وبات وغيرها من الموانئ الساحلية في

---

(١) يرى بعض العلماء ورجال الدين في عمان أن بيعة سيف بن سلطان غير صحيحة لأنها تمت بالاكراه، انظر، نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٧٦ ـ ٩٦.

(٢) محمد بن عبدالله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٣) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (London 1931) p. 119; Miles S.B. Op. Cit. p. 225.

(٤) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، (لندن، ؟) ص ٣٨.

(٥) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٩٧ ـ ١٠٠. وانظر أيضاً.
Skeet, Ian. Muscat And Oman. (London 1974). p.39.

(٦) Ingrams, W.H. Op. Cit. p. 120; Miles, S.B. Op. Cit. p. 225.

(٧) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

شرق أفريقية، وغزا فارس. وبعد وفاته في الرستاق في عام ١٧١١، أخذ ازدهار عمان يخبو سريعاً.

الإمام سلطان بن سيف (١٧١١ - ١٧١٨)

بويع له بالإمامة بعد وفاة والده سيف بن سلطان واهتم بالعمران وأنفق أموالاً كثيرة عليه، وبنى حصن الحزم وانتقل اليه من الرستاق، واطاعته الرعية. وأخرج الفرس من جزر البحرين وقشم ولارك وهرمز، وبعد وفاته في حصن الحزم في عام ١١٣١ هـ/ ١٧١٨ م عمت الفتن عمان وانتشرت الفوضى وعادت العصبية القبلية إلى عمان من جديد[١]. فقد حدث خلاف بين العلماء والعامة. فبينما بايع العلماء مهنا بن سلطان بن ماجد رغب زعماء القبائل في مبايعة سيف بن سلطان إماما على الرغم من صغر سنه[٢]. وقد أدى هذا الخلاف إلى قيام منافسة شديدة تطورت إلى حرب أهلية خلال الفترة (١٧١٨ - ١٧٢٨) بين مؤيدي الجانبين.

الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد (١٧١٨ - ١٧٢٠)

لم يستمر مهنا بن سلطان في حكم عمان سوى فترة قصيرة، فقد خرج عليه يعرب بن بلعرب في عام ١٧٢٠ وقتله غدراً بعد أن منحه الامان.

الإمام يعرب بن بلعرب (١٧٢٠ - ١٧٢٢)

أقام يعرب فترة قصيرة بعد توليه الحكم في الرستاق ثم توجه إلى نزوى فدخلها في عام ١٧٢١، ولكنه أرغم على التنازل إلى سيف بن سلطان بعد أن حاصره اتباع سيف في قلعة نزوى واضطروه إلى طلب الامان والتوجه إلى جبرين حيث مات فيها في عام ١٧٢٢ وبويع سيف بن سلطان إماما وخضعت لحكمه القبائل العمانية[٣].

---

(١) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١١٠ - ١١٤. وانظر أيضاً، محمد بن عبدالله السالمي وناجي عساف: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٢) كان عمر سيف بن سلطان عند وفاة والده في عام ١٧١٨م اثني عشر عاماً.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١١٥ - ١٢٤.

الإمام سيف بن سلطان (١٧٢٢ - ١٧٤٣)

بويع سيف بن سلطان بالإمامة في عام ١٧٢٢ بعد أربع سنوات من عدم الاستقرار في عمان (١٧١٨ - ١٧٢٢)، ولصغر سنه تولى محمد بن ناصر الغافري الحكم باسمه، وينسب إلى قبيلة بني غافر العدنانية وعرف اتباعه بالغافرية، وفي عام ١٧٢٤ انتخب محمد بن ناصر إماما على الدفاع[١] بتأييد من القبائل العدنانية. ولكن انتخابه لقي معارضة شديدة من خلف بن مبارك الهناوي الملقب بالقصير وينتسب إلى قبيلة بني هنا اليمنية وعرف اتباعه بالهناوية. وبدأت المعارك بين الغافرية والهناوية بالقرب من بركا حيث هزم محمد بن ناصر خلف بن مبارك وفرض الحصار عليه في حصن بركا، ولكنه اضطر للعودة إلى الرستاق التي حاصرها اتباع خلف بن مبارك وقتلوا حاكم قلعتها الغافري مما زاد في حدة الحرب بين الفريقين[٢].

ثم توسعت الحرب الأهلية في عمان لتشمل معظم القبائل العمانية، فقد تحالفت القبائل العدنانية في الشمال مع بنى غافر، بينما تحالفت القبائل اليمنية في الجنوب مع بني هنا. وهاجم محمد بن ناصر خلف بن مبارك بالقرب من حصن صحار وأرغمه على دخول الحصن وانتهت المعركة بمصرعيهما في عام ١٧٢٨[٣]

ومما يجدر ذكره أن انقسام أهل عمان خلال الحرب الأهلية إلى غافرية وهناوية لم يكن مبنيا تماماً على أساس التعصب القبلي بين عرب الشمال وعرب الجنوب. فقد أيدت بعض القبائل اليمنية الغافرية كما أيدت بعض القبائل العدنانية الهناوية، ويبدو أن المصالح الاقتصادية وأنظمة الأرض والزراعة - الافلاج - قد وحدت القبائل العمانية وفق أسس جغرافية[٤].

---

(١) يذكر نور الدين السالمي أن أكثر الأئمة في عمان بعد مهنا بن سلطان تمت مبايعتهم على الدفاع، أنظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ٢ ص ١٣٤ - ١٤٠.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره: ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٨.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٣٤ - ١٤٠. وانظر أيضاً، جون ب. كيلي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨ - ١٩.

(٤) محمد مرسي عبدالله: امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى. ١٧٩٣ - ١٨١٨ (القاهرة، ١٩٧٨) ص ٦٤ - ٦٧.

وبعد مصرع محمد بن ناصر الغافري في صحار خلفه ابنه ناصر ولكنه فشل في الاحتفاظ بالحكم وارغم على التخلي عن لقبه مع الاحتفاظ بجبرين.

وبويع سيف بن سلطان إماماً للمرة الثالثة في عام ٧٢٨، ولكنه أهمل شئون الحكم ومصالح البلاد فعزله أهل عمان فتوجه إلى نخل وأرسل خاله سيف بن ناصر إلى مسقط[١] التي ظلت على ولائها له فاعتصم بها وسيطر اتباعه على حصون الباطنة والرستاق، وطلب مساعدة الفرس فارسلوا اليه جيشاً بقيادة حاكم شيراز ميرزا تقي خان[٢].

الإمام بلعرب بن حمير (١٧٣٢ - ١٧٣٨)

انتخب أهل عمان بلعرب بن حمير إماما لهم في نزوى في عام ١٧٣٢ فسيطر على سمائل وأزكى وبهلى ونخل والشرقية وحصون الظاهرة، أما حصون الباطنة ومسقط والرستاق فقد ظلت تحت سيطرة سيف بن سلطان. وهزم الامام بلعرب القوات الفارسية التي استدعاها سيف بن سلطان لنجدته ولكن سيف استعان بالفرس مرة أخرى فنزلوا في خورفكان في عام ١٧٣٧ وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على حصون الجو وضنك والغبى وبهلى وأرغم الفرس القبائل العربية في الظاهرة على دفع الخراج لهم.

واضطروا بلعرب بن حمير للتنازل عن الامامة إلى سيف بن سلطان لخوف أهل عمان منهم وهرب بلعرب من نزوى إلى وادي غافر. وقام الفرس بأفعال منكرة في نزوى ولم يسلم من آذاهم إلا من تمكن من الهرب. ولكن قلعة نزوى امتنعت على الفرس فتركوها إلى أزكى حيث صالحهم أهلها ومنها توجهوا إلى مسقط[٣].

(١) لما كان سيف بن سلطان قد بلغ سن الرشد في عام ١٧٢٨ فقد أقامه القاضي ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد اماما للمسلمين. انظر نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق دكره: ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦. ويذكر محمد بن عبدالله السالمي: أن ميرزاتقي خان قد عاد إلى شيراز بعد وفاة سيف بن سلطان حيث دبر فيها ثورة فاشلة ضد نادر شاه، انظر، عمان، تاريخ يتكلم. ص ١٦٢.

(٣) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره: ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٦.

الإمام سلطان بن مرشد (١٧٣٨ - ١٧٤٣)

تمكن سيف بن سلطان من السيطرة على معظم حصون عمان واخضاع القبائل العمانية لطاعته بمساعدة الفرس، مما أدى إلى نقمة الأهالي عليه، لاستعانته بالفرس عليهم فقرروا عزله لظلمه ولسوء سيرته. واتفقوا فيما بينهم على انتخاب سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي إماما لهم في عام ١٧٣٨.

وسيطر الامام سلطان بن مرشد على حصون سمائل ونخل وازكى ونزوى - وبهلى، وسار على رأس قواته إلى الرستاق فرحب به أهلها[١]، وهزم سيف بن سلطان واضطره إلى الهرب من مسقط فتوجه مع بعض أتباعه إلى شيراز وعاد إلى عمان ومعه حوالي عشرين ألفاً من أهلها نزلوا في صحار. وجرت معركة أخرى بين الفرس والعرب بالقرب منها وتوفي الإمام سلطان بن مرشد متأثراً بجراحه في عام ١٧٤٣ بعد أن التجأ إلى أحمد بن سعيد في حصن العوابي ولحق به سيف بن سلطان بعد عدة أيام في الحزم[٢].

الإمام بلعرب بن حمير (١٧٤٣ - ١٧٥٣).

بايع أهل عمان بلعرب بن حمير إماما على الدفاع للمرة الثانية في عام ١٧٤٣، وفي آخر عهده خرج عليه أحمد بن سعيد حاكم صحار واخذ منه نزوى في عام ١٧٥٣[٣]، وتمكن أحمد بن سعيد من طرد الفرس من الساحل العماني.

وهكذا ضعفت دولة اليعاربة (١٦٢٤ - ١٧٥٣) بعد وفاة الإمام سلطان

---

(١) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) نور الدين السالمي: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٤. وقد نقم العلماء في عمان على سيف بن سلطان فحكموا في عهد بلعرب بن حصير بتفريق أمواله بعد وفاته لأنها جمعت ظلماً ولأنه جاء بالفرس إلى عمان فسفكوا الدماء وسبوا النساء ونهبوا الأموال. انظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٧.

(٣) يذكر نور الدين السالمي أن بني غافر قد اخرجوا بلعرب بن حمير من ملكه واضطروه للاقامة في فلج الجزيلي. انظر، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج٢ ص ١٦٠ - ١٦٧.

ابن سيف في عام ١٧١٨ وانهارت أجهزة الحكم والادارة فيها واشتد النزاع بين زعماء القبائل للاستيلاء على السلطة مما أدى إلى استمرار الحرب الأهلية في عمان والتي بدأت بانتخاب محمد بن ناصر الغافري إماما في عام ١٧٢٤، وغزت القوات الفارسية الأراضي العمانية.

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت دولة اليعاربة خلال الفترة - (١٦٢٤ - ١٧١٨) بحكومتها القوية الحازمة وبسيطرتها على أجهزة الحكم والادارة فيها. ولمواجهة مسئولياتها الجديدة اهتمت بالزراعة ونظمت الري فشقت الافلاج الجديدة واعتنت باصلاح القديمة منها، وتمتعت عمان في عهد اليعاربة بالرخاء والاستقرار وشهدت تقدماً في مجالات التجارة والزراعة، وأصبح لها جيش منظم وأسطول تجاري قوي لنقل المنتوجات والبضائع وتعقب البرتغاليين في السواحل العربية والهندية والافريقية.

القوة البحرية في عهد اليعاربة

اهتمت دولة اليعاربة منذ بداية حكم مؤسسها الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٢٤ وحتى نهاية عهد آخر حكامها الاقوياء الإمام سلطان بن سيف في عام ١٧١٨ بالعمل على استقرار الأمن الداخلي وتوفير الرخاء الاقتصادي وزيادة قوتها البحرية. فبدأ الإمام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨) ببناء الاسطول العربي بعد طرده البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ لشن الحملات البحرية ضدهم لطردهم من مراكزهم في الخليج العربي ومستعمراتهم في الساحل الشرقي لأفريقية، واستفاد الإمام من الهدوء والاستقرار في بلاده فنظم الحملات البحرية ضد البرتغاليين[١]. واشتبك معهم في حروب خاطفة وغير منتظمة منذ عام ١٦٦٧[٢]. ووصف الدكتور فراير - الذي زار منطقة الخليج العربي في ذلك العام - العرب في مسقط بأنهم جوَّابو بحر وبر وهم على الدوام ينهبون البرتغاليين وهم لا ينشدون أن يحصلوا على شيء بغير الغربات ويتلفون الاماكن الاكثر انفتاحاً على ساحل البحر وغير المحروسة[٣].

وهكذا تحولت دولة اليعاربة في عهد الامام سلطان بن سيف إلى قوة بحرية مهمة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي ونمت بسرعة بعد أن

---

(١) (Miles, S.B. Op. Cit. p. 213.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٧. ووصف فراير الذي زار منطقة الخليج في عام ١٦٦٧ العرب في عمان بأنهم «أقوياء» ومعتدون ويكسبون من القرصنة والتجارة» أنظر، لوريمر، ج. ج: دليل الخليج، ج ١ ص ١٣٢.

(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره. ص ٣١٩.

توفرت لها الوسائل اللازمة لذلك. فقد كان للعرب في عمان خبرة بحرية اكتسبوها من عملهم في البحر خلال القرون السابقة للاحتلال البرتغالي للساحل العماني، فقد قامت السفن التجارية العمانية بنشر الاسلام في شرق[١] أفريقية وسواحل الهند وجزر الهند الشرقية، ومن العوامل الأخرى التي ساعدت اليعاربة في فرض نفوذهم السياسي والتجاري المنافسة الشديدة بين القوى الاوربية على الأسواق الشرقية. وأفاد اليعاربة من الصراع على السيطرة والنفوذ بين البرتغاليين والانكليز والهولنديين لتحرير بلادهم ومنطقة الخليج من السيطرة البرتغالية والدخول في علاقات عدائية مع الدولة الصفوية.

ولذلك يعتبر الإمام سلطان بن سيف واضع أساس البحرية العربية في النصف الثاني من القرن السابع عشر. ففي عهده أصبح لعمان أسطول بحري قوي حصلت عليه بالشراء والمصادرة واستفادت من خبرة الملاحين الاوربيين بعامة ومن خبرة الاسرى البرتغاليين بخاصة[٢]. كما قام العرب في عمان ببناء السفن لمواجهة البرتغاليين في البحار من ناحية وللمحافظة على السواحل العربية من الاعتداءات البرتغالية من ناحية أخرى وبذلك أصبحت عمان أقوى قوة بحرية محلية في المياه الشرقية خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر[٣].

وبلغت القوة البحرية العربية أوجها في عهد الإمام سيف بن سلطان (١٦٦٨ - ١٧١١) والملقب بقيد الأرض[٤] حيث أصبح الأسطول العربي في عهده قوة بحرية مهمة في الخليج العربي والمحيط الهندي وتعقب البرتغاليين في سواحل الهند الغربية وأفريقية الشرقية. ففي عام ١٦٩٤ كانت موارد الإمام البحرية وفيرة للغاية مما مكنه من تجديد نشاطه البحري ضد البرتغاليين فأرسل

---

(١) Strandes, Justus. Op. Cit p. 198.

(٢) Hopwood, Derek. - Editor - The Arabian Peninsula, Society And Politics. (London 1972) p. 100.

(٣) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) p. 22.

(٤) لقب بقيد الأرض لضبطه البلاد وقيامه بالعدل فيها.

عـدة حملات بحـريـة هـاجمت المستـوطنـات الـبرتغـاليـة في فـارس والهنـد وأفريقية[1].

وفي عام ١٦٩٥ أخذ الإمام سيف بن سلطان في مهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي والصفويين في الخليج العربي. فقد أرسل حملة بحرية ضمت خمس سفن كبيرة عليها ألف وخمسمائة جندي ضد القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ الحقت بها أضراراً جسيمة وأسرت سفينة أرمنية كانت راسية في ميناء كونغ[2]. وأصبحت الملاحة والتجارة في نهاية القرن السابع عشر في غاية الصعوبة في منطقة الخليج العربي[3] وعانى الفرس أكثر من غيرهم من سطوة الأسطول العربي لعدم كفاءة الأسطول الفارسي الذي لم يتمكن من وقف الغارات البحرية العربية على السواحل الفارسية، ونتيجة للقوة البحرية العربية المتزايدة في مسقط ساد القلق والذعر القوى الاوربية والمحلية خوفاً من سيطرة العرب على منطقة الخليج وتوجهت السلطات الصفوية بطلب المساعدة من الأساطيل الانكليزية والهولندية[4] والتي لم يكن في وسعها الوقوف في وجه القوة البحرية العربية خوفاً من تعريض مصالح بلادها الاقتصادية للخطر.

أما البرتغاليون فقد ضعف مركزهم في منطقة الخليج العربي وتداعت سيطرتهم في شرق أفريقية لعدة أسباب نذكر منها: عدم قدرة البرتغاليين على مقاومة الأمراض الاستوائية، والحروب المستمرة مع القبائل الافريقية في الداخل، واستمرار الثورات في المدن الساحلية بتأييد ودعم من اليعاربة، وظهور القوى الأوربية المنافسة لهم في المياه الشرقية، مما أدى إلى استنزاف القوة البرتغالية في الساحل الشرقي لأفريقية[5].

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 218.

(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

(٣) توقع الوكيل الانكليزي في بندر عباس الكابتن برانغوين أن يصبح العرب في عمان طاعونا في الهند كما هو شأن الجزائريين في أوربا. أنظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٤) Amin, Abdul Amir. Op. Cit. p. 22.

(٥) Reush, Richard. History Of The East Africa (New York 1961) p. 257.

وقبل وفاة الإمام سيف بن سلطان في عام ١٧١١ وصل الأسطول العربي إلى باب المندب وبنى قلعة على ساحل مكران. وذكر الكابتن الكسندر هاملتون بأن الأسطول العربي قد ضم في آخر عهد الإمام سيف سفينة عليها ٧٤ مدفعاً وسفينتين على كل منهما ٦٠ مدفعاً وسفينة رابعة ذات ٥٠ مدفعاً بالاضافة إلى ثماني عشرة سفينة أخرى تراوح تسليحها بين ١٢ إلى ٣٢ مدفعاً إلى جانب عدد من القوارب المسلحة ذات ٤ إلى ٨ مدافع(١).

ومن الأسماء التي أطلقها الإمام سيف بن سلطان على سفن الأسطول العربي العظمة، والصالحي، والملكي، والرحماني والفلكي(٢). وبمثل هذه القوة البحرية المهمة، تمكن اليعاربة من حماية سواحل بلادهم من القوى الاوربية وفرضوا نفوذهم السياسي والتجاري في منطقة الخليج العربي والساحل الشرقي لأفريقية، ونشروا الرعب والذعر لبعض الوقت في الأوساط الاوربية والمحلية في المياه العربية والهندية من رأس قومرون شرقاً إلى عدن غرباً، بعد أن شمل نفوذهم معظم الساحل العربي للخليج بعد استيلائهم على البحرين ووضع حامية لهم فيها(٣)، وامتداد سلطتهم على جزر كوريا موريا(٤).

ومهما يكن من أمر فقد سيطر الأسطول العربي في العقد الأخير من القرن السابع عشر على الطريق التجارية بين موانئ ساحل الهند الغربي وموانئ الخليج العربي. وطرد القوات البرتغالية من ممباسة وغيرها من الموانئ الساحلية في شرق أفريقية واستولى على الممتلكات البرتغالية فيها. ورد البرتغاليون على نشاط الأسطول العربي ضدهم بمحالاوت للتحالف مع الرؤساء المحليين في ساحل الهند وسومطرة لمنع رعاياهم من التجارة مع العرب. كما اتهموا المسئولين في الشركة الانكليزية بتزويد السفن العربية بالذخيرة والبارود(٥) مما

(١) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 236 - 237.
(٢) سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار- تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة، ١٩٧٩) ص ١٠٩ - ١١٠.
(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p. 237.
(٤) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٧.
(٥) Miles, S.B. Op. Cit. p. 218.

أدى إلى تدهور العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية في المياه الشرقية.

ومما يجدر ذكره أن اليعاربة لم ينقلوا عاصمتهم إلى مسقط بعد تحريرها من الاحتلال البرتغالي في عام ١٦٥٠ على الرغم من ازدياد نشاطهم البحري. فقد ظلت الرستاق أو نزوى أو غيرها من مدن عمان الداخلية عاصمة لهم. أما مسقط فاتخذوها قاعدة لاسطولهم وأصبحت في عهدهم مركزاً مهماً للتوزيع التجاري وللتزود بالماء والمؤن، وغدت من أهم الموانئ التجارية وتفوقت على غيرها من موانئ الخليج العربي ولقي التجار الأجانب معاملة حسنة في أسواقها وشكلت جماركها مورداً مالياً رئيساً لدولة اليعاربة، فحققت بذلك ازدهاراً تجارياً وتقدماً اقتصادياً ملحوظاً في الربع الأخير من القرن السابع عشر في ظل حكومة مركزية حازمة عادلة في الداخل وقوية مهابة في الخارج.

المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي

بدأ العرب في منطقة الخليج العربي في مقاومة الاحتلال البرتغالي منذ وصول البرتغاليين إلى الساحل العماني، فقد نجح ألفونسو البوكيرك في رفع العلم البرتغالي فوق موانئ الخليج العربي منذ عام ١٥٠٧. ثم انتشرت القواعد العسكرية البرتغالية في هرمز والبحرين وقشم ومسقط بعد ذلك. واشتد الصراع بين العرب والبرتغاليين لاحتكار البرتغاليين التجارة لأنفسهم وإضعاف النشاط التجاري العربي في البحار الشرقية. ووقف المماليك ثم العثمانيون إلى جانب العرب في صراعهم ضد البرتغاليين لاعادة النشاط إلى الطرق التجارية القديمة ولكن دون جدوى، فقد استمرت السيطرة البرتغالية قوية على الساحل العماني حتى منتصف القرن السابع عشر. وقد مرت المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي في ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: من وصول البوكيرك إلى الساحل العماني في عام ١٥٠٧ حتى استيلاء الفرس والانكليز على هرمز في عام ١٦٢٢.

المرحلة الثانية: من سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ حتى استرداد العرب مسقط في عام ١٦٥٠.

المرحلة الثالثة: من استرداد مسقط في عام ١٦٥٠ حتى مهاجمة القاعدة البرتغالية في كونغ في عام ١٦٩٥.

وسنعرض المراحل السابقة بايجاز:

المرحلة الأولى: (١٥٠٧ ـ ١٦٢٢)

وبدأت بوصول الأسطول البرتغالي بقيادة الفونسو ـ البوكيرك إلى قلهات

في عام ١٥٠٧ ثم تمكن من اقتحام قريات بعد مقاومة عنيفة من سكانها كلفتهم ثمانين رجلاً بينما خسر البرتغاليون ثلاثة من جنودهم. وبعد أن أمر البوكيرك بنهب المدينة أحرقها مع أربع عشرة سفينة عربية وجدها راسية في مينائها.

ومن قريات توجه البوكيرك إلى مسقط على بعد ثمانية فراسخ منها فوصلها بعد أربعة أيام من مغادرته قريات. وكانت مسقط محروسة جيداً بعد أن علم سكانها بالتدمير الذي حل بقريات[1] ووصفت آنذاك بأنها الميناء الرئيسي في الساحل العماني ولها ميناء حصين للغاية[2]. وبعد تدمير مسقط أقلع الأسطول البرتغالي نحو صحار وكان فيها قلعة كبيرة تستوعب ألف مقاتل، وعلى الرغم من ذلك وافق حاكمها على دفع الجزية إلى ملك البرتغال[3]. ومن صحار مضى الأسطول البرتغالي إلى خورفكان الحصينة والتي وصفت آنذاك بأنها مدينة واسعة يكثر فيها التجار الهنود وتصدر الخيول إلى الهند، وتزدهر فيها زراعة القمح والدخان والبرتقال والليمون والتمور والموز والتين[4].

وقاوم السكان في خورفكان البوكيرك، فهاجم الأسطول البرتغالي المدينة وأحرقها، وصلم جنوده آذان الاسرى وجدعوا أنوفهم.

وهكذا الحق البوكيرك بالموانئ العربية أضراراً بالغة. وشهد الساحل العماني منذ البداية عنف وقسوة الاساليب البرتغالية للسيطرة العسكرية والتجارية على المياه الشرقية، ولكن على الرغم من ذلك ثار العرب في الساحل العماني ضد الاحتلال البرتغالي في عام ١٥١٩ كما ثار العرب في البحرين في عام ١٥٢١. وحرض ملك هرمز (توران شاه) حكام الساحل العماني التابعين له على الثورة في ٢١ تشرين الثاني ١٥٢١، ولكن البرتغاليين تمكنوا من القضاء عليها.

---

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٦.
(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 145.
(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٧.
(٤) Miles, S.B. Op. Cit. p. 151.

وعلى الرغم من ذلك لم تهدأ المقاومة العربية في الساحل العماني فنشبت ثورة في قلهات ومسقط في عام ١٥٢٦، قضى البرتغاليون عليها في عام ١٥٢٨ وبدأوا في بناء قلعتي الجليلي والميراني واتخذوا القلعة الأخيرة مركزاً رئيساً لحاميتهم في مسقط، ثم تغلغل البرتغاليون حتى وصلوا إلى شط العرب شمالاً وانفردوا بالسيطرة على منطقة الخليج العربي دون أن تنازعهم قوة أخرى فيه حتى ظهرت القوة البحرية العثمانية في منتصف القرن السادس عشر وتمكنت من طردهم من القطيف والبحرين ومسقط لفترة قصيرة واضطرتهم إلى الانسحاب جنوباً نحو هرمز وأصبحت البحرين حداً فاصلاً بين الجانبين.

ولكن البرتغاليين نجحوا في القضاء على القوة البحرية العثمانية وبسطوا سيطرتهم ونفوذهم على معظم سواحل الخليج العربي مرة أخرى قبل أن يطردهم الفرس والانكليز من قلعتهم الرئيسية في جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. وساهم العرب في الساحل العماني مع الشاه الصفوي عباس الأول في الاستيلاء على جلفار نكاية بالبرتغاليين الذين أرغموا القبائل العربية على دفع الجزية لملك البرتغال بواسطة حامياتهم العسكرية المنتشرة على طول الساحل العماني من صور جنوباً حتى جلفار ـ رأس الخيمة ـ شمالاً[١].

المرحلة الثانية: (١٦٢٢ ـ ١٦٥٠)

انتقل البرتغاليون بعد طردهم من هرمز في عام ١٦٢٢ إلى مسقط، وتمكن القائد البرتغالي روي فرايري من استعادة صحار من الفرس وازدادت أهمية مسقط لكثرة الوافدين عليها. وحاول البرتغاليون تأمين استمرار تجارتهم في الخليج العربي[٢] بالوسائل السلمية بعد أن عجزوا عن تحقيق ذلك بالقوة العسكرية.

ولكن بعد عامين من خسارة البرتغاليين هرمز أقامت دولة اليعاربة في عمان الداخلية في عام ١٦٢٤. ولما كانت التركة التى ورثتها مثقلة بالفوضى

(١) صلاح العقاد· التيارات السياسية في الخليج العربي، (القاهرة، ١٩٧٤) ص ٤٥.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p 193.

لضعف السلطة المركزية في عهد ملوك بني نبهان فقد انصرفت جهود مؤسسها الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) إلى توحيد القبائل وتوطيد الأمن وتثبيت الاستقرار في عمان الداخلية وبعد أن نجح في تحقيق ذلك أخذ في شن سلسلة من الهجمات على البرتغاليين.

ففي عام ١٦٤٠ أبلغ بعض العاملين العرب في مركز جمارك مسقط الإمام ناصر بن مرشد بنقص جنود الحامية البرتغالية فيها لارسال كثير منهم في حملة بحرية بعيدة عنها، فهاجم الإمام مسقط، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها. غير أن ذلك الهجوم كان مقدمة لهجمات أخرى أشد خطورة على الوجود العسكري البرتغالي في الساحل العماني، فقد تمكنت قوات الإمام في ٧ تشرين الثاني ١٦٤٣ من الاستيلاء على صحار وطرد الحامية البرتغالية منها[١].

أما الضربة القوية التي اطاحت بكبرياء وغطرسة البرتغاليين في منطقة الخليج العربي فقد حدثت في عام ١٦٤٨ عندما فرضت قوات الإمام ناصر ابن مرشد[٢] حصاراً محكماً على مسقط في آب ١٦٤٨ دام ثلاثة أشهر استولت خلالها القوات العربية على الدفاعات البرتغالية الخارجية. وأرغمت الحامية التي انهكها الجوع والمرض وأضعفها نفاد الذخيرة[٣] على طلب الصلح وفرض اليعاربة شروطهم التي رفضتها الحامية البرتغالية في البداية ولكنها اضطرت في ٣١ تشرين الأول ١٦٤٨ للموافقة عليها بعد سيطرة القوات العربية على المرتفعات المحيطة بالقلعة. وقد نصت شروط

(١) Strandes, Justus. Op. Cit p. 197.

(٢) اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اسم القائد العسكري للحملة. ففي رواية انه القاضي خميس بن سعيد الشقصي، وفى رواية أخرى انه سعيد بن خليفة وفي رواية ثالثة انه مسعود بن رمصان.

(٣) يذكر لوريمر، أن الطاعون قد فتك بالحامية البرتغالية وبلغ عدد صحاياه في مسقط حوالي خمسين نسمة في اليوم. أنظر، دليل الخليج. ج ٢ ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥. وانظر أيضاً.
Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914) p. 40.

الاتفاقية[1] على ما يلي:

١ - يتعهد البرتغاليون بدفع الجزية السنوية للإمام بانتظام.
٢ - يمتنع البرتغاليون عن القيام بأعمال عدائية ضد العرب، وعن بناء تحصينات جديدة لهم مع هدم جميع التحصينات البرتغالية خارج مسقط وحياد مطرح وتدمير التحصينات العربية والبرتغالية فيها.
٣ - حرية العرب في عمان في الملاحة والتجارة وأن لا يدفعوا ضرائب أو جمارك عن بضائعهم أو أنفسهم عند دخولهم مسقط وخروجهم منها.
٤ - حرية السفن العربية في الابحار إلى خارج مسقط دون تفتيشها ولكن عليها الحصول على تصريح من السلطات البرتغالية في طريق عودتها.

وهكذا تضمنت الشروط السابقة التي فرضها الامام ناصر بن مرشد على القائد البرتغالي العام في مسقط الدون جوليا دي نورونها - اضعاف السيادة البرتغالية في الخليج العربي وحرمان الحامية البرتغالية في مسقط من مواردها المالية[2]. كما بينت الاتفاقية السابقة أن السيطرة البرتغالية على مسقط تسير نحو نهايتها المحتومة وما على العرب سوى حشد قوات أكبر والقيام بهجوم شامل على الحامية البرتغالية في مسقط[3].

ولذلك رفض ملك البرتغال الشروط السابقة واعتبرها اهانة شخصية له واذلالاً لشرف بلاده، وأمر باعلان الحرب مرة أخرى ضد العرب في عمان.

استرداد مسقط (٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠)

عقد الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٦٨) العزم على طرد

(١) انظر شروط الاتفاقية في:
Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 122; Danvers, F.C. The Portuguese In India Vol. II (London 1894) p. 296; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 197; Foster, William. The English Factories Vol. VIII. (Oxford 1914) p 223.

(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.
وانظر لوريمر ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٥

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p. 210.

البرتغاليين من مسقط فقاد حملة عسكرية من الرستاق وقام بعدة هجمات على مسقط ولكن دون جدوى إلى أن تلقى رسالة من التاجر الهندي نورتيم تضمنت معلومات عن نقص الماء في الآبار والذخيرة لدى الحامية البرتغالية(١).

وفي الوقت المحدد في رسالة نورتيم أحاطت قوات اليعاربة بالحامية البرتغالية في هجوم ليلي مفاجىء وتسلقت الأسوار واندفعت باعداد كبيرة في شوارع مسقط وأسواقها وقتلت كثيراً من البرتغاليين(٢) بعد أن اخترقت دفاعات الحامية ذات الحراسة الضعيفة، وطردت الجنود البرتغاليين من بوابتي المدينة وطاردتهم بعنف في شوارعها، واضطرت قائد الحامية البرتغالية لاصدار أمره بالانسحاب إلى القلعة (٣) بعد أن فقد معظم السلاح والذخيرة بعد خسارته مركز الوكالة التجارية البرتغالية. ثم أرغمت حامية القلعة على الاستسلام (٤) في ٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠.

وكانت أنباء حصار مسقط قد وصلت إلى الهند في ١٨ كانون الثاني ١٦٥٠ فأمر نائب ملك البرتغال في جاوه بارسال أسطول لنجدتها(٥) ولكن بعد فوات الأوان. وباسترداد مسقط خسر البرتغاليون آخر قلعة حصينة لهم في منطقة الخليج العربي وحاول نائب ملك البرتغال في جاوه استعادتها مرة أخرى فأرسل اليها أسطولاً في أوائل عام ١٦٥٢ ولكن قائده تهيب من مواجهة الأسطول العربي خوفاً من مدفعية قلعة مسقط(٦).

---

(١) Skeet, Ian. Op. Cit.p. 33.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 195 - 196.

(٣) كانت ميراني قلعة مسقط الرئيسية؛ وقام البرتغاليون في عام ١٦٣٤ بتقويتها وترميمها، وفي عام ١٦٤٩ كانت قوية للغاية. أنظر لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٣ - ٦٣٤.

(٤) بلغ عدد جنود حامية القلعة حوالي سبعين جندياً برتغالياً، لم ينج منهم إلا من اعتنق الاسلام. وتذكر بعض المصادر البرتغالية أن خسائر العرب في الهجوم بلغت حوالي أربعة الآف رجل. أنظر.
Strandes, Justus. Op. Cit. p. 198; Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 285.

(٥) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٦.

(٦) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٨.

وهكذا أسدل الستار على الغزو البرتغالي للساحل العماني الذي قام به الفونسو البوكيرك بعد احتلال دام حوالي قرن ونصف. ومن آثارهم بعض القلاع العسكرية والكنائس. واعقب تحرير الساحل العماني من الاحتلال البرتغالي هجرة القبائل العربية من الداخل نحو الساحل لاستئناف نشاطها القديم في الملاحة والتجارة والغوص[1].

المرحلة الثالثة: (١٦٥٠ - ١٦٩٥)

أدى طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ إلى زيادة عداء العرب للوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي فوقعت بين الجانبين معارك برية وبحرية ولم تتمكن السلطات البرتغالية في لشبونة وجاوه من إعداد حملة بحرية ناجحة لاستعادة مسقط، ولذلك أبقى البرتغاليون على حرب متقطعة ضد العرب بارسال سفنهم الحربية بين الحين والآخر إلى مياه الخليج العربي للانتقام من الساحل العماني[2].

ولم يكتف الامام سلطان بن سيف بطرد البرتغاليين من مسقط بل أعلن الجهاد ضدهم وطاردهم في موانئ الخليج العربي وتعقبهم حتى سواحل الهند وأفريقية الشرقية[3]. وعمل على انهاك القوة البرتغالية في المحيط الهندي بالاغارة على مواقعهم البرية والبحرية ومضايقتهم باستمرار. واتبع ضدهم سياسة عدائية لاسيما بعد أن ألهب النصر الذي حققه اليعاربة على البرتغاليين في مسقط حماسة العرب في منطقة الخليج الذين اكتسبوا خبرة من صراعهم الطويل ضد البرتغاليين فأصبحوا قوة بحرية ذات شأن كبير هددت المصالح البرتغالية في المياه الشرقية[4].

---

(١) محمد مرسي عبد الله: أبو ظبي بين الأمس واليوم. (أبو ظبي، ١٩٦٩) ص ٢٦ - ٢٨.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p.211.

(٣) Gray, John. History Of Zanzibar From The Middle Ages To 1856. (London 1962) p. 51.

(٤) Bradly - Birt, F.B. Persia. Through Persia From The Gulf To The Caspian. Vol. XX. (U.S.A. 1910) p. 9.

وبحث البرتغاليون بعد طردهم من الساحل العماني عن قاعدة جديدة لهم على ساحل لار الفارسي أو ساحل الاحساء العربي، وكانوا قد حصلوا من الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) على امتيازات تجارية في جزيرة كونغ مماثلة للامتيازات التي حصل عليها الانكليز في ميناء جمبرون - بندر عباس. ولكن جزيرة كونغ كانت قليلة الأهمية بالنسبة للتجارة الهندية. كما عجز البرتغاليون بعد طردهم من مسقط عن ارغام السفن التجارية على الرسو فيها[١] ووجدوا صعوبة في تحصيل نصيبهم من العائدات المتأخرة والمستحقة لهم على الحكومة الصفوية واضطروا خلال الفترة (١٦٧٠ - ١٦٨٢) للقيام بعدة مناورات لاظهار قوتهم البحرية لارغام الشاهبندر الفارسي على دفع بعض المبالغ المستحقة لهم، ولكنه امتنع عن الدفع بعد عام ١٧١١.

وكان وضع القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ حرجا في عام ١٦٦٩. فقد أمّلت الحامية البرتغالية فيها وصول نجدات عسكرية اليها من جاوه لتعزيز موقفها لتتمكن من مواجهة الحملة العربية التي توجهت إلى كونغ وضمت ست سفن حربية اشتبكت مع الأسطول البرتغالي الذي ضم ست سفن حربية وتسع عشرة فرقاطة. وقتل في المعركة القائد البرتغالي مع عدد من جنوده واضطر الأسطول البرتغالي للعودة إلى جاوه حيث بدأت السلطات البرتغالية فيها في تجهيز حملة بحرية أخرى ضد مسقط[٢]. ثم توجه الأسطول العربي إلى ميناء جمبرون الفارسي. وعندما تأكد من عدم وجود سفن برتغالية في الميناء غادرها دون أن يلحق بها أذى، ولكن ظهوره المفاجئ سبب ذعراً شديداً في المدينة وخشي الشاه الصفوي من نتائج الهجوم العربي على القاعدة البرتغالية في كونغ فوضع الحاميات الفارسية في هرمز ولار وقشم في حالة تأهب للدفاع عنها[٣].

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٧ - ١١٥.

(٢) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India 1668 - 1669. By William Foster. Oxford 1927) p. 200.

(٣) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India. 1668 - 1669) p. 211 - 212.

وتجددت الاشتباكات البحرية بين الأسطولين العربي والبرتغالي. ففي عام ١٩٧٣ أعلنت السلطات البرتغالية في جاوه الحرب ضد اليعاربة، ولكن القوات البرتغالية لم تجرؤ على مهاجمة السفن العربية[١]. أما الأسطول العربي فقد هاجم في عام ١٦٧٤ الممتلكات البرتغالية في سواحل الهند وأنزل حوالي خمسمئة من رجاله، تمكنوا من الاغارة على المستعمرة البرتغالية بالقرب من باسين وجردوا كنيستها من التحف الذهبية والفضية. ولم تجرؤ الحامية البرتغالية فيها على الخروج من القلعة لرد المهاجمين كما لم يجرؤ البرتغاليون على الأخذ بثأرهم من هذه الغارة التي ألحقت ضرراً بالغاً بسمعتهم في المياه الشرقية واكتفوا بارسال سفينة حربية عليها حوالي ستين جندياً لتهدئة الهياج الذي سببه ظهور الأسطول العربي في ساحل الهند الغربي[٢]. وما لبثت التجارة البرتغالية في كونغ أن ضعفت بعد هجمات العرب عليها، لاسيما بعد خوف التجار الهنود على بضائعهم وامتناعهم عن التردد عليها[٣].

وخلال العقد الأخير من القرن السابع عشر وقعت عدة اشتباكات بحرية بين الجانبين فشل البرتغاليون خلالها في إلحاق هزيمة حاسمة بالعرب أو منعهم من الحاق خسائر جسيمة بمستعمراتهم[٤]، ففي كانون الثاني ١٦٩٥ قام العرب بغارة عنيفة على القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ والحقوا بها خسائر جسيمة عندما أرسلوا خمس سفن حربية كبيرة عليها ألف وخمسمئة من البحارة نهبوا الوكالة التجارية فيها وأوقعوا خسائر قدرت بحوالي مئتي ألف جنيه استرليني، ونهبوا الأشياء الثمينة منها وشحنوها على سفنهم وعلى سفن التجار الأرمن التي كانت راسية في ميناء الجزيرة[٥]، مما أدى إلى إثارة الذعر في بندر عباس خوفاً من مهاجمة العرب لها.

---

(١) Lockhart, Laurence,. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The Late Seventeenth And Early Eighthteenth Centuries. (The Asiatic Review, Vol. XLIII. N°. 152. London, Oct. 1946. pp. 363 - 369) p. 364.

(٢) Bombay, 1674. (The English Factories In India Vol. I. New Series 1670 - 1677. By Charles Fawcet. Oxford 1936). p. 84; Miles, S.B. Op. Cit. p. 216.

(٣) Hamilton, Alexander. Op. cit, p. 296.

(٤) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 364.

(٥) Ibid. p. 364.

وعندما تورط البرتغاليون في عام ١٦٩٦ بالموافقة على مساعدة الصفويين في مشروعهم للهجوم على مسقط، رد الأسطول العربي على التعاون البرتغالي الصفوي بتدمير الوكالة البرتغالية في بارسالور ومانجلور وعاد بالغنائم الثمينة(١). واضطرت السلطات البرتغالية في جاوه إلى حشد قواتها ووضعها في حالة تأهب. كما قام العرب بتدمير المصالح البرتغالية في شرق أفريقية مستفيدين من حالة الفوضى والاضطراب في الممتلكات البرتغالية في الهند. واستمرت المعارك البحرية بين الجانبين خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر(٢).

وقد أساء البرتغاليون معاملة الأسرى العرب، فعاملوهم بقسوة وضربوهم بالسياط واستخدموهم في الأشغال الشاقة في ظروف بالغة القسوة، بينما عامل العرب الأسرى البرتغاليين على نحو أفضل فمنحوهم الارزاق أو بدلها مرتين في الشهر اسوة بالجنود العرب وسمحوا لاصحاب الحرف منهم بممارسة الأعمال الحرة لافتداء أنفسهم(٣).

ومهما يكن من أمر فقد تدهور مركز البرتغاليين في منطقة الخليج العربي في نهاية العقد الثاني من القرن الثامن عشر ولم يبق في كنيستهم في كونغ في عام ١٧٢١ سوى راهبين عاشا على الاحسان(٤).

---

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 290; Miles, S.B. Op. Cit. p. 220.

(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي. ترجمة هاشم كاطع لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ٢٨. وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٣٩.

(٣) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 289 - 290.

(٤) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٥.

الصراع العربي البرتغالي في شرق أفريقية

كانت مقديشو أول مدينة شيدها العرب على الساحل الشرقي لأفريقية، ثم تلتها براوة. واختلط المهاجرون العرب الذين قدموا من شرق الجزيرة العربية بالسكان الأصليين منذ الربع الأول من القرن العاشر الميلادي[١]. ثم وفد المهاجرون الفرس من منطقة شيراز في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي على كيلوه واستقروا فيها. واقامت الأسرة الشيرازية عدة مدن على الساحل الشرقي لأفريقية مثل سيوه وبات ولامو وسفالة[٢]. أما الأسرة النبهانية العربية فقد استقرت في بات واتخذتها مركزاً لها في القرن الثالث عشر الميلادي. ورغم الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة النبهانية فقد شهدت بات والمناطق المجاورة لها تقدماً اقتصادياً ملحوظاً.

ومهما يكن من أمر، فقد ازدهرت التجارة العربية في تلك المدن الساحلية قبل وصول البرتغاليين إلى الساحل الشرقي لأفريقية في آخر القرن الخامس عشر. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية القرن السابع عشر بدأت مرحلة عنيفة من الصراع بين الامارات الاسلامية والاساطيل البرتغالية، واضطرت معظم الامارات الاسلامية خلال الربع الأول من القرن السادس عشر إلى

---

(١) ساعدت الرياح الموسمية في زيادة نشاط حركة الملاحة بين سواحل شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لافريقية. فخلال الفترة من كانون الأول حتى نهاية آذار من كل عام تتجه السفن العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقية لتعود منه خلال الفترة من نيسان حتى أيلول إلى السواحل العربية.

(٢) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقية. (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر لعام ١٩٦٧، القاهرة، ١٩٦٧. ص ٢٧٧ ـ ٣٤٠) ص ٢٨٧ ـ ٢٩٠.

دفع الجزية للبرتغاليين والاعتراف بسيادتهم عليها، ولم يتمكن العثمانيون بعد احتلالهم عدن في عام ١٥٣٨ من التأثير على مركز البرتغاليين المتفوق في الساحل الشرقي لأفريقية إلاَّ في الربع الأخير من القرن السادس عشر ولفترة قصيرة[١].

ولكن النفوذ البرتغالي أخذ في التدهور في النصف الثاني من القرن السابع عشر. فقد أدى طرد البرتغاليين من هرمز في عام ١٦٢٢ ومن مسقط في عام ١٦٥٠ إلى انتشار الاضطرابات في الساحل الشرقي لأفريقية وأخذت ممباسة زمام المبادرة فالتمست من الامام سلطان بن سيف في عام ١٦٥٢ المساعدة في تحرير اخوانه العرب والمسلمين من الاحتلال البرتغالي. ولبّى الامام النداء وشرع في بناء القوة البحرية العربية وتوسع فيها، لتمكينها من تحدي القوة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي[٢]. وحتى قبل أن يكتمل بناء القوة البحرية العربية قام الامام في عام ١٦٥٢ بغارة بحرية ضد ممباسة[٣] وهاجم زنجبار أيضاً وقتل عدداً من البرتغاليين.

وهكذا شجع اليعاربة على قيام عصيان عام مسلح في شرق أفريقية وتجددت الغارات العربية على المستوطنات البرتغالية في بات وزنجبار في عام ١٦٥٥[٤]. وبلغ الضعف بالبرتغاليين حداً لم يستطيعوا معه القيام بغارات ثأرية من العرب. ثم قاد الامام سلطان بن سيف أسطوله مرة أخرى في عام ١٦٦٠ وفرض الحصار على ممباسة وحقق نجاحاً ملحوظاً. ولكنه اضطر للعودة إلى عُمان لإعادة الاستقرار اليها[٥] بعد أن وصلته الأخبار عن غزو القبائل البدوية للأراضي العمانية وترك محمد بن مبارك والياً على ممباسة[٦].

---

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

(٢) Ingham, Kenneth. A History Of East Africa (London 1962) p. 16; Badger, George Percy. Op. Cit. p. XXVII.

(٣) Coupland, R. East Africa And Its Invaders (Oxford 1938) pp. 65 - 66.

(٤) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

(٥) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967) pp. 119.

(٦) سعيد بن علي المغيري: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ وأنظر أيضاً.
Reusch, Richard Op. Cit. pp. 265 - 266.

ولم يتمكن الامام من طرد البرتغاليون من قلعة يسوع في ممباسة بسبب النقص في وسائل الحصار[1] ولكن الأسطول العربي شن هجوماً شديداً على موزمبيق قبل عودته إلى مسقط[2].

وتابع الامام بلعرب بن سلطان سياسة والده في إعلان الجهاد ضد البرتغاليين فأرسل حملة بحرية في كانون الثاني ١٦٦٩ للاستيلاء على قلعة يسوع في ممباسة ضمت ٢٨ سفينة وعدداً كبيراً من الجنود[3]، ولكن البرتغاليين تمكنوا في عام ١٦٧٨ من الاستيلاء على بات وسيوه بعد حصارها أربعة أشهر[4]. وقتل البرتغاليون حكام المدن الاسلامية التي استولوا عليها. ورد الامام على ذلك بارسال حملة بحرية أخرى لاستعادة بات ونجح في ارغام البرتغاليين على الانسحاب منها إلى موزمبيق في كانون الثاني ١٦٧٩. غير أن البرتغاليين عادوا إلى بات مرة أخرى في عام ١٦٨٧ وارغموا حاكمها على طرد العرب منها والموافقة على بناء قلعتين فيها لاقامة الحامية البرتغالية[5].

واشتهر عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٨٨ - ١٧١١) بتنظيم الحملات البحرية لتدمير السفن والمستوطنات البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي. ففي عام ١٦٩٤ استولى الامام سيف بن سلطان على زنجبار وقاد حملة بحرية أخرى في عام ١٦٩٦ للاستيلاء على ممباسة؛ وقد ضمت الحملة سبع سفن حربية وعشرة قوارب وثلاثة الاف جندي. وبعد حصار دام ثلاثة وثلاثين شهراً (١٣ آذار سنة ١٦٩٦ لغاية ٢٣ كانون الأول ١٦٩٨) استولت القوات العربية على قلعة يسوع في ممباسة [6] وكان سقوطها عاملاً حاسماً أنهى الوجود البرتغالي في القسم الشمالي من الساحل الشرقي لأفريقية.

---

(١) Coupland, R. Op. Cit. p. 69.

(٢) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي. (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٦ - ٩٧.

(٤) Reusch, Richard. Op. Cit. p. 266.

(٥) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ٩٨.

(٦) Strandes, Justus. Op. Cit. pp. 52 - 54.

وفشلت محاولات السلطات البرتغاليه في الهند لاستعادة ممباسة وقلعة يسوع رغم الحملات العسكرية التي أرسلتها لشبونة وجاوه في الأعوام ١٦٩٩، ١٧٠٣، ١٧١٠. ونسب البرتغاليون استيلاء العرب على ممباسة إلى امدادات الأسلحة والذخيرة التي قدمتها السلطات الانكليزية في بومباي للعرب وزعموا أن معظم سفن مسقط كانت بقيادة ضباط من الانكليز[١]. وبعد الاستيلاء على ممباسة نظم الامام سيف بن سلطان قواته في الساحل الشرقي لأفريقية واستولى على بمبا وكيلوه في عام ١٦٩٩. وخاف البرتغاليون بعد خسارتهم كيلوه على مركزهم في موزمبيق فحشدوا فيها قوة تمكنت من الاحتفاظ بها رغم حصار القوات العربية لها.

ولكن البرتغاليين عجزوا عن استعادة مستعمراتهم التي خسروها في عهد الامام سيف بن سلطان[٢] رغم تفوق السفن الحربية البرتغالية على السفن العربية بناء وتسليحاً لأن البرتغاليين افتقدوا القوة البحرية الكافية لالحاق الهزيمة بالعرب[٣]. ومما يجدر ذكره أن قليلاً من السفن الحربية العربية أو البرتغالية أغرقت أو تم الاستيلاء عليها خلال الصراع بينما أسرف الجانبان في الاستيلاء على السفن التجارية[٤].

ومهما يكن من أمر فقد تمت السيطرة لليعاربة على الساحل الشرقي لأفريقية من مالندي شمالاً حتى موزمبيق حنوباً وأقاموا حاميات عسكرية في المدن الساحلية وبعد أن عين الامام سيف بن سلطان ناصر بن عبدالله حاكماً على ممباسة والمناطق المجاورة لها عاد إلى عمان.

وهكذا نجح اليعاربة في نهاية القرن السابع عشر في طرد البرتغاليين من

---

(١) لوريمر، ج. ج مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) سعيد بن علي المغيري: مرجع سبق دكره، ص ١٠٨ وانظر أيضاً السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٣٦.

(٣) Lockhart, Laurence. the Fall Of The Safavi Dynesty And The Afghan Occupation Of Persia (Cambridge 1958) p. 67.

(٤) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 289.

الساحل الشرقي لأفريقية، وأصبحت المناطق الساحلية مثل مقديشو وممباسة وكيلوه وبمبا وزنجبار تحت السيطرة العربية الفعلية منذ عام ١٦٩٩، فأوجد اليعاربة بذلك الأساس لحكمهم في أفريقية الشرقية[١]. ولكن النشاط الاقتصادي في عمان لم يتأثر كثيراً لأن اقتصاد الساحل الشرقي لأفريقية كان زراعياً ورعوياً، ولم يكن للصناعة دور مهم في المبادلات والمقايضات التجارية بين السكان.

وشكل العرب طبقة ارستقراطية في تلك الجهات. ومن الأسر العربية التي وفدت على الساحل الشرقي لأفريقية في القرن السابع عشر، الأسرة المزروعية والتي استقرت في ممباسة بتشجيع من اليعاربة لموازنة نفوذ الأسرة النبهانية ثم رأى اليعاربة في العقد الثالث من القرن الثامن عشر إحلال الأسرة المعمورية مكانها ونجح محمد بن سعيد المعموري في حكم الساحل الشرقي لأفريقية باسم اليعاربة حتى تمكنت الأسرة المزروعية من استعادة نفوذها وإعلان استقلالها عن حكام عمان في عام ١٧٤١. وجاء الهنود بعد العرب في المكانة الاجتماعية واهتموا بالنواحي الاقتصادية. وحصلوا على قدر من الثراء من حركة النقل والتجارة وغيرها[٢].

وظل اليعاربة في ممباسة حتى عام ١٧٢٨ عندما استولت البرتغال عليها مستغلة انشغالهم بالمنازعات الداخلية في عمان ولكن البرتغاليين فشلوا في الاستيلاء على زنجبار ولحقت بهم هزيمة منكرة[٣] في عام ١٧٢٩.

وتعود الانتصارات العسكرية التي حققها الأسطول العربي ضد البرتغاليين إلى قيادة الامام سيف بن سلطان معظم الحملات البحرية[٤].

---

(١) جون ب. كيلي: مرجع سبق ذكره، ص ١٧ ـ ١٨

(٢) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

(٣) محمود علي الداود: محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان. (القاهرة، ١٩٦٤) ص ٢٧.

(٤) Miles, S B. Op. Cit. p 225.

وإلى مشاركة العرب في منطقة الخليج العربي في المعارك واستنجاد السكان المحليين بالعرب وترحيبهم بهم وتقديم المساعدة العسكرية لهم؛ كما تعود أيضاً إلى تفوق العرب في الملاحة البحرية وضعف القوة البرتغالية في الشرق بسبب الادارة السيئة لتجارتهم ذات الاحتكار الملكي والتي لم تتمكن من الصمود في وجه المنافسة التجارية المنظمة للشركات الانكليزية والهولندية التي اعتمدت على المبادرات الفردية بدلاً من احتكار الدولة(١). بالاضافة إلى الأساليب المستبدة والظالمة للحكم البرتغالي التي أثارت القوى المحلية ضدهم، واكتفاء البرتغاليين بانشاء القواعد البحرية لضمان سلامة مواصلاتهم بين لشبونة والهند(٢) واعتمادهم على القوة العسكرية التي انهارت في النهاية لانعدام النظام والكفاءة في صفوف القادة والضباط.

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٩.
(٢) جمال زكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان، مرجع سبق ذكره، ص٢١ ـ ٢٢.

العلاقات العربية ـ الصفوية

وعد البرتغاليون بتقديم مساعدتهم العسكرية للصفويين لتمكينهم من غزو البحرين والقطيف، ولكنهم استولوا على البحرين لحسابهم وأقاموا قلعة فيها وأخذوا الجزية من سكانها في عام ١٥١٥. وخلال الربع الأول من القرن السابع عشر قدم العرب مساعدتهم العسكرية للصفويين لتمكينهم من طرد الحامية البرتغالية في جلفار ـ رأس الخيمة في عام ١٦٢٠. وبعد استيلاء القوات الصفوية الانكليزية المشتركة على هرمز في عام ١٦٢٢ عقد الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) اتفاقاً مع البرتغاليين اعترف البرتغاليون بموجبه بانتقال جزيرتي هرمز وقشم إلى الصفويين في مقابل حصولهم على نصف العائدات الجمركية في ميناء كونغ الفارسي[1].

ولكن على الرغم من ذلك الاتفاق، بذلت الدولة الصفوية خلال الفترة (١٦٢٢ ـ ١٦٥٠) أقصى جهودها لمتابعة الانتصار الذي أحرزته على البرتغاليين في هرمز لطردهم من مسقط أيضاً. وبعد أن تمكن العرب في عمان من استرداد مسقط في عام ١٦٥٠ اشتبكوا مع الصفويين في صراع عنيف لوراثة النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الجانبين.

وفي عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٨٨ ـ ١٧١١) ساءت العلاقات كثيراً لاسيما بعد أن علم الامام بمشروع الحملة الصفوية ضد مسقط، ولذلك حذر القوى الاوربية من تقديم المساعدة العسكرية للصفويين[2]. وترددت

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p.219.

العلاقات بين الجانبين عندما جهز الامام سيف بن سلطان حملة بحرية ضد القاعدة البرتغالية في جزيرة كونغ في عام ١٦٩٥. وضمت الحملة خمس سفن حربية عليها ألف وخمسمئة رجل وكبدتها خسائر فادحة ونشرت الذعر والرعب في ميناء بندر عباس الصفوي قبل توجه الحملة العربيـة اليه، واضـطرت السلطات الصفوية في الميناء إلى طلب المساعدة من الشركة الانكليزية التي وافقت على ابقاء إحدى سفنها الحربية في الميناء لمدة عشرين يوماً لحماية بندر عباس من الهجوم العربي المتوقع عليها(١).

وبعد الغارة العربية الناجحة على القاعـدة البرتغـالية في كـونغ طلب الإمام سيف بن سلطان من الشاه حسين امتيازات مماثلة لتلك التي حصل عليها البرتغاليون في جزيرة كونغ، وهدده بالاغارة على بندر عباس ونهبهـا ومهاجمة الساحل الفارسي إذا لم يستجب إلى طلبه(٢). وخاف الشاه حسين من التهديد. واضطر الحاكم الصفوي في بندر عباس لطلب المساعدة البحرية من وكيل الشركة الانكليزية. وبعد أن نوّه بأهمية التحالف الصفوي ـ الانكليزي في الخليج العربي طلب منه عدداً من السفن الحربية الانكليزية للدفاع عن بندر عباس ضد الحملات البحرية العربية المتوقعة عليها. كما طلب الشـاه حسين بدوره المساعدة العسكرية من ممثـل الشركة الانكليـزية في أصفهـان للدفاع عن السواحل الفارسية ومهاجمـة مسقط وتوجـه بطلب المسـاعدة إلى فرنسا أيضاً.

ولكن التماسات الشـاه حسين لم تجـده نفعاً، لاسيـما بعد أن أعـرب الانكليز والهولنديون عن عدم رغبتهم في تقديم المساعدة العسكرية له(٣). ورفضوا التورط في حرب بين القوى المحلية غير مأمونة العواقب. وقد ضن الانكليز بالمساعدة العسكرية على الشاه حسين رغم خوفهم من أن يسبقهم الهولنديون في تقديم المساعدة العسكرية التي ينشدها الصفويون، مما سيؤدي

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٢) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat. p. 364.

(٣) Lockhart, Laurence, The Fall Of The Safavi Dynesty. p. 68.

إلى تفوق المصالح الهولندية في الممتلكات الصفوية والحاق الضرر بالمصالح الانكليزية فيها.

وخاف وكلاء الشركة الانكليزية في فارس من إمكانية قيام الهولنديين بمساعدة الصفويين، فاقترحوا على مسئولي الشركة في بومباي الاسراع في تقديم المساعدة العسكرية للصفويين حتى لا يسبقهم الهولنديون إلى ذلك، لاسيما بعد أن عرضت السلطات الصفوية على الشركة الانكليزية الحصول على امتيازات في مسقط، مماثلة لتلك الامتيازات الممنوحة لها في بندر عباس في مقابل التعاون معها في الهجوم على مسقط ولكن المسئولين الانكليز في بومباي قرروا أن القيام بأعمال عدائية ضد مسقط ليس في مصلحة الانكليز[1]، لأن السياسة العامة للشركة الأنكليزية آنذاك تمثلت في تجنب الأعباء العسكرية لاسيما البعيدة منها عن الهند مع استمرار الحرص على منع الهولنديين من تقديم المساعدة العسكرية للصفويين خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تفوق المصالح الهولندية على حساب المصالح الانكليزية في الخليج العربي. وظل القلق يساور المسئولين الانكليز حتى تخلت السلطات الصفوية عن فكرة الهجوم على مسقط.

ومهما يكن من أمر فقد تقدم البرتغاليون على نحو فظ ومتغطرس لمساعدة الصفويين للهجوم على مسقط ولكن عندما علم الامام سيف بن سلطان في عام ١٦٩٦ بأمر الاتفاق الصفوي ـ البرتغالي بادر إلى شن هجوم مفاجئ على المركز البرتغالي في مانجالور وقضى على القوة البرتغالية فيه. ووجه بذلك ضربة قوية للاتفاق السابق، كما ثار العرب العاملون في البحرية الصفوية في الخليج واستولوا على ثلاث سفن كبيرة وعدة مراكب شراعية وتوجهوا بها نحو الساحل العربي[2].

وهكذا برهنت المساعدة على عدم فعاليتها حين امتنع الانكليز والهولنديون عن تقديم المساعدة العسكرية للصفويين ضد العرب.

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.
(٢) عائشة على السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٦١، ١٧٧ ـ ١٧٨.

واضطر الصفويون لعدم كفاءة أسطولهم وعجزه عن مواجهة القوة البحرية العربية إلى طلب المساعدة العسكرية من فرنسا بعد فشلهم في الحصول على مساعدة عسكرية فعالة من البرتغاليين. وامتناع الانكليز والهولنديين عن تقديم المساعدة المنشودة في الوقت الذي عانوا فيه كثيراً من السيطرة العربية المتفوقة في مياه الخليج العربي(١)، فارسل الشاه حسين سفارة إلى باريس في آب ١٦٩٩ وبعد مفاوضات استغرقت فترة طويلة توصل الجانبان في عام ١٧٠٨ إلى عقد معاهدة تضمنت بعض البنود السرية مثل ارسال فرنسا أسطولها لمساعدة الشاه في الهجوم على مسقط واحتلالها.

وازدادت الغارات العربية ضد السفن والتجارة الصفوية وفرض اليعاربة الحصار على قلعة هرمز لمدة ستة أشهر بعد أن انزلوا حولها ستة آلاف رجل. ولما لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها اضطروا لرفع الحصار عنها، ولكنهم استولوا على جزيرتي قشم ولارك في عام ١٧١٧، وعندما ترددت فرنسا في طلب المساعدة العسكرية التي وعدت الصفويين بها لجأت السلطات الصفوية إلى طلب المساعدة من البرتغاليين مرة أخرى، فأرسل الشاه حسين سفارة إلى جاوه، وظنت السلطات البرتغالية في الهند أن الفرصة مواتية لاستعادة نفوذها السابق في الخليج العربي فارسلت أسطولها إلى جزيرة كونغ في شباط ١٧١٩ مما أدى إلى ظهور الأسطول العربي بالقرب من ميناء الجزيرة في آب ١٧١٩(٢).

وفي العام التالي ١٧٢٠ استولى اليعاربة على البحرين بمساعدة القواسم(٣) في جلفار - رأس الخيمة - ولكنهم اضطروا للانسحاب منها بعد جلاء سكانها عنها وبعد مقاومة الهولة لهم(٤) ربما بسبب التنافس على

---

(١) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 434; Amin, Abudl Amir. Op. Cit. p. 22.

(٢) Miles, S.B Op Cit. p. 199.

(٣) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 301; Ricks, Thomas Millet, Politics And Trade In Southern Iran And The Gulf. 1745 - 1765. (Indiana University 1975). p. 77.

(٤) أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ١٧٥٠ - ١٨٠٠. نشأة وتطور الكويت والبحرين. ترجمة محمد أمين عبد الله. (بيروت، ١٩٦٥) ص ٥٥.

استغلال مصائد اللؤلؤ فيها والخلاف المذهبي بين الجانبين. وغضب الشاه حسين لاحتلال اليعاربة البحرين فأرسل جيشاً لاسترجاعها، ولكن الغزو الافغاني لفارس (١٧٢٢ ـ ١٧٢٩) أرغم القوة الصفوية على العودة إلى كرمان[1].

مما سبق يتبين لنا استمرار النزاع العربي ـ الصفوي لغياب القوة البحرية الصفوية الكافية للدفاع عن السواحل الفارسية ولاضمحلال النفوذ البرتغالي وضعف التهديد الانكليزي والهولندي في الربع الأخير من القرن السابع عشر. ولكن الوضع سيختلف خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر بعد أن أصبح لدى الفرس في عهد نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧) القوات الكافية للتورط في عمليات عسكرية ضد اليعاربة في عمان وضد العثمانيين في البصرة.

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق دكره، ج ٢ ص ٦٤١.

العلاقات العربية ـ الانكليزية

ازدهرت التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي بعد استيلاء القوات الصفوية ـ الانكليزية المشتركة على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢ ونجحت الشركة الانكليزية في إقامة علاقات تجارية جيدة مع جزيرة سوقطرة في الربع الأول من القرن السابع عشر مما أعاد للجزيرة بعض نشاطها التجاري الذي افتقدته خلال سنوات طويلة من الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية في القرن السادس عشر(١).

وبعد استرداد اليعاربة مسقط وطرد البرتغاليين منها في عام ١٦٥٠ أرسلت وكالة الشركة الانكليزية في سوارت الكولونيل راينز فورد في عام ١٦٥٩ لعقد اتفاق مع الامام سلطان بن سيف لتأسيس وكالة انكليزية في مسقط رغبة منها في إقامة قاعدة بحرية قوية لها تضم حامية تتألف من مئة جندي لدعم مركزها ونفوذها في الخليج العربي ضد النفوذ الهولندي والمضايقات الصفوية للشركة(٢). وظن المسؤولون الانكليز أن الامام سيدرك صعوبة الدفاع عن مسقط ضد القوى الاوربية والمحلية الطامعة فيها وسيقبل المساعدة الانكليزية المقترحة(٣).

ومهما يكن من أمر فقد رفض الامام سلطان بن سيف في عام ١٦٦٠ ـ

---

(١) Geddes, Charless L. An Account Of Socotra In the Early Seventeenth Century. (University Of Colorado Studies - Series In History - N°. 3. U.S.A. 1964) p. 71.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢.

(٣) The Persia Agency, And The Muskat Project, 1659. (The English Factories In India. 1655 - 1660. By William Foster. Oxford 1921). p. 230.

المقترحات المتعلقة ببناء قلعة انكليزية في مسقط بعد تجربة العرب الطويلة والمريرة مع الاحتلال البرتغالي للساحل العماني(١) واكتفى بمنح الشركة الانكليزية حرية التجارة في موانئ بلاده اسوة بالشركات الاوربية الأخرى، وبذلك لم تسفر المفاوضات بين الامام والوكلاء الانكليز عن نتيجة إيجابية رغم أدعاء وكالة الشركة الانكليزية في فارس أن في حوزتها ـ آنذاك ـ من الوثائق ما يؤكد وعود الامام بمنحها تسهيلات تجارية خاصة بها في مسقط. ولكن الشركة الانكليزية في سورات شجبت في عام ١٦٦٠ مشروع إقامة مستوطنة انكليزية في مسقط(٢).

وساءت العلاقات العربية ـ الانكليزية عندما هاجمت سفينتان وأربعة قوارب حربية عربية قادمة من مسقط في عام ١٦٨٣ سفينة انكليزية كانت في طريقها إلى بومباي وقتلت وجرحت عدداً من رجالها، وفي العام التالي ١٦٨٤ جنحت سفينة انكليزية بالقرب من ساحل جزيرة مصيرة وعاملها البدو بمودة بعد أن وعدهم الانكليز بنصف حمولتها. ولكن الجانبين العربي والانكليزي بذلا جهودهما لتجنب المواجهة المباشرة(٣)، فامتنع الامام سيف ابن سلطان عن عرقلة التجارة الانكليزية وحرص على عدم التعرض للسفن والمصالح الانكليزية في الخليج العربي والمحيط الهندي ما دام الانكليز يلتزمون بالحياد التام في النزاع العربي الفارسي(٤). فضمن الامام بذلك حياد الانكليز. ومن الأمثلة على ذلك، اعتراض وكالة الشركة الانكليزية في بومباي على تقديم المساعدة العسكرية التي اقترحها الوكلاء الانكليز في فارس لتمكين السلطات الصفوية من احتلال مسقط بدعوى حرمان الهولنديين من انتهاز الفرصة وتقديم مساعدتهم العسكرية للصفويين. وكانت وجهة نظر وكالة الشركة الانكليزية في بومباي أن لا مبرر لمثل هذا الاجراء العدائي ضد مسقط

---

(١) Skeet, Ian. Op Cit. p. 38.

(٢) The English Factories In India. 1655 - 1660. p. 233.

(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١
وانظر، أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.

(٤) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 218 - 219, 223.

ما دام اليعاربة لا يضعون عقبات جدية في طريق الملاحة والتجارة الانكليزية. وأن مصلحة الشركة تقضي باتباع سياسة حذرة في علاقاتها مع الصفويين واليعاربة على حد سواء.

ولكن العلاقات العربية ـ الانكليزية ازدادت سوءا. ففي عام ١٦٩١ استولت بعض السفن العربية على سفينة تجارية تخص بعض تجار مدراس[١]. وفي نيسان ١٦٩٧ استولى عرب مسقط على سفينة انكليزية تخص أحد تجار بومباي وأرغموا تجارها على الاشتراك معهم ضد البرتغاليين ورفض امام عمان إعادتها ولو أدى ذلك إلى إعلان حالة الحرب مع الانكليز. وقد برّر موقفه بأن السفينة قد تخص قراصنة البحر الأحمر وبالتالي فلا تتمتع بحماية الشركة الانكليزية. وأدرك المسئولون الانكليز في نهاية القرن السابع عشر خطورة عرب عمان على المصالح الأوربية بعد الانجازات البحرية المهمة التي حققوها، وأن خوفهم من القوة الانكليزية هو الرادع الوحيد الذي يمنعهم من الاعتداء على سفن الشركة الانكليزية في المياه الشرقية[٢]. وتنبأ الكابتن براشغوين ـ أحد الضباط الانكليز في بندر عباس ـ لعرب مسقط بأنهم سيبرهنون على أنهم وباء عظيم في الهند أشبه بوطأة الجزائريين على أوربا[٣].

ويذكر الكابتن الكسندر هاملتون أن القراصنة الأوربيين بدأوا بالقرصنة في الخليج العربي والبحر الأحمر اعتباراً من عام ١٦٩٥ عندما وجدوا إمكانية الحصول على غنائم وفيرة في مقابل مخاطرة سهلة. وفي العام التالي ظهرت خمس سفن للقراصنة الأوربيين في البحر الأحمر ونهبت السفن التجارية في الخليج العربي وكانت ترفع الاعلام الانكليزية فوقها.

واتخذ القراصنة الأوربيون من ميناء سانت ماري في جزيرة مدغشقر ومن جزيرة بريم في البحر الأحمر مأوى لسفنهم ومحطات لتخزين المؤن والبضائع فيها. وبعد أن أصبح لدى القراصنة في عام ١٦٩٨ أساطيل منظمة

---

(١) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit, pp. 220 - 223.

(٣) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١.

وزادت قوتهم وثروتهم من مصادرة السفن، اتفقت القوى الأوربية في المياه الشرقية على حماية طرق مواصلاتها من خطر القرصنة بتعيين مناطق مراقبة وحراسة لكل منها[1]. فكان البحر الأحمر من نصيب الهولنديين ووكل أمر الخليج العربي إلى الفرنسيين وعهد بالبحار ـ الهندية الجنوبية إلى الانكليز، غير أن هذا الاتفاق لم يسفر عن نتائج ملموسة فنشط القراصنة في المياه الشرقية.

وعندما أفادت تقارير وكلاء الشركة الانكليزية في بندر عباس بعرقلة العرب للتجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي خشيت وكالة الشركة الانكليزية في بومباي أن تتخذ السلطات الصفوية من ذلك ذريعة للامتناع عن دفع نصيب الشركة الانكليزية من الرسوم الجمركية المتأخرة والمستحقة[2]. وللحيلولة دون ذلك قرر مجلس إدارة الشركة الانكليزية في عام ١٧٠٤ القضاء على القوة البحرية العربية، وراودت الشركة الانكليزية فكرة تجهيز حملة بحرية ضد العرب في مسقط للحد من نفوذهم ونشاطهم البحري المتزايد الذي امتد ليشمل الساحل الغربي للهند في عام ١٧٠٧[3].

وثمة عدة أسباب حالت مجتمعة دون تنفيذ مشروع الحملة الانكليزية المقترحة وهي: انشغال الانكليز في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠١ - ١٧١٣) - واهتمامهم بتوطيد نفوذهم في الهند، وعدم توفر القوة الانكليزية في المياه الشرقية للقيام بالمهمة العسكرية المنشودة على نحو مؤثر وفعال. كما أن العرب في مسقط لم يتعرضوا بعد لسفن الشركة الانكليزية على نطاق واسع. ولهذه الأسباب امتنعت الشركة الانكليزية عن تلبية طلب المساعدة البحرية الذي تقدمت به اليها السلطات الصفوية للهجوم على مسقط[4].

أما بالنسبة للعلاقات العربية ـ الهولندية، فقد رفض اليعاربة الاعتراف

---

(١) أرنولد ويلسون: المرجع السابق، ص ٣٢١.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 223.

(٣) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١.

(٤) صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠. (بغداد، ١٩٧٩) ص ٦٢.

بالنفوذ الهولندي في بلادهم[1] لاسيما بعد أن قوي أمرهم بعد القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، وبعد أن ألحق أسطولهم خسائر فادحة بالسفن البرتغالية. وتدهورت العلاقات بين الجانبين عندما أخذت السفن العربية منذ عام ١٦٩٥ تتعرض للسفن الهولندية[2] في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي وعندما ازدادت حدة النزاع العربي ـ الصفوي استنجدت السلطات الفارسية بالأسطول الهولندي، ولكن دون جدوى فقد حرص الهولنديون على عدم التورط في حرب مع القوة العربية في الخليج غير مأمونة العواقب[3]. أما بالنسبة للعلاقات العربية ـ الفرنسية فقد كان لشركة الهند الشرقية الفرنسية التي تأسست في عام ١٦٦٤ اتصال تجاري محدود مع البصرة بدأ في عام ١٦٧٩ بتعيين قنصل فرنسي فيها[4] ولكنه لم يقم بدور مهم بسبب حجم التجارة الفرنسية المحدودة. وظلت المصالح الفرنسية خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر تحت رحمة الحاكم المحلي للبصرة. ولكن مسقط حظيت باهتمام المبعوثين الفرنسيين إلى فارس الذين راودتهم في عام ١٦٦٧ فكرة الاستيلاء عليها لاتخاذها قاعدة بحرية للأسطول الفرنسي في منطقة الخليج العربي[5].

واستفادت فرنسا من ضعف الدولة الصفوية وعدم قدرتها على مواجهة النشاط البحري العربي خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر وفشلها في الحصول على المساعدة البحرية من الهولنديين والانكليز فحصلت على امتيازات تجارية من الشاه حسين. وعلى الرغم من ذلك فقد بقي النشاط التجاري الفرنسي محدوداً في منطقة الخليج العربي لوقوف الانكليز والهولنديين معاً ضد الفرنسيين في أوربا وخارجها.

---

(١) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٧.
(٢) أرنولد ويلسون: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠.
(٣) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد الثالث، كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ ـ ٢٧٨.) ص ٢٧٢.
(٤) Zaki, Saleh, Mesopotamia (Iraq) 1600 - 1914. (Baghdad 1957) p. 50.
(٥) صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٦٤ ـ ٦٥.

الفصل الرابع

مملكة هرمز

تقع جزيرة هرمز الصغيرة القاحلة، والتي تبعد حوالي ١٢ ميلاً عن الساحل الفارسي في مدخل الخليج العربي. وكانت هرمز قبل وصول البرتغاليين اليها في العقد الأول من القرن السادس عشر مركزاً تجارياً مهماً، استمد أهميته من موقع الجزيرة الاستراتيجي الحاكم في مدخل الخليج العربي، حيث التقت عندها طرق القوافل التجارية بين الهند وأوربا بواسطة حلب، وبسطت نفوذها على الساحل العربي من القطيف شمالاً حتى رأس الحاد جنوباً ودخلت في حوزتها البحرين وقشم(١)، ومن ممتلكات هرمز أيضاً قلهات، قريات، صحار، خورفكان، مسقط، رأس الحاد، وكانت مسقط مركزاً تجارياً نشيطاً، وصدرت عمان بواسطتها الخيول والحنطة والذرة والشعير والتمور والسمك المجفف والمملح(٢). كما ضمت مملكة هرمز بعض أجزاء

---

(١) Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England?) pp. 15 - 16; Foster, William. A View Of Ormus In 1627 (The Geographical Journal. Vol. IV. N°. 2. London. August 1894. pp. 160 - 162) p. 160.

ويذكر عباس العزاوي أن جزيرة قشم هي جزيرة قيس القديمة وتقع في مقابل ميناء جمبرون - بندر عباس -. ولعلها هرمز الأصلية وتقع على بعد خمسة أميال من جزيرة هرمز الحالية وحلت في التجارة محل سيراف. أنظر، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٦ (مستدركات المجلد الرابع) ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) Stripling, George William Frederic, The Ottaman Turks And The Arabs: 1511 - 1574. (Illinois Studies In The Social Sciences. Vol. XXVI. N°4, U.S.A. 1942). p. 25.

الساحل الفارسي. واستغلت مصائد اللؤلؤ في الخليج العربي وحصلت الرسوم الجمركية في الموانئ التابعة لها.

وكانت مملكة هرمز على جانب كبير من الثراء لازدهار تجارتها خلال القرون السابقة للاحتلال البرتغالي لها. ووصف ابن بطوطة مدينة هرمز في القرن الرابع عشر الميلادي بأنها «مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين، وفارس، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباخ وجبال ملح... وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان[1]. أ. هـ.

وكانت هرمز قبل الاحتلال البرتغالي لها في عام ١٥١٥ تحت السيادة الاسمية للشاه اسماعيل الصفوي وازدهرت فيها تجارة اللؤلؤ.. ووصفها لودفيجو دي فارتيما خلال رحلته التي قام بها إلى الشرق (١٥٠٣ - ١٥٠٨) بأنها «مدينة فائقة الجمال ومركز مزدهر للملاحة والتجارة ولا يوجد فيها ماء ولا ينبت فيها غذاء وكل شيء يأتيها من المناطق المجاورة لها، حيث لا يوجد في الجزيرة سوى الملح. وعلى مسافة ثلاثة أيام منها يصطاد أكبر اللآلئ في العالم»[2]. أ. هـ. وقد ضمت هرمز في القرن السادس عشر تجاراً من مختلف الأقطار والجنسيات، وازدهرت تجارتها التي ضمت كل أنواع التوابل والعقاقير والحرير الخام ومختلف أنواع الأقمشة الحريرية والمنسوجات الفارسية المزينة بالرسوم. واحتوت هرمز أيضاً على مخازن اللؤلؤ ويأتيها من جزيرة البحرين ويتميز بنفاسته ويبّز اللآلئ الأخرى[3].

وهكذا اشتهرت هرمز بموقعها الجغرافي وبازدهار تجارتها مع الهند،

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٨) ص ٢٦٤. وانظر أيضاً، شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٣.

(٢) Barbosa, Durate. A Description Of The Coasts Of East Africa And Malabar In The Beginning Of Sixteenth Century. (Translated By Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970) pp. 43 - 44; Jones Winter. (Translator). The Travels of Ludovico Di Varthema, A.D. 1503 To 1508. (New York?) pp. 94 - 95.

(٣) Tweedy, Maureen. Op. Cit. p. 16.

وأسرف الرحالة الأوربيون في تمجيد غناها وازدحامها بالسفن التجارية. وتحدثوا عن توفر البضائع فيها من كل صنف، ووجود الناس فيها من كل لون، وعن جمال شوارعها وبيوتها لا سيما بيوت الأشراف فيها الرائعة والمجهزة بكل أسباب الترف[١]. أما نظام الحكم في مملكة هرمز فكان ملكياً وراثياً ويقيم ملك هرمز في مدينة هرمز وله فيها بعض القصور. أما مقر اقامته فهو في قلعة المدينة حيث احتفظ فيها بخزائن أمواله[٢]. ويقرر مجلس كبار التجار في هرمز صلاحية الملك الجديد للحكم. ولذلك فان المجلس هو الذي يحكم ولا يتدخل الملك في شؤون الدولة وليس في يده من السلطة شيء، وإذا ما أبدى رغبة في ممارسة صلاحياته والتدخل في شؤون الحكم كالملوك الآخرين، فان المجلس يقرر دون إبطاء أو تردد سمل عينيه ووضعه في بعض البيوت مع زوجته ويعين أحد أبنائه بدلاً منه ويستمر المجلس في حكم المملكة باسم الملك الجديد ولذلك كان في هرمز نحو اثني عشر ملكاً كفيفاً عبرة للآخرين ووفر المجلس لهم ولزوجاتهم وأولادهم الطعام والمأوى[٣].

أما ملك هرمز الحاكم فيتوفر على خدمته وحراسته عدد كبير من الحراس المسلحين ومن السادة والأشراف، يتقاضون رواتب جيدة ومخصصات ثابتة ويكلِّف بعضهم بالذهاب إلى حدود المملكة إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، كما سكَّت مملكة هرمز النقود الذهبية «الاشرفية» التي حملت كتابات اسلامية، والنقود الفضية ايضاً وراجت معظم نقود هرمز في الهند[٤] لازدهار التبادل التجاري بينهما. واشرفت حكومة هرمز على أسواقها التجارية ووضعت نظاماً دقيقاً للمبادلات التجارية. وفرضت عقوبات رادعة لكل من يحاول التدليس والتلاعب في الوزن أو البيع بأكثر من السعر المحدَّد[٥].

---

(١) Wright, Arnold. Early English adventures In The East. (London 1917) p. 254; Foster, William. Op. Cit. p. 160; Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 41.

(٢) Barbosa, Durate, Op. Cit. pp. 43 - 44.

(٣) Ibid. pp. 44 - 45.

(٤) Ibid. pp. 45 - 46.

(٥) Ibid. p. 44.

وعندما وصل البرتغاليون إلى هرمز للمرة الأولى بقيادة الفونسو البوكيرك في عام ١٥٠٧ لم يتمكنوا من القضاء على استقلال مملكة هرمز، ولذلك عاد اليوكيرك مرة أخرى إلى جزيرة هرمز في عام ١٥١٥ وأخضع ملك هرمز للتاج البرتغالي وسمح له بحكم رعاياه من المسلمين وفرض عليه قيوداً منها عدم مغادرة الجزيرة دون موافقة أو تصريح من الحاكم البرتغالي في قلعة هرمز. وبذلك أشرف البرتغاليون على إدارة الأمور المهمة والأساسية في مملكة هرمز وحصلوا على حصة مهمة من الرسوم الجمركية ولم يتركوا للملك هرمز سوى اللقب مع جزء ضئيل من الايرادات المالية(١).

ولكن جزيرة هرمز بقيت من أهم الموانئ التجارية الرئيسية في الشرق. وجذبت أسواقها المكتظة بالبضائع وشوارعها المزدحمة بالمارة الرحالة الأجانب اليها، وضمت مدينة هرمز في القرن السادس عشر نحو أربعين ألفاً من السكان من مختلف الجنسيات والأقطار(٢).

(١) Stevens, John. The History Of Persia (London 1715?) pp. 415 - 416.
(٢) Wright, Arnold, Op. Cit. p. 254.

الاحتلال البرتغالي

بدأ البرتغاليون في التغلغل في الخليج العربي في عام ١٥٠٧، وكانت هرمز والموانئ التابعة لها أول ما تعرض للغزو البرتغالي في منطقة الخليج العربي وكانت قلهات أول ميناء على الساحل العماني يصله البرتغاليون. وعندما وصل البوكيرك مسقط أجرى مفاوضات مع أشراف المدينة الذين تعهدوا بدفع الاتاوة التي طلبها منهم، ولكنه لم ينتظر انتهاء مدة الإنذار فقصف مسقط بمدافع الأسطول متهماً السكان بتنظيم المقاومة ضده[١] وكان ميناء خورفكان من الموانئ العربية المهمة التي أحرقها البوكيرك ومثّل بأهلها فجدع أنوفهم وصلم آذانهم، واستولى على صحار أيضاً.

وهكذا دمّر الفونسو البوكيرك موانئ قريات ومسقط وخورفكان وشهد الساحل العماني منذ البداية عنف وقسوة الأساليب البرتغالية وفرض البوكيرك الحصار على هرمز. ولكن تعليمات نائب ملك البرتغال في الهند - دا ألميدا - قضت برفع الحصار عنها. وعندما عاد البوكيرك إلى منطقة الخليج العربي في عام ١٥١٥ عمل على توطيد النفوذ البرتغالي في هرمز وأمر ببناء قلعة كبيرة في طرفها الشرقي [٢] للسيطرة على المنطقة واحتكار التجارة فيها ثم أخذ النفوذ البرتغالي يمتد ويتوسع خلال النصف الأول من القرن السادس عشر حتى

(١) صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ترجمة عبد الجبار ناجي (بغداد، ؟) ص ١٠.

(٢) Hamilton, Alexander. A New Account Of The East Indies,. (A General collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811) p. 296.

وصل إلى شط العرب شمالاً، وطافت السفن البرتغالية بموانئ الخليج العربي والهند حاملة معها البضائع الشرقية ومهددة النفوذ العثماني في البحر الأحمر والخليج العربي.

وقد استغل البرتغاليون منذ البداية تفوقهم العسكري في مجال استعمال الأسلحة النارية من المدافع والبنادق ضد العرب الأضعف تسليحاً منهم[1]. كما استغلوا المنازعات والخلافات المستمرة بين شيوخ القبائل العربية على السلطة لاسيما في منطقة الساحل العماني والصراع الصفوي - العثماني، وعندما ظهر العثمانيون متأخرين في منتصف القرن السادس عشر بامكانياتهم البحرية المحدودة في البحار الشرقية كان البرتغاليون قد وطدوا نفوذهم باحكام في منطقة الخليج العربي.

وعلى الرغم من ذلك، ثار العرب في الساحل العماني ضد الاحتلال البرتغالي في عام ١٥١٩، ولكن البرتغاليين تمكنوا من اخماد الثورة بعد محاصرة السفن البرتغالية الموانئ العربية كما أخضع البرتغاليون ثورة البحرين ضد ملك هرمز في عام ١٥٢١[2]. أما شيخ الأحساء مقرن بن زامل فقد امتنع عن دفع الجزية إلى هرمز واعترض السفن التجارية بين البصرة وهرمز بعد أن بنى له بعض الفنيين الأتراك عدداً من السفن لاستخدامها ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي. ولكن البرتغاليين قضوا على مقرن وأرغموا البحرين على دفع الجزية إلى هرمز[3].

ثم تذرع البرتغاليون بتأخر ملك هرمز في دفع الضرائب المستحقة عليه للتاج البرتغالي، فأشرفوا مباشرة على المراكز الجمركية في مملكة هرمز مما أغضب ملك هرمز «توران شاه» الذي حرض الحكام التابعين له في الساحل

---

(١) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf (?1966) p. 184.

(٢) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records (London 1892) p. 115.

(٣) Ozbaran, Salıh. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf, 1534 - 1581. (Journal Of Asian History Vol. 6. N°. 1. 1972. pp. 45 - 87). p. 45 - 46.

العماني على إعلان الثورة ضد البرتغاليين وحدد ٢١ تشرين الثاني ١٥٢١ موعداً لبدء الثورة التي خطط لها باحكام. واحتال على قائد الأسطول البرتغالي لارسال سفينتين من ميناء هرمز إلى مسقط لتأديب القراصنة فيها. وفي الوقت المحدد قام الشاهبندر بمهاجمة السفينتين البرتغاليتين في ميناء هرمز ليلاً واستولى عليهما بالقوة بعد مفاجأة بحّارتها ثم أشعل النار فوق إحدى السفن معلناً بذلك الثورة وقام سكان هرمز بمهاجمة البرتغاليين في مدينتهم، وقتلوا فريقاً منهم وأسروا نحو ستين برتغالياً(١)، ولاذ الباقون بالفرار بسفنهم. وقد قاومت القلعة البرتغالية في هرمز فترة طويلة امتدت شهوراً على الرغم من محاصرتها، ثم جاءت الامدادات والنجدات البرتغالية من مسقط والهند كذلك لجأ البرتغاليون إلى الحيلة فوعدوا حاكم مسقط المحلي الذي كان على خلاف مع ملك هرمز بفصل مسقط عن هرمز مما مكنهم من إرسال النجدات إلى الحامية البرتغالية المحاصرة في قلعة هرمز ومن استقبال البرتغاليين الهاربين من هرمز أيضاً. وعندئذ قضى البرتغاليون على الثورة. كذلك فشلت الثورة في الساحل العماني على الرغم من الحاقها خسائر فادحة بالبرتغاليين نتيجة مهاجمة السكان العرب السفن والمراكز البرتغالية في صحار وقريات وخورفكان وقلهات والبحرين.

وعندما وجد ملك هرمز أن الثورة قد فشلت، هرب إلى جزيرة قشم المجاورة بعد أن أحرق مدينة هرمز. ولكنه اغتيل على يد أحد اتباعه فخلفه ابنه محمود شاه وعمره ثلاث عشرة سنة وأرغمه البرتغاليون على توقيع معاهدة معهم في ١٥ تموز ١٥٢٣ سلّم بموجبها السلطة الفعلية للبرتغاليين وبذلك أصبحت مملكة هرمز تحت الحكم البرتغالي المباشر(٢).

ووفقاً لبنود المعاهدة كان على ملك هرمز توفير الأمن للبرتغاليين وتسهيل

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. p. 158.

(٢) Belgrave, C.D. The Portuguese In The Bahrain Islands, 1521 - 1602. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXII. Part. IV. Oct. 1935, pp. 617 - 630). p. 621.

إقامة تجارهم في هرمز. وأشرف البرتغاليون على إدارة مراكز الجمارك مباشرة، كما قضى الاتفاق بزيادة الجزية السنوية إلى ٦٠٠٠٠ أشرفي[١]. ومنعت المعاهدة المسلمين في مملكة هرمز من حمل السلاح وتسليم ما في حوزتهم من سلاح إلى السلطات البرتغالية للاحتفاظ به في قلعة هرمز، في مقابل حماية البرتغاليين هرمز من أعدائها ومنح سفنها حرية الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي باستثناء مضائق مالقا وسواحل سفاله[٢].

وبذلك سيطرت البرتغال على الحركة التجارية في جزيرة هرمز وفقاً لمصالحها، بعد أن أخمدت الثورة في هرمز. كما نتج عن فشل الثورة هجرة بضعة آلاف من سكان هرمز إلى المناطق المجاورة لها وأدى فشل الحكم البرتغالي العسكري في إدارة الحركة التجارية فيها إلى انتهاء الازدهار التجاري الذي نعمت به مملكة هرمز لأكثر من قرنين قبل الاحتلال البرتغالي لها.

ولكن الأحوال لم تهدأ في الخليج العربي فنشبت ثورات أخرى في قلهات ومسقط في عام ١٥٢٦ بسبب ضعف الحاكم البرتغالي في هرمز، وابتزازه للتجار المحليين، ومكائد الوزير شرف الدين، ولأن سكان الساحل العماني رفضوا الخضوع إلى مملكة هرمز التي يسيطر عليها البرتغاليون، ولكن نائب ملك البرتغال في الهند قصد هرمز على رأس أسطول كبير في عام ١٥٢٨ وتمكن من إخضاعها وسوَّى الخلافات بين حاكم قلعة هرمز البرتغالي ووزير هرمز الرئيس شرف الدين[٣]. وبعد فشل الثورة في مسقط بدأ البرتغاليون في بناء قلعتي الجليلي والميراني وكانت قلعة الميراني المركز الرئيسي للحامية البرتغالية في مسقط، ثم أمر ملك البرتغال في عام ١٥٢٩ بترحيل المعارضين للحكم البرتغالي من جزيرة هرمز. ونفى ملك البرتغال الرئيس شرف الدين إلى لشبونة لاتهامه بالاستبداد بالسلطة وتحريض محمود شاه ملك هرمز

---

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.
(٢) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 113 - 116.
(٣) Miles, S.B. Op. Cit. 163.
وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

الصغير السن ضد المصالح البرتغالية[1]. وكانت البحرين قد نجحت مؤقتاً في الانفصال عن مملكة هرمز وفشلت محاولات الأسطول البرتغالي لاستعادتها. ومما زاد في انتشار الثورات والاضطرابات ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي تدخلهم في الخلافات الداخلية ومساعدة بعضهم ضد الآخر لخدمة المصالح البرتغالية.

ومن مملكة هرمز حاول البرتغاليون في عام ١٥٢٩ مدَّ نفوذهم إلى البصرة، فاغتنموا طلب راشد بن مغامس حاكم البصرة المساعدة البرتغالية ضد أمير الحويزة. وبعد أن قدم البرتغاليون مساعدتهم إلى راشد بن مغامس نشب نزاع بين الجانبين لرفض راشد التنازل للبرتغاليين عن بعض حصون البصرة ومقاطعة التجارة العثمانية وتسليم بعض السفن التركية الموجودة في ميناء البصرة. وانتقم البرتغاليون بقصف بعض الأماكن التابعة له[2].

وبعد أن استقر البرتغاليون في هرمز أخذوا الاعشار من التجار والرسوم من المسافرين من ميناء لآخر في منطقة الخليج العربي، ولم يدفعوا لملك هرمز سوى نصيب قليل منها. وعين ملك البرتغال قائداً للحامية البرتغالية في هرمز مرة كل ثلاث سنوات، وسيطر البرتغاليون تماماً على الحكم في هرمز، رغم وجود الملك ومجلس الوزراء وبذلك تحولت سلطة ملوك هرمز إلى ظل للاحتلال البرتغالي. وقد اهتم البرتغاليون بجزيرة قشم القريبة من هرمز فبنوا فيها قلعة قوية لأهميتها الاستراتيجية ولأنها مصدر مياه الشرب التي تنقل بحراً إلى ميناء هرمز[3].

---

(١) Skeet. Ian. Muscat And Oman. The End Of An Era (London 1974). pp. 35 - 36.

وانظر لوريمر، ج. ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - (الدوحة، ١٩٧٦ - ج ١ ص ١٥ ج ٢ ص ٦٣٢ - ٦٣٣.

(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠ - ١٩١٨ (دمشق، ١٩٦٠) ج ١ ص ٣٢. وأنظر محمد علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠ ص ٢٣٢ - ٢٥٦) ص ٢٣٧.

(٣) Monshı, Eskandar Beg. History Of Shah Abbas The Great. Vol. II Translated by Roger M. Savory (U.S A. 1978) pp. 1201 - 1204.

أما سكان هرمز فكانوا مزيجاً من العرب والفرس وغيرهم من الملونين السود وتكلموا العربية والفارسية. وكان شعب هرمز مترفاً اهتم بالحسيات وولع بالموسيقى. وكانت في هرمز جماعة من التجار الأغنياء أقامت في جزيرة قشم وملكت الكثير من السفن وتاجرت بأصناف كثيرة من البضائع التي قامت باستيرادها ثم أعادت تصديرها[1]. وقد بلغ عدد أفراد هـذه الطائفـة من التجار الأغنياء نحو ثلاثين تاجراً وقدر عدد ما يملكه كل منهم بعشرين ألف كراسادو من الذهب.

أما ايرادات مملكة هرمز من الجمارك في القرن السادس عشر، فقد تم تحصيلها بواسطة مدينة قلهات حيث أشرف حاكمها ورئيس الجمارك فيها على تحصيل الايرادات من مدن الساحل العربي الأخرى على النحو التالي:

قلهات ١١٠٠ أشرفي
مسقط ٤٠٠٠ أشرفي
صحار ١٥٠٠ أشرفي
خورفكان ١٥٠٠ أشرفي
دبي ٥٠٠ أشرفي
جلفار ٧٥٠٠ أشرفي

وبالاضافة إلى ذلك دفعت القوارب المستخدمـة في صيد اللؤلؤ والتي أرغمت على الذهاب إلى هرمز للحصول على تصاريـح المرور مبلغ ١٥٠٠ أشرفي، وقد بلغت ايرادات الساحل العماني ٢٨و٢٠٠ أشرفي بينما بلغ مجموع ايـرادات هرمـز السنـويـة مبلغ ١٩٨و٠٧٨ أشرفي أو مـا يعـادل ٥٩و٤٢٣ دولاراً[2]. بينما بلغت عائدات هرمز السنوية في نهاية الحكم البرتغالي لهـا حوالي ١٨٠و٠٠٠ ريال.

---

(١) Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 41.
وانظر، صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) Miles, S.b. Op. Cit. p. 155; Minutes Of A Court To Consider Of The Persian Trade. Nov. 1624 (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624) p. 450, 452.

سقوط الحكم البرتغالي في هرمز

تميز الحكم البرتغالي في مملكة هرمز بخاصة وفي منطقة الخليج العربي بعامة بالتسلط والقهر واستخدام أساليب القسوة والعنف، وبالتعصب الديني في معاملة السكان العرب والفرس[1]، مما أدى إلى نفورهم من الحكم البرتغالي وإلى زيادة كراهيتهم للبرتغاليين في كل مكان حلوا فيه وإلى الانتقام من البرتغاليين، فمنعوا السفن البرتغالية من الحصول على المواد الغذائية ومياه الشرب وقتلوا عدداً من رعاياهم.

وكذلك احتكر البرتغاليون التجارة الشرقية وسيطروا على حركة الملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي، فلم يكن في وسع أي سفينة غير برتغالية دخول الخليج دون تصريح من البرتغاليين في جزيرة هرمز، ولرغبة البرتغاليين الشديدة في احتكار التجارة ونقلها كان الحصول على التصريح أمراً صعباً للغاية.

وفي مطلع القرن السابع عشر، صمم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٢٩) الذي تمكن من توطيد نفوذه في فارس على طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي بعد أن ألحقوا الأذى والاهانة بكرامة بلاده لسنوات عديدة. وكان هدف الشاه عباس بعد طرد البرتغاليين من البحرين (١٦٠٢) وقشم

(١) ثار السكان الفرس في لار ضد ملك هرمز في عام ١٥٨٢ وحاصروا قلعة شامل، ولكن ملك هرمز استعان بالقوات البرتغالية التي استردت القلعة، وأوقعت مذبحة بالسكان. أنظر، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره. ج ١ ص ١٩. وأقام البرتغاليون في منطقة الخليج العربي ديرا للراهبات الكرمليات وكنائس للتبشير بالكاثوليكية. أنظر.

Thos. Bays To Salisbury. June 10, 1609. (Colonial Papers. Vol. I 1513 - 1616) pp. 185 - 186.

وجمبرون (١٦١٥) وتدمير قلعة جمبرون البرتغالية وبناء قلعة فارسية بدلاً منها، وبعد السيطرة على مياه الشرب العذبة في جزيرة قشم والتي كانت المصدر الرئيسي لمياه الشرب في جزيرة هرمز ذات المياه المالحة طرد البرتغاليين من هرمز[١]، والتي كانت حتى العقد الثاني من القرن السابع عشر مدينة مزدهرة بتجارتها ومخزناً كبيراً للبضائع التي تأتيها من كل الجهات.

واهتم البرتغاليون بعد خسارتهم ميناء جمبرون في عام ١٦١٥ بتقوية أنفسهم في جزيرة هرمز، فحشدوا أسطولهم فيها وطلبوا نجدات حربية أخرى من جاوه لتعزيز الدفاع عن مدينة هرمز وأرسلت لشبونة حملة بحرية في ربيع ١٦١٩ ضمت خمس سفن كبيرة بقيادة راي - فرايري اندرادا لشجاعته وكفاءته للدفاع عن مركز البرتغاليين المهدد[٢] ولا سيما بعد أن أدرك البرتغاليون رغبة الشاه عباس في استئصال الوجود البرتغالي في الخليج العربي من جذوره، وأن وراء اعتداءات الشاه عباس على البحرين وقشم وجمبرون ومساعدته العرب في طرد البرتغاليين من رأس الخيمة في عام ١٦١٩[٣] مخططاً شاملاً للقضاء على المصالح البرتغالية.

---

(١) Wilson, Sir Arnold T. Early Spanish And Portuguese Travellers In Persia (The Asiatic Review. Vol. XXII. Oct 1926) p. 141; Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960) p. 173; Hamilton. Alexander. Op. Cit. p. 299; Wm. Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513 - 1616). p. 388; Edward Pettus To The East India Company. Moghistan, Nov. 30, 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) pp. 214 - 215.

(٢) Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jasques. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited by William Foster. London 1901). pp. 56 - 57. Account Of The Voyage Of The Expedition From Surat To Jask And Back. By John Rowe. (The English Factories In India. Vol. I. 1618 - 1621. By William Foster. Oxford 1906; pp. 45 - 46; Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.

(٣) Wm, Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513 - 1616) p. 388; Thos. Kerridge To The East India Company. Ajmere. March 20, 1615. (Colonial Papers. Vol. I) p. 396 - 397.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١.

ونجح الفرس في الاستيلاء على كونغ، ولكن نفاذ المؤن ونقص المياه العذبة وارتفاع درجة الحرارة أرغمتهم على الانسحاب منها بعد أن لحقت بقواتهم التي بلغت حوالي أربعين ألف جندي خسائر فادحة(١). وبعد أن تمكن الشاه عباس من التوصل إلى سلام مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨ تفرغ للعمل ضد البرتغاليين في الخليج العربي، فطالب باستعادة السيادة الصفوية على جزيرة هرمز وبرّر ذلك بأنها كانت تدفع الجزية لفارس قبل الاحتلال البرتغالي لها.

وأحكم الشاه عباس خطته الطموحة لطرد البرتغاليين من هرمز مستفيداً من قوة بلاده وازدهارها، وذلك عندما طلب منه السفير الاسباني إعادة البحرين وجمبرون لمملكة هرمز وإبعاد القوى الأوربية المنافسة للاسبان والبرتغاليين عن الموانئ الفارسية(٢). عضب الشاه عباس ومزّق الرسائل التي سلمها السفير الأسباني اليه وأقسم على طرد البرتغاليين من هرمز. وأخذ الحيطة والحذر من السفن البرتغالية الحربية التي وصلت إلى مياه الخليج العربي بزعم نقل الحرير الفارسي بينما كان هدفها الحقيقي بناء بعض التحصينات في الجزر القريبة من هرمز(٣).

وأدرك الشاه عباس الأول أهمية التحالف الانكليزي - الصفوي فعمل على استمالة الشركة الانكليزية بمنحها امتيازات وتسهيلات تجارية ليضمن مساعدتها في العمليات البحرية المتوقعة ضد هرمز، ولذلك أصدر تعليماته إلى حاكم شيراز إمام قولي خان للتفاوض مع وكلاء الشركة الانكيزية الذين ترددوا في البداية لأن انكلترا واسبانيا في حالة سلم وبينهما علاقات طيبة، كما لا يجوز للشركة الانجليزية الاشتراك في حرب ضد المصالح الاسبانية قبل

(١) Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 289.
(٢) Ramazani, Rouhollhak. The Persian Gulf. Iran's Role. (U.S.A. 1972) p. 11; Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.
(٣) Thos. Barker. Edward Monox, Wm, Bell, And Thos. Barker Jun., To The East India Company. Ispahan. Oct. 16, 1619. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621). p. 303 - 305.

الحصول على موافقة مسبقة من الحكومة الانكليزية[1].

كذلك كانت الشركة الانكليزية تخشى من نتائج فشلها ضد القلعة البرتغالية المحصنة جيداً في هرمز ومن ردة الفعل لدى السلطات البرتغالية. واتبع حاكم شيراز إمام قولي خان أسلوب الترغيب والترهيب، وبالضغط والتهديد من جهة والاغراء والوعود من جهة أخرى تمكن من التغلب على موقف وكلاء الشركة الانكليزية المتردد[2]، فقد حذرهم بأن امتناعهم عن المشاركة في الحرب ضد البرتغاليين سيلحق الضرر بمصالح الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي وسيحرمها من تجارة الحرير الفارسي بل هددها بمصادرة كميات الحرير المخصصة لها والتي كانت في الطريق اليها، والغاء كل الامتيازات التجارية. أما إذا وافقوا على الاشتراك في الهجوم ضد هرمز فسوف يقصر الشاه عباس بيع الحرير الفارسي على الشركة الانكليزية.

وهكذا وجدت الشركة الانكليزية نفسها في ورطة، فهي لا ترغب في خسارة تجارتها الفارسية أو تعريضها للخطر ولا ترغب في زيادة النفقات الحربية في الوقت الذي كانت ترغب فيه شن الحرب ضد البرتغاليين الذين عرضوا مصالحها التجارية للخطر في المحيط الهندي والخليج العربي[3]. ولذلك بعد أن تردد وكلاء الشركة في البداية قرروا في النهاية التزام مصالح الشركة بدلاً من التزام سياسة الحكومة الانكليزية.

وأخيراً تم الاتفاق في ٨ كانون الثاني ١٦٢٢ بين ادوارد مونكس وكيل الشركة الانكليزية عن الجانب الانكليزي وإمام قولي خان حاكم شيراز عن الجانب الفارسي في ميناب على الشروط التالية:

أ - يدفع الفرس نصف نفقات الحرب في مقابل مساعدة السفن الانكليزية

---

(١) بديع جمعة واحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم (القاهرة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II. (London 1915) p. 278.

(٣) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٦.

لهم ضد البرتغاليين في قشم وهرمز. ويدفع الانكليز النصف الآخر.

ب ـ خضوع الجزيرة للاشراف الفارسي ـ الانكليزي المشترك ووضع حامية مشتركة فارسية ـ انكليزية متساوية العدد في قلعة هرمز.

ج ـ اقتسام الرسوم الجمركية مناصفة في هرمز بعد الاستيلاء عليها مع اعفاء البضائع الانكليزية من الرسوم الجمركية والضرائب وكذلك إعفاء البضائع التي ترد باسم الشاه وحاكم شيراز.

د ـ اقتسام الغنائم بالتساوي بين الفرس والانكليز.

هـ ـ تسليم الأسرى المسيحيين للانكليز باستثناء راي فرايري قائد قشم وسيموند ميلو قائد قلعة هرمز فيسلمان إلى الفرس وتسليم الأسرى المسلمين للفرس(١).

طرد البرتغاليين من جزيرة قشم

كانت خطة الشاه عباس الأول الاستيلاء على جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز والتابعة لملوك هرمز والتي تكثر فيها المدن المأهولة بالسكان، والمصدر الرئيسي لمياه الشرب التي تعتمد عليها جزيرة هرمز، تمثل المرحلة الأولى في الهجوم الفارسي ـ الانكليزي على جزيرة هرمز، وبدأ الهجوم على قشم في ٢٧ كانون الثاني ١٦٢٢، وكانت قلعة قشم مقراً لقيادة القائد البرتغالي راي فرايري. وفي الأول من شباط ١٦٢٢ اضطرت الحامية البرتغالية في قشم إلى الاستسلام لعدم وصول نجدات برتغالية اليها من جزيرة هرمز المجاورة لها. وقضت شروط الاستسلام(٢) بتأمين سلامة أرواح البرتغاليين وأن تقوم السفن الانكليزية بنقلهم مع أسلحتهم وأمتعتهم إلى جزيرة هرمز وعدم الحاق الأذى بالمحاربين الفرس في صفوف البرتغاليين.

(١) Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 174; State Papers. East Indies. N°. 6. (P.R.O.) pp. 234 - 235.

(٢) Sir Thos. Roe., The English Ambassador, To Sec. Calvert. Constantinople, July 14, 1622. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). p. 50; Barbosa, Durate. Op. Cit. p. 37.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

وبعد استسلام قلعة قشم استولت القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة على ١٧ مدفعاً وأسرت حوالي ألف من البرتغاليين من بينهم راي فرايري الذي رفض الانكليز تسليمه إلى الفرس حسب نصوص الاتفاق وأرسلوه مع أربعة من مساعديه إلى سورات[١]. ولكن بحارة السفينة الانكليزية «ليون» أهملوا في حراسة راي فرايري، فهرب منها.

طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز:

بعد الاتفاق بين الفرس والانكليز للاستيلاء على هرمز نجح حاكم شيراز إمام قولي خان في اقناع العرب في منطقة جلفار «رأس الخيمة» ليطردوا البرتغاليين منها بهدف قطع الامدادات عن الحامية البرتغالية في هرمز كذلك اتفق مع عرب الشارقة على الثورة ضد البرتغاليين والامتناع عن تزويدهم بالمواد الغذائية[٢].

وبدأت العمليات العسكرية ضد قلعة هرمز من البر في ٩ شباط ١٦٢٢، وكانت قوات فارس التي بلغ عددها نحو ١٥٠٠٠ رجل تعاني من نقص كبير في التجهيز والتسليح والامدادات ومن سوء الادارة[٣]. ولذلك فشلت محاولاتها المتكررة لاقتحام القلعة، وعلى الرغم من ذلك فقد قام الفرس في ١٩ نيسان ١٦٢٢ بهجوم ناجح على القلعة وتمكنوا من احتلال فنائها وأرغموا البرتغاليين على التراجع نحو الداخل. وكان البرتغاليون قد هجروا مدينة هرمز إلى القلعة ونقلوا معهم معظم سكانها مع ثرواتهم وممتلكاتهم المنقولة.

أما القوات الانكليزية التي اشتركت في الهجوم على هرمز فقد ضمت

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٥. وانظر أيضاً،

Thomas Rastell, Gilles James, And James Burford To Wm. Methwold. Surat. May 11, 1622. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). p. 38.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 188.

وانظر أيضاً، بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير ١٥٨٨ - ١٦٢٩ (بيروت، ١٩٨٠) ص ٢٣٨ - ٢٤٣.

(٣) لوريمر: ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٦.

خمس سفن عليها حوالي أربعين مدفعاً، وأنزلت نحو ثلاثة الآف جندي على جزيرة هرمز، وتمكنت من تدمير السفن البرتغالية التي نقلها البرتغاليون إلى جوار قلعة هرمز(١)، ولما فشلت محاولات الحامية البرتغالية المحاصرة في عقد صلح منفرد مع الفرس او الانكلير، قررت الاستسلام للانكليز في ٢٣ نيسان ١٦٢٢ في مقابل المحافظة على أرواحها وترحيلها إلى مسقط والهند. ونقلت السفن الانكليزية حوالي ٢٦٠٠ برتغالي إلى مسقط وغيرها من موانئ الساحل العماني في ٢٧ نيسان مما أدى إلى زيادة عدد السكان في مسقط بعد تدفق المهاجرين عليها من هرمز(٢)، وأرسل ملك هرمز محمود شاه إلى فارس أسيراً، أما بالنسبة للمسلمين الذين وجدهم الفرس في قلعة هرمز فقد اختلفت معاملتهم، فبينما أعدم الفرس المتعاونين مع البرتغاليين، أطلقوا سراح الذين أرغمهم البرتغاليون على دخول القلعة والاشتراك في الحرب عنوة.

واستغل الشاه عباس سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ فبنى في جمبرون ميناء جديداً ومنح الشركة الانكليزية الامتيازات التي وعدها بها من قبل في هرمز. فأقامت وكالة تجارية لها فيها(٣). وقام بنقل السكان من مدينة هرمز إلى جمبرون لرغبته في تحويل التجارة اليها. وأمر حاكم شيراز إمام قولي خان ببناء قلعة جديدة في جمبرون بالقرب من القلعة البرتغالية فيها وأن يستخدم في بنائها وتحصينها انقاض مدينة هرمز(٤). وهكذا بعد أن نهب الفرس كل ما

(١) Edward Monox, Richard Blyth, And John Weddell At Ormus To The Surat Factory. April 27, 1622. (The English Factories In India. Vol. II. 1622 - 1623. By William Foster. Oxford 1908). p. 76; Hamilton, Alexander. Op. Cit. p. 299.

(٢) Miles, S.B Op. Cit. p. 188, 191; Letters To Ispahan From Edward Monox. Ormus, May 5, 1622. (Factory Records. Early Papers On Persia. India Office Records).

(٣) Monshi, Eskandar Beg Op. Cit. pp. 1203 - 1204; Lockhart, Laurence. Op. Cit. p. 174; Reasons For A Joint Stock, Tendered By John Lewis. Nov. 17, 1656. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company. 1655 - 1659. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1916) pp. 130 - 131.

(٤) The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster. (Oxford 1909) p. 22; Thos, Barker, John Purefey, John Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan, May 30, 1624. (The Colonial Papers. Vol. III. 1624 - 1629) pp. 286 - 287.

فيها نقلوا حجارتها لاستخدامها في تشييد المباني الجديدة في جمبرون، وبذلك تحولت هرمز إلى كومة من الخرائب والأنقاض بعد أن هجرها سكانها. ورغم وجود حامية فارسية فيها ضمت حوالي ثلاثمئة جندي فارسي ووجود بعض صيادي الأسماك الفقراء فان تجارة هرمز لم تجد تشجيعاً من السلطات الفارسية، ففقدت بذلك ازدهارها التجاري الذي نعمت به خلال القرن السادس عشر رغم الاحتكار البرتغالي لتجارتها مع الهند(١). وسبب هجر الشاه عباس الأول لجزيرة هرمز، يعود إلى عجز القوة البحرية الفارسية في الخليج العربي عن توفير الحماية اللازمة لها.

وبعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة أدرك قادة الأسطول الانكليزي في الخليج العربي خطورة تورطهم في الحرب ضد البرتغال قبل الحصول على موافقة الحكومة الانكليزية. ولذلك ناقش مجلس إدارة الشركة الأنكليزية في لندن الجدوى الاقتصادية من المساعدة العسكرية للفرس وأخذ المجلس الأمور التالية بعين الاعتبار وهي:

أ ـ حق القوات الانكليزية البحرية في الدفاع عن نفسها والهجوم على اعدائها.

ج ـ تعليمات وكلاء الشركة الانكليزية في سورات لقادة السفن الانكليزية في المحيط الهندي والخليج العربي باضعاف البرتغاليين الذين ألحقوا الضرر بالسفن الانكليزية وقتلوا رجالها.

د ـ التهديد الفارسي بالامتناع عن تقديم أي مساعدة للشركة الانكليزية فيما يتعلّق بشراء البضائع الفارسية ونقلها وشحنها، إذا امتنع الانكليز عن تقديم المساعدة العسكرية للفرس للاستيلاء على هرمز.

هـ ـ وعد السلطات الفارسية لوكلاء الشركة الانكليزية باستمرار الامتيازات

---

(١) Thomas Kerridge, At Swally To The Company Nov. 15, 1624. (The English Factories In India. Vol. III, 1624 - 1629. By William Foster. Oxford 1909) p. 35, 37; Foster, William. A View Of Ormus In 1627. Op. Cit. pp. 161 - 162; Thomas Kerridge To The East India Company. Swally, Nov. 15, 1624; Consultations Held At Gombroon. Jan. -1 - Feb 10, 1625. (Colonial Papers) Vol. III.pp. 441 - 442. Vol. IV. p. 2.

والتسهيلات التجارية التي تمتعت بها الشركة الانكليزية من قبل إذا هم وافقوا على المشاركة في الهجوم على هرمز(١).

وبناء على الأسباب السابقة وقف مجلس الشركة الانكليزية إلى جانب وكلائها في الهند والخليج العربي وأيدوا وجهة نظر قادة الأسطول الانكليزي في الخليج العربي الذين وجدوا أن مصلحة الشركة الانكليزية تقضي بانتهاز الفرصة لاضعاف أعدائها البرتغاليين الذين ألحقوا الأذى بمصالحها الاقتصادية مع الأخذ بعين الاعتبار تهديد السلطات الفارسية للمصالح الانكليزية إذا امتنعت الشركة الانكليزية عن تقديم مساعدتها العسكرية(٢). وبعد أن وجد مجلس إدارة الشركة الانكليزية أن حرية التجارة في الخليج العربي تقضي بتدمير القوة البرتغالية فيه قرر دفع عشرة الآف جنيه استرليني للملك جيمس الأول ومثلها لدوق باكنجهام القائد الأعلى للبحرية الانكليزية - لشراء سكوتهما لاساءة الشركة الانكليزية للعلاقات السلمية الانكليزية - الاسبانية بالاعتداء على هرمز.

واعترافاً من الشركة الانكليزية بالمساعدات القيمة التي قدمها جيمس الأول لها والتي منحتها قوة بحرية مهمة ضد أعدائها البرتغاليين ولضمان استمرار دعم ومساعدة الحكومة الانكليزية لها في البحار الشرقية. وكان قد ثار جدل طويل بين مسئولي الشركة والحكومة الانكليزية حول الطريقة التي أخذت بها الغنائم من هرمز فاذا كانت قانونية أي للأخذ بالثأر فعندئذ يستحق الملك جيمس الأول ١٠٪ منها أما إذا حصلت عليها بالقرصنة فسيلحق العار بالانكليز(٣).

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. July 25, 1623 (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 125 - 127.

(٢) Ibid. p. 127.

(٣) Boxer, C.R. - Editor - Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada (Gt. Brit. 1930). p. XLIII; Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. Aug. 4, 1617. From Persian Court - (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) p. 45 - 47; Sir Thos. Roe's Instruction To Connock, Barker, Pley And Bell. Oct. 6, 1617. (Colonial Papers Vol. II) p. 61.

وقد تناقضت التقارير بشأن الأرباح التي حصلت عليها الشركة الانكليزية في مقابل تقديمها المساعدة العسكرية للفرس للاستيلاء على هرمز حيث قدر نصيبها من الغنائم في البداية بمبلغ يتراوح بين عشرين وثلاثين ألف جنيه استرليني، ولكنها كانت تأمل في الحصول على أكثر من ذلك لثقتها بوعود الشاه عباس الأول لها(١). وقدّر القائد الانكليزي ويدال حصة الشركة الانكليزية من الغنائم بحوالي خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني. وبعد عامين من الاستيلاء على هرمز تبين حصول الشركة الانكليزية على ٢٦٠٠٠ جنيه استرليني بالاضافة إلى غنائم ذهبية و١٧ قطعة مدفعية ومواد غذائية وأمتعة شخصية قدرت قيمتها بمئة ألف جنيه استرليني.

ولكن التقارير الانكليزية المتأخرة أفادت بوجود كميات كبيرة من السبائك الذهبية في قلعة هرمز(٢). وكانت الشركة الانكليزية قد تقدمت في عام ١٦٢٣ بتقرير إلى الملك جيمس الأول بشأن الاستيلاء على هرمز، فأشارت إلى أن الشاه عباس الأول لا يستطيع الاحتفاظ بجزيرة هرمز لأكثر من عام بدون مساعدة بحرية، وأنه ليس للانكليز والفرس ممتلكات في هرمز وبذلك خسر الانكليز الرسوم الجمركية فيها والتي بلغت عائدات التاج الاسباني منها حوالي ٤٠٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً، ولذلك اقترحت الشركة الانكليزية على الملك جيمس الأول بذل جهوده لدى الشاه عباس ليحصل الانكليز على جزيرة هرمز وفق شروط معينة لتصبح السوق الرئيسي للتجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي. وبالاضافة إلى الرسوم الجمركية وتأمين حرية التجارة سيتحكم الانكليز إذا ما حصلوا على هرمز بالتجارة الهندية وسيبقون المنطقة في رعب دائم(٣). ولذلك راودت فكرة الحصول على هرمز

---

(١) Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624. Year 1623. p. 110.

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 299 - 300; Edward Pettus To The East India Company, Ispahan. Sept. 27, 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617 - 1621) pp. 198 - 199.

(٣) Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624. Year 1622. p. 64; "Propositions Concerning The profits To be Raised To His Majesty From The Isiand Of Ormuz" (Colonial Papers. Vol. III) pp. 190 - 191.

وبناء قلعة انكليزية فيها لاستخدامها ملجأ للسفن الانكليزية، الشركة الانكليزية رغم تكاليفها الكثيرة خوفاً من أن تسبقها الشركة الهولندية اليها[١]. ولكن الشاه عباس الأول رفض إقامة الانكليز في هرمز واستقبل البعثة الانكليزية برئاسة دود موركتن بفتور شديد. واضطرت الشركة الانكليزية للتعاون مع منافستها الشركة الهولندية للحصول على مساعدتها العسكرية، ولما كانت قوات الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي أقل مما ينبغي لمواجهة الخطر البرتغالي المحدق بها فقد حثت وكالة الشركة الهولندية في باتافيا (جاكارتا) على إصدار التعليمات المسبقة لوكلائها في الخليج العربي بتقديم المساعدة العاجلة للانكليز في حالة الدفاع والهجوم[٢].

وبعد سقوط هرمز عام ١٦٢٢ تطلع الشاه عباس الأول إلى مهاجمة الساحل العربي للاستيلاء على مسقط وغيرها من موانئ الساحل العماني، ونجح في الاستيلاء على خورفكان وصحار لفترة وجيزة حيث استردها البرتغاليون بعد هجوم بري وبحري خاطف قاموا به لطرد الفرس منهما ولعله النجاح الوحيد الذي حققه البرتغاليون بعد خسارتهم هرمز[٣]، ثم انتقموا منهم بشن غارات عنيفة على امتداد الساحل الفارسي من جاسك جنوباً حتى جمبرون «بندر عباس» شمالاً، وظلت عمليات الأسطول البرتغالي ضد الساحل الفارسي مستمرة بلا هوادة خلال الفترة (١٦٢٢ - ١٦٢٥) إلى أن تمكن اسطول انكليزي - هولندي مشترك من الحاق الهزيمة بالأسطول البرتغالي في عام ١٦٢٥.

ولما كان الشاه عباس الأول متلهفاً لمتابعة نجاحه العسكري في هرمز بالاستيلاء على مسقط فقد أمر حاكم شيراز إمام قولي خان بتحصين قلعة

---

(١) John Weddell To The East India Company. Cape Comorin April 27, 1625. (Colonial Papers Vol. IV 1625 - 1629) pp. 59 - 60; Feb. 28, 1627. Vol. IV. p 326

(٢) Hamilton, Alexander. Op. Cit. pp. 299 - 300; Thomas Kerridge To The East India Company. Swally. Nov. 15, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 441 - 442.

(٣) Hopwood, Derek. - Editor - The Arabian Peninsula, Society And Politics. (London 1972) p. 96.

هرمز[1] في عام ١٦٢٣ والاستعداد لمهاجمة مسقط. ورغبت السلطات الفارسية في الاستعانة بالسفن الانكليزية في عام ١٦٢٤. ولكن الشركة الانكليزية وجدت مسقط مدينة فقيرة لا تستطيع سداد النفقات التي ستتكبدها للاستيلاء عليها بالاضافة إلى زيادة القوة البرتغالية فيها[2] مما يجعلها قادرة على الدفاع عنها. ولذلك ضنت الشركة الانكليزية بالمساعدة العسكرية ولكنها ومن تجربتها في هرمز رفضت اتخاذ موقف واضح ومحدد من مسألة تقديم المساعدة البحرية للشاه عباس الأول حتى لا يمنح الشركة الهولندية الأفضلية عليها[3] لاسيما بعد أن أصيبت السلطات الفارسية بخيبة أمل من الكمية الصغيرة من البضائع التي أرسلتها الشركة الانكليزية إلى ميناء «جمبرون» بندر عباس».

وكذلك وجدت الشركة أن مصلحتها تقضي عليها اظهار الاهتمام بالمساعدة العسكرية للفرس ضد البرتغاليين في مسقط لموافقتها من حيث المبدأ على التعاون مع السلطات الفارسية كما حدث في هرمز، ولعدم جدية الفرس في الاستيلاء على مسقط في عام ١٦٢٥ لانشغالهم في حصار البصرة، ولابعاد النفوذ الهولندي عن هرمز لاسيما بعد أن التمست الشركة الهولندية منحها مركزاً لها في هرمز.

أما فيما يتعلق بالمساعدة الانكليزية للشاه عباس ضد البصرة في عام ١٦٢٥ فقد رفضت الشركة الانكليزية تقديم مساعدتها ضد أي من الممتلكات العثمانية حرصا منها على المصالح الانكليزية في الدولة العثمانية.

---

(١) Henry Darrell, Thomas Barker, John Benthall, And Christopher Rosnos - In Gombroon Road - To The Surat Factory. Jan. 8, 1623. (The English Factories In India. vol. II. 1622 - 1623. By William Foster, Oxford 1908) pp. 180 - 181.
وانظر أيضاً. لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٠ ج ٢ ص ٦٣٢ - ٦٣٣.

(٢) Thomas Kerridge To The East India Company. Swally, Nov. 15, 1624. (The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster. Oxford 1909) p. 35, 37.

(٣) Thomas Kerridge To The East India Company. Swally. Nov. 15, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622 - 1624). pp. 441 - 442.

وعندما ألحت السلطات الفارسية على الشركة الانكليزية بوجوب تنفيذ الاتفاقية المعقودة معها لتأمين الموانئ والممرات البحرية من الخطر البرتغالي من ناحية والحصول على مساعدة السفن الانكليزية[١] للاستيلاء على مسقط من ناحية أخرى، ادعت الشركة الانكليزية باخفاق السلطات الفارسية في تنفيذ بنود الاتفاقية وبخاصة في مسألة تقسيم الغنائم بعد الاستيلاء على هرمز. فبينما أعطى حاكم شيراز مبلغ ٦٠٠٠٠ تومان إلى الشاه عباس، أعطى الانكليز حوالي ٦٠٠٠ تومان، ودفع للبحارة الانكليز مرتب ثلاثة أشهر بينما توقعوا أن يدفع لهم مرتب ثمانية أشهر، كذلك استولى الفرس على ١٦٥ مدفعاً نحاسياً ودفعوا للانكليز تعويضاً بلغ ثلث قيمتها بعد أن رفض الفرس اقتسامها مع الانكليز[٢].

ومهما يكن من أمر فقد زاد سخط الفرس على البرتغاليين في عام ١٦٣١ بعد محاولتهم الاستيلاء على هرمز بالقوة ونجاحهم في إقامة مركز لهم بالقرب من جلفار «رأس الخيمة» على الساحل العربي لتسهيل عملياتهم الحربية ضد المراكز الفارسية في الخليج العربي، وبعد أن ألهب راي فرايري سواحل الخليج العربي بالسيف والنار خلال الفترة (١٦٢٥ - ١٦٣٠) وجرد حملات عسكرية ناجحة ضد القطيف والبحرين[٣]. وتمكن حاكم شيراز من انتزاع وعد بالمساعدة العسكرية من الشركة الانكليزية في عام ١٦٣٢/ ١٦٣٣ لخشيتها من لجوء الفرس إلى الشركة الهولندية.

---

(١) Nicholas Woodcook In Surat Road To The President At Surat. Jan. 30, 1623. (The English Factories In India. Vol. II. 1622 - 1623. By William Foster. Oxford 1908). pp. 188 - 189; Consultations Held While Captain Weddll's Fleet Was At Gombroon, January 1 - February 10, 1625 (The English Factories In India. Vol. III. 1624 - 1629. By William Foster Oxford 1909) p. 42; Captain John Weddell To East India Company. Cape Comorin, April 27, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625 - 1629). p. 60.

(٢) Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker, And John Benthall. Jan 1 - Feb. 10, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625 - 1629). pp. 2 - 4. India Office Records, Factory Records, Early Papers On Persia. "Letters To Ispahan From Edward Monox. Ormus, May 5, 1622".

(٣) Boxer C.R. Op. Cit. p. LI.

ولكن الحملة الفارسية المقترحة لم تتم لاعدام الشاه صفي حاكم شيراز مع ثلاثة من أولاده في قزوين وكان مشروع الاستيلاء على مسقط يعتمد عليه، وبدلاً من إرسال القوات الفارسية إلى مسقط أرسلها الشاه صفي للقضاء على حركات التمرد والعصيان التي نشبت ضده في جورجيا[١]. كما زاد البرتغاليون في قوة تحصينات مسقط في عام ١٦٣٤، كذلك تبدل موقف الشركة الانكليزية بعد الاتفاق على إعلان الهدنة الذي تم بين رئيس الوكالة الانكليزية في سورات ونائب ملك البرتغال في جاوه، فأصدرت الشركة الانكليزية تعليماتها لأسطولها في الخليج العربي للوقوف على الحياد إزاء الصراع الفارسي ـ البرتغالي. واقتصرت الهدنة في البداية على إعادة العلاقات بين مستعمرات الدولتين.

ثم تحولت الهدنة الانكليزية ـ البرتغالية إلى اتفاقية تم التوقيع عليها في جاوه في ٢٠ كانون الثاني ١٦٣٦ نصت على استمرار العلاقات الودية بين الجانبين[٢]. لاسيما بعد استقلال البرتغال عن التاج الاسباني في عام ١٦٤٠.

ولم تتوقف السلطات الفارسية عن رسم الخطط للاستيلاء على مسقط من العرب الذين طردوا البرتغاليين منها في عام ١٦٥٠ فوعد الشاه حسين الشركة الانكليزية بامتيازات مماثلة لتلك التي تتمتع بها في جمبرون «بندرعباس» إذا ما رغبت في إرسال أسطولها وجنودها لمساعدة قواته في الاستيلاء على مسقط. ولما كانت الشركة الانكليزية غير مستعدة للقيام بمثل هذه المغامرة فقد قدمت للشاه حسين إجابة غامضة. وعندما أخفق الشاه حسين في الحصول على المساعدة الانكليزية أو الهولندية، وبعد أن أخفق البرتغاليون في تقديم مساعدة عسكرية فعالة له، توجه في صيف ١٦٩٩ بطلب المساعدة من الحكومة الفرنسية[٣].

---

(١) Wm. Gibson, John Sherland And Rich. Cooper To the President And Council At Surat. Gombroon, March 15, 1633. (Colonial Papers. Vol. V. 1630 - 1634). pp. 377 - 378.

(٢) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٣ ـ ٦٥.

(٣) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The =

وبعد رحيل البرتغاليين عن هرمز في نيسان ١٦٢٢ استقروا في مسقط واتخذوها قاعدة رئيسية لهم في منطقة الخليج العربي بدلاً من هرمز، وكان لميناء مسقط ميزة استراتيجية على غيره من موانئ الخليج العربي. وجاءوا معهم بابن أخ آخر ملوك هرمز للاستفادة منه في توطيد نفوذهم ولارغام السكان في الساحل العربي على الاعتراف به ملكاً عليهم بعد أن استرضوا شيوخ القبائل العربية في المناطق المجاورة لجزيرة هرمز بواسطة الإعانات المالية التي دفعوها لهم. كذلك اهتم البرتغاليون بتحصين مسقط وإعادة بناء أسوارها[١]، مما أرغم السلطات الفارسية على إقامة التحصينات العسكرية في هرمز وقشم وجمبرون.

وتسبب الاستيلاء على هرمز بمساعدة أسطول الشركة الانكليزية في إيجاد قدر كبير من الهياج والاضطراب في آسيا وأروبا على حد سواء مما أثر على معنويات البرتغاليين في الشرق. كذلك حدث بعض الاضطراب في اسبانيا لاسيما بعد أن بالغ البرتغاليون بالمساعدة الانكليزية، فقدم السفير الاسباني في لندن في آب ١٦٢٣ شكوى إلى الملك جيمس الأول لاشتراك السفن الانكليزية في الهجوم على هرمز[٢]. وفي المقابل قدّم السفير الانكليزي في مدريد توضيحاً للحكومة الاسبانية بيّن فيه أن الأسطول الانكليزي كان مرغماً على المشاركة في الحصار باكراه من السلطات الفارسية[٣].

وهكذا كان وقوع هرمز في يد القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة ضربة قوية قضت على هيبة البرتغاليين واحترامهم في منطقة الخليج العربي، والمحيط الهندي، حيث أخذت قوتهم في آسيا وأفريقيا بالضعف، وبذلك بدأ انهيار القوة البرتغالية في الشرق[٤]، رغم استمرار الوجود البرتغالي في

= Late Seventeenth And Farly Eighteenth Centuries. (The Asiatic Review. Vol. XLIII. N° 152. London. Oct. 1964. pp. 363 - 396). p. 365.

(١) Miles, S.B OP. Cit. p. 191.

(٢) Colonial Papers. Vol. III 1622- 1624. Madrid, Dec. 19, 1622. p 79; Madrid. Jan. 12, 1623. p. 96; London, Aug. 18, 1623. p. 139.

(٣) Foster, Sir William. England's Quest Of Eastern Trade. (London 1933). pp. 311 - 312.

(٤) Pearce, F.B. Zanzibar. (New York 1920) p. 101.

الساحل الغربي من الخليج والساحل الشرقي لأفريقية. كذلك أدى سقوط هرمز إلى نهاية عظمتها وازدهارها.

ولكن الاستيلاء على هرمز وضعف القوة البرتغالية في الخليج العربي لم يقض على كل الصعوبات التي اعترضت الشركة الانكليزية، كما لم يمنح الانكليز مركزاً متفوقاً في منطقة الخليج العربي لاسيما بعد وفاة الشاه عباس الأول صديقهم القوي في عام ١٦٢٩، رغم اعتباره علامة بارزة في تاريخ النفوذ الانكليزي في الشرق(١) حيث حصل الانكليز على ميناء أفضل من جاسك للاستمرار في التجارة مع فارس لاسيما بعد أن أصدر الشاه عباس تعليماته بتقديم المزيد من الحماية والتشجيع للتجار الانكليز في الأراضي الفارسية.

(١) Wright, Arnold. Op. Cit. p. 250; Amin, Abul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967). pp. 6 - 7.

البحرين(١)

أدى ظهور البرتغاليين في الخليج العربي في العقد الأول من القرن السادس عشر إلى تعقيد الوضع السياسي للبحرين، فقد أصبح ملوك هرمز تابعين للتاج البرتغالي بعد مفاوضات الشاه اسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ - ١٥٢٤) مع الفونسو البوكيرك والتي انتهت بالاتفاق على التحالف العسكري الصفوي - البرتغالي ضد الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من وعود البرتغاليين للشاه إسماعيل الأول لم يقدموا له أي

(١) وصف ابن بطوطة البحرين بأنها «كبيرة حسنة ذات بساتين واشجار وأنهار قريبة المؤونة يحفر عليها بالأيدي وبها حدائق النخل والرمان والأترج ويزرع بها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها، أنظر شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١)، ص ٧٥. كما وصفها الرحالة الأوربيون في أواخر عهد ملوك هرمز بأنها «مدينة كبيرة فيها مسلمون كثيرون ولها ميناء مهم وسوق متميز وطولها نحو ٣٤ فرسخاً وتبعد عن جزيرة قشم نحو ٥٠ فرسخاً وتبعد عن الساحل الشرقي للجزيرة العربية نحو أربعة فراسخ، ويستقر فيها التجار من مختلف الأقطار وفي جوارها يكثر محار اللؤلؤ وتنتج منه الكثير ويشكل مورداً مالياً مهماً للسكان، ويحصل ملك هرمز على الضرائب والكثير من الايرادات من البحرين. أنظر.

Barbosa, Durate, Op. Cit. p. 37.

ووصفها الرحالة الأوربيون بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٠٢ بأنها بلاد جميلة تكثر فيها الفواكه والتمور وينبت فيها القليل من القمح وبعض الشعير وأكبر مدنها المنامة وتقع على الساحل، وتشتهر بنفاسة اللؤلؤ فيها والذي يتمتع بشهرة عالمية، ويبدأ موسم صيده في شهر حزيران ويستمر حتى شهر آب. وتبلغ قيمة المباع منه سنوياً حوالي نصف مليون دوكة يأخذ حاكم البحرين منها مئة ألف دوكة ويأخذ الحاكم البرتغالي لجزيرة هرمز أكثر من أربعة آلاف دوكة.

أنظر.

Stevens, John. The History Of Persia. (London 1715?) pp. 399 - 401.

مساعدة عسكرية في حروبه المستمرة ضد العثمانيين، بل استغلوا انشغال قواته في شمال فارس في الحرب ضد العثمانيين لتوطيد مركزهم في جزيرة هرمز والساحل العماني والاستيلاء على القطيف والبحرين[1] لحسابهم بعد أن وعدوا الشاه إسماعيل بمساعدته في بسط حكمه عليها.

وكان البوكيرك قد زار البحرين في عام ١٥١٥ ليؤكد على المعاهدات القائمة بين حاكمها المحلي وملك هرمز الخاضع للسيطرة البرتغالية، ونظر بحسد إلى مصائد اللؤلؤ الغنية فيها، كذلك اهتم بصناعة اللؤلؤ وتحقق من أهميتها للبرتغاليين. وأمر ببناء حصن قريب من المنامة. ثم استولى حاكم الأحساء مقرن بن زامل على البحرين والقطيف وطرد النفوذ البرتغالي والهرمزي منها واعترض سبيل السفن التجارية بين البصرة وهرمز. وتذرع ملك هرمز بخسارة البحرين فتوقف عن دفع الجزية المتفق عليها إلى البرتغاليين. ولذلك أرسل الحاكم البرتغالي في هرمز أسطولاً بقيادة أبن أخيه انطونيو كوريا لاستعادة البحرين من حاكم الأحساء وضمت القوة البرتغالية سبع سفن عليها ٤٠٠ من البحارة البرتغاليين. وصحب الأسطول البرتغالي أسطول أخر أرسله ملك هرمز بقيادة وزيره الرئيس شريف. وضمت القوة الهرمزية ٢٠٠ مركب عليها ٣٠٠٠ من السكان المحليين، وتمكن الأسطول البرتغالي ـ الهرمزي المشترك من القضاء على حركة مقرن بن زامل والاستيلاء على البحرين وفرض النفوذ البرتغالي عليها[2] في عام ١٥٢١. وعاد وزير ملك هرمز الرئيس شريف إلى البحرين وهرمز برأس مقرن بن زامل.

وفرض البرتغاليون سيطرتهم الكاملة على صناعة اللؤلؤ في البحرين. وبعد سقوط البحرين بفترة وجيزة نظم ملك هرمز في عام ١٥٢٢ ثورة في ممتلكاته ضد الاحتلال البرتغالي، واستجابت البحرين لنداء الثورة فقاد حسين ابن سعيد شيخ بني جابر ثورة الأهالي في البحرين وقتل الحاكم البرتغالي

(١) Faroughy, Abbas. The Bahrain Islands.1750 - 1951. (New York 1951) p. 61.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص٥٢ وانظر أيضاً. جيمس بلجريف: البحرين، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

المكروه[1] من السكان وطرد الحامية البرتغالية منها وقد ساعد حسين بن سعيد في الثورة ضد الاحتلال البرتغالي للبحرين خمسمئة من الفرسان وأربعة آلاف من المشاة تمكن بواسطتهم من السيطرة على البحرين وعلى الساحل من القطيف شمالاً حتى ظفار جنوباً[2]. ولكن بعد فترة قصيرة من استقلال حسين بن سعيد بالحكم في البحرين عاد فوافق على استشارة السلطات البرتغالية في شؤون البحرين. ثم شهد البرتغاليون في عام ١٥٢٩ تحدياً آخر لنفوذهم في البحرين لنفيهم وزير ملك هرمز الرئيس شريف بعد أن رفض قريبه بهاء الدين (حاكم البحرين) دفع ضرائب إضافية[3]، وإعلان الثورة في البحرين ضد الحكم البرتغالي في هرمز.

وأرسلت السلطات البرتغالية في الهند أسطولاً صغيراً في ٨ أيلول ١٥٢٩ بقيادة سيمون دا كونها أخ نائب ملك البرتغال في الهند ومعه خمس سفن وخمسمئة من الجنود إلى البحرين. بينما كان بلشوار دي سوسا ومعه ست سفن مزودة بالمدافع يطوف بالمياه القريبة من جزيرة البحرين لمنع حاكمها بهاء الدين من جمع المقاتلين من المناطق المجاورة ورفض حاكم البحرين ومعه ٨٠٠ من المقاتلين تسليم الحصن للبرتغاليين. وفشل الهجوم البرتغالي على البحرين بسبب نقص كمية البارود وانتشار الوباء بين جنود الحملة، وضعف

---

(١) كانت المنطقة الواقعة إلى الخلف من حورفكان ومسقط وصحار تحت حكم قبيلة بني جابر البدوية والتي حكمت في مطلع القرن السادس عشر المناطق المتاخمة لليمن، ولذلك شكل شيوخ عمان حلفاً فيما بينهم لحماية أنفسهم منها باعتبارها قوة مهمة مارست الاغارة على عمان في موسم قطف النخيل وكان على شيوخ عمان حماية ممتلكاتهم بدفع الأموال لها خوفاً من نهبها.
أنظر.
Stripling, George William Frederic. Op. Cit. p. 25; Bent, J. Theodore. The Bahrain Islands, In The Persian Gulf. (Proccedings Of The Royal Geographical Society And Monthly Records Of Geography. Vol. XII. N°. 1, London, January 1890. pp. 1 - 19) pp. 10 - 11, Miles, S.B. Op. Cit. p. 151 - 155.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p. 161.

(٣) Belgrave, J.H.D. History of The Bahrain Islands. (Journal Of The Royal Central Asian Society. Vol. XXXIX. Part I. January 1952. pp. 57 - 68) p. 62.

الاستعدادات العسكرية لدى البرتغاليين، وفي طريق العودة إلى هرمز دمرت عاصفة قوية معظم سفن الحملة البرتغالية على البحرين[١].

وقد لجأت السلطات البرتغالية في هرمز إلى بث الفرقة والخلاف بين طوائف السكان للابقاء على الحكم البرتغالي في البحرين، فحرصت على أن يكون حاكم البحربن المحلي من الفرس السُّنَّة حتى لا يحظى بتأييد العرب السُّنَّة أو العرب الشيعة[٢].

وعندما استولى السلطان سليمان القانوني على بغداد في عام ١٥٣٤ قدمت عليه الوفود من البصرة والجزاير والحويزة والأحساء والقطيف والبحرين للترحيب به ولاعلان الولاء والطاعة للحكم العثماني الجديد. ومنح العثمانيون الرئيس مراد حاكم البحرين لقب سنجق بك. وكان حكام البحرين قد اعتادوا على نقل ولائهم من جار قوي لجار آخر أقوى وفقاً لمصالحهم السياسية والاقتصادية[٣].

ثم خضعت البحرين لحكم هرمز مرة أخرى. وفي عام ١٥٤٣ بلغت عائدات ملك هرمز من الجمارك في البحرين ٠٠٠و٣٠٠ كروسادو وعدة آلاف أخرى من الأشرفيات التي استحقت على هرمز كجزية عليها[٤]. وعندما ثار أهالي القطيف في منتصف القرن السادس عشر (١٥٥٠) على ملك هرمز وطلبوا الحماية العثمانية، حرّض البرتغاليون ملك هرمز على اخضاعهم مما أدى إلى طرد العثمانيين منها.

ولم يبذل العثمانيون جهداً جدياً لتوطيد نفوذهم في البحرين حتى عام ١٥٥٩ عندما أرسلوا قواتهم لاستعادة نفوذهم على البحرين التي عادت إلى

---

(١) لوريمر، ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٥. انظر صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥ - ٢٦، جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٨.
(٣) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥٢ - ٥٣.
(٤) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 115 - 116.

حكم ملوك هرمز الخاضعين للتاج البرتغالي. وقد ضمت القوة العثمانية سفينتين وسبعين مركباً شراعياً و١٢٠٠ من الانكشارية ولذلك طلب الرئيس مراد النجدة من ملك هرمز، فتحرك أسطول برتغالي نحو البحرين، ولكن العثمانيين استدرجوه إلى كمين وألحقوا به خسائر كبيرة بلغت نحو سبعين رجلاً، ثم وصلت نجدات برتغالية أخرى من هرمز وساعدتها قوات فارسية مما أدى إلى ارغام القوة العثمانية على الاستسلام للبرتغاليين بشروط منها أن يدفع العثمانيون عشرة آلاف دوكة والتخلي عن السلاح والخيل للبرتغاليين واطلاق سراح الأسرى[1]. وفي مقابل ذلك قامت السفن البرتغالية بنقل أفراد القوة العثمانية إلى ساحل الأحساء.

(١) Ozbaran, Salih. Op. Cit. pp. 67; Hawley, Donald The Trucial States (London 1970) p. 73.

وانظر أيضاً، لوريمر ج. ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٨.

استيلاء الفرس على البحرين

بعد أن وحد الشاه عباس الأول بلاده قرر إنهاء احتلال البرتغالي لهرمز والبحرين بخاصة والخليج العربي بعامة. وقد عهد الشاه عباس بمهمة طرد البرتغاليين من البحرين إلى حاكم شيراز الله وردي خان الذي ارسل جيشاً الى البحرين في عام ١٦٠٢ بقيادة معين الدين فال(١) الذي تمكن من طرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ وكان ذلك مقدمة لطردهم من قشم وجمبرون وهرمز فيما بعد.

وكان الفرس قد اغتنموا وفاة ملك هرمز فرخ شاه في عام ١٦٠١ وبعد أن تولى ولده فيروز شاه الحكم استوزر شرف الدين لطف الله الذي عين أخاه ركن الدين مسعود(٢) حاكماً على البحرين. وعندما أبدى ركن الدين رغبته في الاستقلال عن هرمز لبعض الأعيان الفرس «معين الدين فال»(٣) رحب حاكم شيراز الله وردي خان بالفكرة وعرض مساعدته على ركن الدين. ثم دخلت القوات الفارسية البحرين في عام ١٦٠٢ وتمت لها السيطرة على البحرين بعد أن قتلت حاكمها ركن الدين مسعود.

---

(١) Adamıyat, Fereydoun. Bahrain Islands (U.S.A. 1955) p. 23.

(٣) يذكر جيمس بلجريف أن حاكم البحرين البرتغالي قتل أحد أثرياء البحرين في عام ١٦٠٢ وصادر ثروته فثار أخوه «ركن الدين» وقتل الحاكم البرتغالي واحتل القلعة ووضع نفسه تحت حماية الفرس. أنظر، البحرين، ص ١٣٩.

(٣) هناك تناقض في الروايات حول شخصية معين الدين فال، فبعضها يذكر أنه من أقرباء ركن الدين مسعود البعيدين وأنه قاد الجيش الفارسي الذي غزا البحرين وطرد الحامية البرتغالية منها. أنظر.

Faroughy, Abbas. Op. Cit. p. 63.

وعندما علم ملك هرمز «فيروز شاه» باستيلاء الفرس على البحرين أرسل جيشاً بقيادة وزيره شرف الدين لطف الله. كذلك جهزت السلطات البرتغالية في الخليج العربي حملة بحرية ضمت عدداً من السفن. فاضطر حاكم شيراز الله وردي خان إلى فرض الحصار على القلعة البرتغالية في جمبرون لتخفيف الضغط على القوات الفارسية المحاصرة في البحرين، ونجحت خطة الله وردي خان حيث توجهت بعض السفن البرتغالية إلى جمبرون لرفع الحصار الفارسي عنها. وبذلك تمكنت فارس من توطيد نفوذها في البحرين[1]، رغم علاقاتها الودية مع اسبانيا التي احتجت على ذلك. وكان رد الشاه عباس أنه أخذ البحرين من ملك هرمز وليس من الاسبان واحتجت السلطات البرتغالية في الهند على غزو الفرس للبحرين ولكنها لم تلجأ إلى الاغارة على البحرين حتى لا تعكر صفو العلاقات الاسبانية الفارسية[2]. وعندما حاولت تنظيم حملة عسكرية لاستعادة البحرين واستغلال مصائد اللؤلؤ فيها في عام ١٦٤٥ فشلت حيث استولى العرب على سفن الحملة قبل دخولها مياه الخليج العربي.

وفي عام ١٦٢٦ وقع خلاف شديد بين شيوخ وأعيان البحرين، فأرسل حاكم شيراز إمام قولي خان قواته وألحق الهزيمة بشيوخها ونصب عليها «سوندوك سلطان» أميراً عليها من قبله، ثم تولى حكم البحرين بابا خان. وفي عام ١٦٦٦ اشتكى سكان البحرين من ظلم حاكمهم إلى الشاه الفارسي الذي عزله وعين مكانه سلطان بن قزل خان. وكان الحكم الفارسي على البحرين اسميا حيث بقيت السلطة الفعلية في يد القبائل المحلية. وبينما كانت قوة اليعاربة في الخليج العربي في ازدياد مستمر كانت قوة الصفويين في ضعف شديد. وفي نهاية القرن السابع عشر هاجم اليعاربة البحرين مما أدى إلى

---

(١) بديع جمعة واحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص٣٨٣ - ٣٨٥، وانظر جيمس بلجريف: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٢) Faroughy, Abbas, Op. Cit. p. 63.

هرب معظم سكانها إلى القطيف حيث استوطن فيها كثير منهم[1]. أما مهدي قولي خان فبقي حاكماً على البحرين حتى عام ١٧٠١ ثم عزله الشاه لظلمه وعين قزاغ سلطان حاكماً على البحرين بدلاً منه، وفي عهده انفصلت البحرين عن فارس بعد ثورة أحد شيوخها الجبريين[2] فانتقلت السلطة إلى العرب الذي فرضوا سيطرتهم على البحرين حتى استعادها الفرس في عهد نادر شاه في عام ١٧٣٧ بقيادة ميرزا تقي خان وعين نادر شاه عليها الشيخ ناصر آل مذكور في عام ١٧٣٩ ثم خلفه في حكمها أخوه نصر.

---

(١) جمال زكريا قاسم: الادعاءات الايرانية في الخليج العربي ـ أصول المشكلة وتطورها ـ (المجلة التاريخية المصرية المجلد العشرون، القاهرة، ١٩٧٣) ص ١٧١.

(٢) من بقايا الجبريين الذين حكموا الأحساء حتى عام ١٥٩١، وعندما حدث خلاف بين الشيخ الجبري ووزيره، قتل الشيخ الوزير فحرضت زوجته الشاه عباس الثاني على احتلال البحرين. أنظر. محمد بن خليفة بن حمد النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية (بغداد، ١٣٣٢ هـ) ص ٦٢ ـ ٦٩، وانظر، عبدالله الجزائري: نبذة تاريخية عن البحرين (بيروت، ١٩٥٥) ص ٨ ـ ٩.

الفصل الخامس

الصفويون

أسس الشاه اسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ - ١٥٢٤) الدولة الصفوية، واتخذ تبريز عاصمة لها، وجعل المذهب الشيعي رسمياً فيها وفرضه على سكانها وعمل على نشره في المناطق المجاورة لها. واستولى على بغداد في عام ١٥٠٨ واضطهد سكانها من السنَّة، ودمر مساجدهم ومزاراتهم وأخضع بقية أنحاء العراق بعد أن قضى على سلطة العشائر والقوى المحلية فيها، وفي عهده اشتدت المنافسة الصفوية - العثمانية، واستغل الشاه إسماعيل سخط التركمان الذين قاموا بثورة في عام ١٥١١ ضد الدولة العثمانية، فأرسل دعاته إلى الأناضول لنشر المذهب الشيعي في أوساط تركمان الأناضول مستفيداً من انشغال السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) بالنزاع الدائر بين أولاده فاستولى على معظم القسم الشرقي الجنوبي من الأناضول. ولكن السلطان بايزيد الثاني تمكن من إرسال ٨٠٠٠ من الانكشارية طردت الدعاة الصفويين واتباعهم من القزلباش وغيرهم من مؤيدي الشاه إسماعيل الصفوي، وقضت على الثورة في إنطاكية[1].

وكان السلطان بايزيد الثاني قد طلب مساعدة السلطان المملوكي في مصر وقبائل الأوزبك التركمان فيما وراء النهر لوقف الاضطهاد الصفوي

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى. في أصول التاريخ العثماني (بيروت، ١٩٨٢) ص ٧٨ - ٧٩

للسكان السنّة في المناطق المجاورة لفارس. وقد استجابت قبائل الاوزبك لطلبه وقامت بسلسلة من الهجمات على حدود فارس الشرقية، واكتفى مماليك مصر بتكليف حاكم حلب المملوكي بمقاومة النشاط الصفوي على حدودهم الشمالية.

واتفق السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) مع المماليك في مصر في عام ١٥١٣ ضد الصفويين، وبعد أن اطمأن السلطان سليم الأول على حدوده الجنوبية قام بحملة اضطهاد ضد اتباع الشاه اسماعيل الصفوي في الأناضول وحشد جيشاً ضم ١٤٠و٠٠٠ من الجنود وتوجه به نحو فارس عبر أرزنجان وأرضروم ثم إلى أعالي الفرات ولكن الشاه اسماعيل الصفوي تهرب من الدخول معه في معركة حاسمة لتفوق القوات العثمانية من ناحية ولارغامها على التقدم إلى الأراضي الشمالية الجبلية للاستفادة من طبيعتها الوعرة وإطالة خطوط تموينها من ناحية أخرى. وتبنت الدولة الصفوية استراتيجية عدم الاشتباك مع الدولة العثمانية في معارك حاسمة والانسحاب التدريجي أمام القوات العثمانية لابعادها عن بلادها وإطالة خطوط مواصلاتها مما يؤدي إلى صعوبة تموينها واحجامها عن التوغل في فارس وعندئذ تتمكن القوات الصفوية من انهاكها ونصب الكمائن لها أثناء تراجعها.

وأمام هذه الاستراتيجية قرر السلطان سليم الأول في آب ١٥١٤ الزحف على تبريز لارغام الشاه اسماعيل الأول على خوض المعركة دفاعاً عن عاصمته. وفي ٢٣ آب ١٥١٤ وقعت المعركة في سهل تشالديران في منتصف الطريق بين ارزنجان وتبزيز وانتصر العثمانيون لتفوق اسلحتهم النارية وقتلوا عدة آلاف من القزلباش أتباع الشاه اسماعيل الذي تمكن من النجاة بصعوبة بعد اصابته بجراح في المعركة. واحتل السلطان سليم الأول تبريز ونقل منها بضعة آلاف من العلماء والتجار والحرفيين إلى استانبول[١] وضم ولايتي ديار بكر وكردستان وبذلك انهت معركة تشالديران الوجود الصفوي في شمال

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩ ـ ٨٠.

العراق كما لم يستطع الشاه اسماعيل الأول القيام بعمل جدي بعدها رغم تحالفه مع السلطات البرتغالية في هرمز ضد الدولة العثمانية. واعتنم ذو الفقار خان رئيس قبيلة الموصللو الكردية وحاكم الكلهر ولورستان والبختارية وفاة الشاه اسماعيل الأول في عام ١٥٢٤ فزحف على بغداد واحتلها بعد حصار قصير وقتل حاكمها الفارسي ابراهيم سلطان (١٥٠٨ - ١٥٢٤) وأعلن ولاءه للسلطان سليمان القانوني[١].

وعندما تولى الشاه طهماسب الحكم في فارس في عام ١٥٢٤ استمر في اتباع سياسة التحالف مع حكام اوربا التي بدأها والده الشاه اسماعيل الأول. وكانت أوربا في حاجة ماسة إلى اشغال العثمانيين في جبهات أخرى للتخفيف من ضغطهم العسكري ضدها[٢]. وزحف الشاه طهماسب على رأس حملة كبيرة في عام ١٥٣٠ وتوجه بها نحو بغداد وبعد حصار طويل لها اتصل سراً بأخوي حاكمها - ذو الفقار - وأغراهما باغتيال أخيهما. ونجحت خطة الشاه طهماسب فدخل بغداد وعين محمد خان والياً عليها. وبعد أن اضطهد السكان السنّة فيها عاد إلى تبريز.

ووصلت إلى استانبول أخبار احتلال الصفويين لبغداد واضطهاد أهل السنّة فيها على نحو مبالغ فيه، مما أثار عواطف السكان السنة في الدولة العثمانية. وبعد أن عقد السلطان سليمان القانوني الصلح مع شارل الخامس في عام ١٥٣٣ تفرغ لقتال الصفويين الذين عادوا إلى اثارة القلاقل في أوساط التركمان في الأناضول وحاولوا فرض المذهب الشيعي فيها واستمروا في اضطهاد السكان السنّة في جهات بغداد والبصرة وتدمير مزاراتهم مثل ضريح أبي حنيفة النعمان وعبد القادر الجيلاني، كما أدى استيلاء الصفويين على بغداد إلى عرقلة مرور التجارة الشرقية إلى اوربا عبر الأراضي العثمانية بينما فرض

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٠٠٠ - ١٩١٨ (دمشق، ١٩٦٠) ج ١ ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Countries of Modern Iraq. (Beirut 1968) p 21.

البرتغاليون حصاراً على التجارة العثمانية مع الشرق وسدوا عليها منافذها إلى الهند.

وللأسباب السابقة زحفت القوات العثمانية لطرد الصفويين من بغداد واستولت في طريقها على المنطقة الممتدة بين أرضروم وبحيرة وان في تشرين الأول ١٥٣٣ بهدف الاستيلاء على اذربيجان، وتجنب الشاه طهماسب مواجهتها. وأرسل السلطان سليمان القانوني الصدر الأعظم الدامار ابراهيم باشا في عام ١٥٣٣ على رأس جيش كبير قضى فصل الشتاء في حلب وفي أيار ١٥٣٤ توجه الصدر الأعظم من حلب إلى ديار بكر[١] ومنها توجه إلى تبرير فدخلها في ١٣ تموز ١٥٣٤. وقاد السلطان سليمان القانوني جيشاً آخر من استانبول في نيسان ١٥٣٤ ولحق بالصدر الأعظم إلى تبريز فوصلها في أيلول ١٥٣٤. ثم توجه السلطان سليمان القانوني ومعه الصدر الأعظم إلى بغداد ماراً بهمدان وكرمنشاه. ودخلت القوات العثمانية بغداد دون قتال بعد أن هرب منها حاكمها الفارسي محمد خان مع قواته خوفاً من الأسر، وبذلك زال الحكم الصفوي عن بغداد. وبعد أيام قليلة وصل السلطان سليمان القانوني إلى بغداد في كانون الأول ١٥٣٤ وانقذها من أعمال النهب والسلب واستقبله سكانها بحفاوة وسرور ووفد عليه أمراء وشيوخ المناطق المجاورة لتقديم الولاء والطاعة[٢] وبعد أن نظم البلاد وقسمها إلى سناجق وعمّر ما هدم الصفويون وسجّل الأملاك والعقارات وعين سليمان باشا المجري والي ديار بكر السابق والياً على بغداد[٣]، غادرها في نيسان عائداً إلى استانبول عن طريق تبريز.

ثم امتد النفوذ العثماني إلى منطقة الخليج العربي خلال العقد التالي، وفي عام ١٥٤٦ فرضت الدولة العثمانية الحكم المباشر على ولاية البصرة ثم على الأحساء في عام ١٥٥٥. وبذلك سيطر السلطان سليمان القانوني على

---

(١) Ibid. p. 22.

(٢) Ibid. p. 25.

(٣) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٧ ـ ٢٩ وانظر، علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٠٥.

العراق وانقذ السكان السنّة فيها من الاضطهاد الصفوي، فأكد بذلك زعامة الدولة العثمانية للعالم الإسلامي. ولكن استيلاء الدولة العثمانية على كردستان ومعظم العراق لم يلحق الهزيمة الكاملة بالدولة الصفوية التي احتفظت بأذربيجان وجنوبي القوقاز وأجزاء من شرقي العراق، رغم استمرار تعرض حدودها الشرقية لحملات قبائل الاوزبك وتردّي أوضاعها الداخلية.

وحاول السلطان سليمان القانوني استغلال الخلافات بين أمراء الأسرة الصفوية الطامعين في الحكم للاستيلاء على أذربيجان والقوقاز لاسيما بعد أن لجأ القاصب ميرزا أخ الشاه طهماسب إلى الأراضي العثمانية في عام ١٥٤٧ ولكن الشاه طهماسب تمكن من استعادة أذربيجان[١]، مستغلاً انشغال الدولة العثمانية في حروبها الأوربية وواصلت قواته زحفها حتى وصلت أرخيروم، مما اضطر السلطان سليمان القانوني للتوجه نحو الشرق مرة أخرى في عام ١٥٥٢ بعد أن أتمت قواته استعداداتها. وكان السلطان سليمان القانوني قد حشد اسطولاً بحرياً ضم ستين سفينة شراعية وعدته فرنسا بها وشحنها بالسلاح، كما حصل على عشرين سفينة أخرى من نيابة الجزائر بالاضافة إلى ثلاثين سفينة عثمانية من موانئ شرق البحر المتوسط توجهت كلها بالسلاح والذخيرة والمواد الغذائية إلى الموانئ السورية ثم قصدت القوات العثمانية حلب لقضاء فصل الشتاء فيها والزحف في فصل الربيع على الأراضي الفارسية.

ولكن الشاه طهماسب سحب قواته كالعادة إلى داخل حدوده وبدلاً من الدخول في حرب مع العثمانيين عرض الصلح[٢] وأرسل وفداً إلى السلطان

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) Brussels, April 28, 1553. (Calendar of State Papers, Foreign Series of The Reign of Edward VI. 1547-1553. Edited By William B Turnbull, London 1861). p. 271; Venice, Oct. 7, 1553. (Calendar of State Papers. The Reign of Mary. 1553-1558. Edited By William Turnbull. London 1861) Calendar of State Papers. Jan - Jun 1583. Edited by Arthur John Butler And Sophine Crawford Lomas, London 1913. Cobham To Walsingham. Mar. 11, 1583, p. 186; April 13, 1583. p. 258, 261.

وانظر أيضاً، عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات - مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ - ١٨٤٤ (القاهرة، ١٩٧٤) ص ١١ - ١٢

سليمان القانوني لعقد معاهدة بين الدولتين. وفي ٢٩ آيار ١٥٥٥ وقع الشاه الفارسي والسلطان العثماني على معاهدة أماسية، بعد أن أدرك كل منهما أهمية الصلح لمواجهة المشاكل الداخلية في بلاده ولأن الحرب العثمانية في فارس والبلقان في وقت واحد قد تسببت في إلحاق خسائر فادحة في صفوف القوات العثمانية.

وتضمنت معاهدة أماسية ما يلي:

أ - ترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.

ب - رسم حدود منطقة شهر زور التي طالت المنازعات بين الجانبين الصفوي والعثماني بسببها، واحترام الحدود وعدم تجاوزها بعد الاتفاق عليها.

ج - تأمين سلامة الحجاج الفرس إلى العتبات المقدسة في العراق والأماكن المقدسة في الحجاز[١].

ولكن معاهدة أماسية لم تمنع تجدد الحرب بين الدولتين الصفوية والعثمانية لأن أسباب الصراع المذهبية والتوسعية ظلت قائمة لدى الجارتين المسلمتين. فجرت بينهما معركة أخرى على نهر الفرات في عام ١٥٥٩ ولحقت بالقوات العثمانية خسائر فادحة، ثم عقد الصلح بينهما في عام ١٥٦٢ وكان أحد شروطه تسليم بايزيد إلى والده السلطان سليمان القانوني[٢].

وكان بايزيد بن سليمان القانوني قد لجأ إلى الشاه طهماسب في عام ١٥٥٩ فاستقبله بحفاوة، ولما طلب السلطان سليمان القانوني إعادته اليه اشترط الشاه طهماسب عليه تسليم بغداد في مقابل ذلك. ورفض السلطان سليمان القانوني هذا الشرط واستعد لحرب الشاه طهماسب، ولكنه واجه بعض الصعوبات في العام التالي (١٥٦٠) لحدوث خلاف بينه وبين زعماء

---

(١) شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران. (بغداد، ١٩٦٦) ص ١٨ - ١٩.

(٢) History of The Late Revolution of Persia. Taken from the Memoirs of Father Krusinski Procurator of the Jesuits at Ispahan. Vol. I (London 1740). p. 23.

الانكشارية في جيشه[1]. ولذلك حبّذ السلطان سليمان القانوني استمرار المفاوضات مع الشاه طهماسب الذي شغل نفسه عن لقاء السفير العثماني وقام برحلة صيد رغم الاستقبال الحافل الذي لقيه من المسؤولين الفرس.

وقد شغلت مسألة تسليم بايزيد السلطات الفارسية والعثمانية فترة من الوقت، فقد أخبر الشاه طهماسب السفير العثماني بأن الأمر يعود إلى بايزيد، فاما أن يختار البقاء في فارس أو العودة إلى والده وانه لا يستطيع تسليمه على الرغم عنه. وفشلت السفارة العثمانية إلى فارس في إقناع الشاه بتسليم بايزيد. وكان الشاه طهماسب قد أصهر إلى بايزيد[2] وزوجه ابنته واضطر السلطان سليمان القانوني إلى التهديد باستخدام القوة ضد الشاه طهماسب، فأعلن في عام ١٥٦١ أنه سيزحف على رأس جيش كبير إلى فارس وطلب السلطان العثماني من حلفائه الجورجيين والتتار الاستعداد وأخذ الحيطة والحذر من زيادة قوات الشاه طهماسب ولكن صحة السلطان العثماني لم تكن جيدة كما انتشر الطاعون في الدولة العثمانية[3]، مما اضطره إلى استقبال سفارة الشاه طهماسب التي حملت اليه المطالب التالية:

أ ـ حرية المرور للرعايا الصفويين في الأراضي العثمانية إلى مكة المكرمة.

ب ـ تقديم المساعدة العسكرية العثمانية للصفويين ضد قبائل الأوزبك والتركمان.

د ـ إعادة اولاد خان بتليس الأربعة الذين تمردوا على الشاه طهماسب ولجأوا إلى بغداد.

وأخيراً تم الأتفاق بين الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني في عام

---

(١) Cuido Ciannett to the Queen. Sept. 7, 1560. (Calendar of State Papers 1560-1561. On the Reign of Elizabeth. Edited By Joseph Stevenson. London 1863). p. 279.

(٢) Constantinople, March 21, 1561. (Calendar of State Papers. 1561-1562 (Elizabeth). Edited By Joseph Stevenson. London 1866). p. 130, 142, 168, 221; Aug. 31, 1561, p. 285, Sept. 13, 1561. p. 304; Jan. 3, 1562, p. 473-474 April 18, 1562, p. 613; "Advices From Constantinople and Rome.

(٣) Ibid. p. 304, 473 - 474, 613; Constantinople, Mar. 24, 1562.

١٥٦٢ على تسليم بايزيد إلى والده في مقابل إعادة أولاد خان بتليس الأربعة إلى الشاه، وبذلك استمر الهدوء على الحدود الصفوية ـ العثمانية فترة أخرى، واستعد السلطان سليمان القانوني لارسال جيش كبير ضد المجر(١).

واستمرت الحرب الصفوية ـ العثمانية في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥). ففي آذار ١٥٧٧ أمر السلطان مراد الثالث بالاستعداد على نطاق واسع لحرب الصفويين وأمر قواته في اليونان بالتجمع في أدرنه للتوجه نحو الحدود الفارسية رغم التحالف الأوربي ضد الدولة العثمانية الذي ضم البابا والاسبان والبنادقة والطاعون العنيف الذي أصاب الدولة العثمانية وصعوبة الحصول على المواد الغذائية(٢) فيها.

وفي هذه الاثناء مات الشاه إسماعيل الثاني بعد أن دست له أخته السم لقتله أخوته ولم ينج من الموت سوى أخيه الكفيف محمد ميرزا لأنه لا يصلح للحكم وأصبحت وصية على أخيها محمد ميرزا الشاه الصغير البالغ من العمر اثني عشر عاماً. وعمت الاضطرابات المقاطعات الفارسية(٣) وورث الشاه الجديد عن أخيه إسماعيل الثاني كره العثمانين الذين استغلوا الاضطرابات بعد مقتل الشاه اسماعيل الثاني وتدخلوا في الشؤون الفارسية(٤) وتجددت الحرب بين الصفويين والعثمانيين ولحقت بالعثمانيين هزيمة منكرة في عام ١٥٧٨ واستولى الصفويون على بعض المدن العثمانية، ولذلك توجه السلطان مراد الثالث إلى حلب ليكون قريباً من ميادين القتال وعين سنان باشا ومصطفى باشا لقيادة القوات العثمانية في الجبهة الفارسية في ربيع ١٥٧٩(٥)، وهاجم

---

(١) Ibid. Constantinople, Mar. 21, 1561. No.118(4).
وانظر، شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) Foreign Occurrents, March 4, 1577. (Calendar of State Papers. 1575-77. Edited By Allan James Crosby. London 1880. p. 540.

(٣) Occurrents From Constantinople. Jan. 12, 1587. (Calendar of State Papers. 1577-1578. Edited by Arthur John Butler. London 1901) p. 555.

(٤) Ibid. Pulet to the Secretaries. March 16, 1578. pp. 544-545.

(٥) Ibid. Venice, March 7, 1578. pp. 603-604; Occurrents - Vienna, March 7, 1578. pp. 695-696.

مصطفى باشا الأراضي الفارسية بقوات كبيرة. ولكنه حوصر مع قواته في بعض الممرات الجبلية ولم يتمكن معظم جيشه من النجاة كما لحقت بالعثمانيين هزيمة أخرى بالقرب من الفرات وخسروا عدداً كبيراً من جنودهم. وقد أدى انتصار الصفويين إلى اطالة أمد الحرب، فقد صمم السلطان مراد الثالث على الأخذ بالثأر من الصفويين ولذلك فشل الجانبان في التوصل إلى الصلح في حزيران ١٥٧٩[1].

ثم جرت محاولات أخرى في خريف ١٥٨٠ لعقد الصلح، فقد وصل سفير الشاه محمد ميرزا إلى استانبول للتفاوض مع الباب العالي وفشل السفير الفارسي في حمل السلطان العثماني على إعادة تفليس إلى فارس وتدمير قلعة قارص التي أقامها العثمانيون على الحدود مع فارس توطئة لعقد الصلح بين الجانبين. وأثناء إقامة السفير الفارسي في استانبول لحقت بالجيش العثماني هزيمة أخرى، وتوقع السفير أن يبدّل السلطان موقفه بعد هزيمة قواته ويقبل بالصلح مع الصفويين ولكن وفاة الصدر الأعظم وتعيين قائد جديد للجيش العثماني في فارس خلفاً له حال دون ذلك[2]. ورغم انسحاب القوات العثمانية الرئيسية من الأراضي الفارسية تاركة بعض الحاميات للدفاع عن مناطق الحدود، وضعف الموارد العثمانية نتيجة الهزائم المتكررة والخسائر الفادحة التي لحقت بالدولة العثمانية واستمرار الاضطرابات والثورات وحركات التمرد والعصيان فيها[3]، ولم يبد السلطان العثماني اهتماماً بالصلح بينما استمر الشاه في محاولاته الرامية لعقد الصلح مع العثمانيين.

واشتدت الحرب بين الجانبين الصفوي والعثماني في عام ١٥٨١ وعمل

---

(١) Rogers To Walsingham. Jan. 6, 1579. (Calendar of State Papers. Foreign Series of the Reign of Elizabeth. 1578-1579. Edited By Arthur John Butler. London 1903). pp. 377-378; Poulet to Walsingham. June 2, 1579. pp. 516-518.

(٢) Cobham to the Secretaries. Nov. 3, 1580. (Calendar of State Papers. 1579-1580. Edited By Arthur John Butler. London 1904) p. 476.

(٣) Letter From Cologne. Jan. 24, 1583 (Calendar of State Papers. Jan- June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913) pp. 657-658.

السلطان مراد الثالث على حسم المعركة وفرض شروطه على الصفويين فأرسل في ربيع ١٥٨١ ثلاثين سفينة حربية محملة بالأسلحة والذخائر إلى طرابلس الشام وغيرها من الموانئ السورية لنقلها إلى جبهات القتال. وتوجه آغا الانكشارية وباشا اليونان على رأس قوات عثمانية كبيرة إلى جبهات القتال في فارس وأمر السلطان قائده سنان باشا بالتوجه على جناح السرعة إلى ميدان القتال(١). غير أن الوضع العسكري في المجر وفارس لم يكن في صالح العثمانيين حيث تمكن الصفويون من إلحاق الهزيمة بهم في آب ١٥٨٢. وزاد الموقف العسكري للعثمانيين حرجاً بعد المشاورات بين المانيا والبندقية والبابا لتشكيل حلف ضد العثمانيين وتشجيع الدول الأوربية الصفويين على الاستمرار في عملياتهم العسكرية، ولذلك نشطت الحرب بين الجانبين الصفوي والعثماني على الرغم من استمرار المفاوضات لعقد الصلح بينهما، وكانت الحرب الصفوية ـ العثمانية موضع ترحيب وسرور من الدول الأوربية(٢) التي كانت تخشى من توجيه القوات العثمانية ضدها إذا ما عقد الصلح بين الدولتين الصفوية والعثمانية. أما الصفويون فعقدوا حلفاً مع أمير جورجيا للاستمرار في الحرب ضد العثمانيين(٣). ورغم استعداد الشاه محمد ميرزا للقتال فقد أرسل في صيف ١٥٨٢ سفيره إلى استانبول حيث أمر السلطان مراد الثالث باعتقاله.

ولكن موقف السلطان العثماني من مسألة الصلح قد تبدل بعد أن أحرزت قواته بقيادة عثمان باشا نصراً على القوات الصفوية التي خسرت حوالي الفي قتيل وثمانمئة أسير في مطلع عام ١٥٨٣. وازدادت المعارك حدة بين الجانبين وأعلن السلطان مراد الثالث عن رغبته في التوجه لقتال

---

(١) Gilpin to Walsingham. Sept. 17, 1580 (Calendar of State Papers. 1579-1580. Edited By Arthur John Butler. London 1904) pp. 418-419; Pietro Bizarri to Walsingham. Aug. 12, 1582 (Calendar of State Papers. May - Dec. 1582) pp. 242-243.

(٢) Ibid. pp. 261-262. Cobham to Walsingham. Aug. 21, 1582.

(٣) Cobham to Walsingham. Nov. 1581. pp. 379-380. (Calendar of State Papers. 1581-1582. By Arthur John Butler. London 1907) pp. 379-380.

الصفويين[١]، ثم عدل عن رغبته وأرسل سفيراً إلى الشاه محمد ميرزا لعقد الصلح ولكن السفير فشل في مهمته واستمرت الحرب بين الجانبين.

ولحقت بالقوات العثمانية هزيمة منكرة بعد وقوعها في كمين نصبته لها القوات الصفوية أثناء عودتها من مدينة تفليس وفقدت حوالي أربعة آلاف من جنودها. كما تجددت الأعمال العسكرية بين الجانبين على حدود شيروان رغم رغبة الشاه محمد ميرزا في عقد الصلح مع العثمانيين، ولكن الخلاف الذي حدث بين الشاه محمد ميرزا وولده عباس حال دون ذلك مما أدى إلى استمرار الاستعدادات العثمانية لنقل الأسلحة والذخائر والمواد الغذائية من الموانئ السورية إلى جبهات القتال التي اشترك فيها باشوات بلاد الشام[٢]. واستعانت الدولة العثمانية بالقائد عثمان باشا للاستفادة من خبراته والانتفاع بخدماته حيث سبق له هزيمة القوات الصفوية في مطلع عام ١٥٨٣ واستسلمت مدينة روان الفارسية إلى عثمان باشا في آب ١٥٨٣ بعد أن دمر الصفويون كل القلاع والمباني فيها وأحرقوا كل حقول الذرة والقمح وكل شيء يمكن أن يستفيد منه الجيش العثماني[٣]. ولكن القوات الصفوية تمكنت من هزيمة عثمان باشا وأرغمته على التراجع إلى مازندران بعد أن قتلت عدداً كبيراً من جنوده ونهبت كثيراً من مدافعه.

وعيّن السلطان مراد الثالث فرهاد باشا قائداً للجيش العثماني في فارس بدلاً من عثمان باشا الذي لحقت به هزيمة مرة على الرغم من خسائر القوات الصفوية والتي بلغت نحو عشرة آلاف قتيل[٤]. وخاف الصدر الأعظم من أن

(١) Henry Unton to Walsingham. April 13, 1583. (Calendar of State Papers. Jan-June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913) pp. 261-263; Advertiesements from Sundry Parts. Turkey. Jan. 1583. p.650.

(٢) John Newbereir to Walsingham. May 30, 1583. (Calendar of State Papers. Jan. - June 1583. Edited By Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913). p. 371.

(٣) Harborne to Walsingham. Aug. 28, 1583. (Calendar of State Papers. July 1583 - July 1584. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1914) pp. 85-86.

(٤) Ibid. pp. 179-180. Harborne to Walsingham Oct. 24, 29, 1583.

تشجع الهزائم التي منيت بها القوات العثمانية في فارس الدول الأوربية للاعتداء على الدولة العثمانية.

واستمرت الامدادات العثمانية ترد على جبهات القتال مع فارس وزادت الدولة العثمانية من حشد طاقاتها العسكرية لكسب الحرب فأصدر السلطان مراد الثالث في آذار ١٥٨٤ أوامر باستدعاء المتقاعدين العسكريين للاشتراك في الحرب لاعداد قوات كبيرة لاستخدامها ضد القوات الصفوية. وفي صيف ١٥٨٤ أمر السلطان السباهية بالاستعداد للتوجه إلى جبهات القتال مرة أخرى بعد وقت قصير من عودتها منها[١]. وواصلت الدولة العثمانية إرسال الإمدادات إلى جيشها في عام ١٥٨٥، فأرسلت معدات وذخائر وجندت أعداداً كبيرة من السكان ضد رغباتهم واستمرت الحرب التي أرهقت الجانبين فترة أخرى.

وتمكنت القوات الصفوية من هزيمة القوات العثمانية بالقرب من تبريز رغم عددها الكبير وكان الفرس قد اتبعوا سياسة الأرض المحروقة لتدمير كل ما يمكن للعثمانيين الانتفاع به[٢]. ودخل الشاه الصفوي في حلف مع حاكم جورجيا لمفاجأة القوات العثمانية في تبريز وغيرها من المدن التي احتلتها، ولكن تبريز ظلت تحت السيطرة العثمانية لتفوق الحامية العثمانية فيها من ناحية وعجز القوات الصفوية في الاستيلاء على الأماكن المحصنة من ناحية أخرى. ولذلك لجأت القوات الصفوية إلى قطع الطرق المؤدية إلى تبريز لمنع وصول النجدات اليها ولارغام الحامية العثمانية على الاستسلام بعد تجويعها[٣] بدلاً من استخدام القوة ضدها. وأعرب الشاه محمد ميرزا في عام ١٥٨٥ عن رغبته في

(١) Harborne to Walsingham. March 1, 1584; Harborne to Walsingham. April 30, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX. Aug. 1584- Aug 1585. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1916). pp. 313-314, 441-442.

(٢) Harborne to Walsingham. May 31, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX.) pp. 512-513.

(٣) News From Diver Parts. Constantinople, April 9, 1586. (Calendar of State Papers. Vol. XX. Sept. 1585-May 1586. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1921) p. 609.

التوصل إلى الصلح مع العثمانيين مرة أخرى. ولكن السلطان مراد الثالث كان لا يزال يأمل بتحقيق النصر مع الصفويين ولذلك استمر في إرسال قوات جديدة إلى الجبهة الفارسية في عام ١٥٨٦. وفي نهاية عام ١٥٨٦ هزم الصفويون العثمانيين في جورجيا وقتلوا حوالي خمسة آلاف من جنودهم مما أضعف إمكانية عقد الصلح بين الجانبين. واستأنف العثمانيون نشاطهم العسكري في عام ١٥٨٧ فبنوا سبع قلاع على الحدود الفارسية واستولوا على قلاع أخرى في فارس، ورغبوا في الاحتفاظ بجيش كبير على الحدود الفارسية لتعزيز موقفهم العسكري في منطقة الحدود[١].

وتأثرت الدولة العثمانية من الخسائر بسبب استمرار الحرب ولم يستطع عثمان باشا مواصلة القتال ضد الصفويين في صيف ١٥٨٥ بعد أن نهب جنوده معسكره في أرضروم وتمردت عليه الانكشارية والسباهية بعد يومين من بدء رحلته من أرضروم للاغارة على القوات الصفوية في تفليس ونهبت جميع المواد الغذائية التي احتفظ بها في الوقت الذي نفذ فيه الشاه الصفوي سياسة الأرض المحروقة، مما اضطره للعودة إلى أرضروم لقضاء فصل الشتاء فيها[٢]. ووجد السكان في منطقة أرضروم صعوبة في تموين الجيش العثماني الذي بلغ عدده حوالي ٦٠٠و٠٠٠ رجل فقد تأثر الاقتصاد العثماني لحرمان الزراعة من القوة العاملة النشيطة بسبب الحاجة المستمرة للجنود، كما أنفقت الدولة العثمانية معظم ما في خزينتها من أموال[٣]، كما تسببت الحرب الصفوية العثمانية المستمرة في زيادة قلق السباهية والانكشارية لخوفها من هبوط

---

(١) News From Diver Parts. Constantinople, Nov. 18, 1586; Harborne to Walsingham. June 19, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXI Part I. June 1586. June 1588. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1927) pp. 417-418, 647-649.

(٢) Harborne To Walsingham, Sept. 7, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XX. Sept. 1585- May 1586. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1921) pp. 13-14.

(٣) Ibid. pp. 13-14. Harborne to Walsingham. July 15, 1585. (Calendar of State Papers. Vol. XIX. Aug. 1584 - Aug. 1585. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1916). pp. 598-599.

القوة الشرائية لرواتبها النقدية والتي سجلت انخفاضاً قدره ٥٠٪ من قيمتها قبل حروب السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) ضد الصفويين.

وحدث تطور جديد في عام ١٥٨٧ حيث تولى عباس الأول الحكم في فارس بعد تنازل والده الشاه محمد ميرزا عن الحكم بعد الخسائر الفادحة التي لحقت بالقوات الصفوية في تبريز[١]، وصرف الشاه عباس الأول السنوات الأولى من حكمه في تدعيم مركزه في القسم الشمالي من فارس.

ولذلك أبدى الشاه عباس الأول رغبته في عقد الصلح مع العثمانيين أكثر من أي وقت مضى، ولكن عدم توفر الثقة وحسن النية لدى الجانبين أدى إلى استئناف الحرب، واستعد السلطان مراد الثالث للحرب وأمر بتجهيز جيش عثماني كبير بقيادة الصدر الأعظم للتوجه إلى الحدود الفارسية[٢]. وجرت استعدادات حربية في آب ١٥٨٨ في الدولة العثمانية ضد الصفويين على الرغم من إرهاق الخزينة العثمانية بسبب الحروب المستمرة ضد فارس.

وحصل القائد العثماني فرهاد باشا على موافقة السلطان مراد الثالث لبناء قلعتين حول مدينة روان للدفاع عنها ضد الجورجيين والصفويين[٣]. وتمكن العثمانيون في نهاية عام ١٥٨٨ من تحقيق النصر على الصفويين بالقرب من أردبيل بعد أن أسرعت الدولة العثمانية في إرسال الامدادات العسكرية إلى جبهات القتال في فارس، وكانت قد لحقت بالقوات العثمانية بقيادة فرهاد باشا هزيمة منكرة بعد حصاره في بعض الممرات الجبلية وانحياز التتار إلى جانب الصفويين.

(١) Edward Barton to Walsingham. Aug. 31, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936) p. 172.

(٢) Steph Powle to Walsingham. Venice, Feb. 12, 1588 (Calendar of State Papers. Vol. XXI. Part I. June 1586 to June 1588. Edited By Sophie Crawford Lomas. London 1927). p. 503, 505; William Harborne to Walsingham Aug. 1, 1588. (Calendar of State Papers). Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936). p. 101.

(٣) Edward Barton to Walsingham. Aug. 29, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1936). p. 165.

ورغب الشاه عباس الأول في الانتقام من القوات العثمانية واستغل تعرض الدولة العثمانية للخطر في خريف ١٥٨٨ بسبب وجود اتجاهات معادية لها في أوربا حيث كانت بولندا تستعد لشن حرب ضدها(١). فقسم قواته إلى قسمين توجه الأول نحو بغداد ليمنع انضمام قوات سنان باشا «جيغال أوغلو» إلى قوات فرهاد باشا. وتوجه الثاني إلى تبريز لمقاومة القوات العثمانية التي كانت تستعد لغزو الأراضي الفارسية.

ولكن الشاه عباس الأول اضطر إلى التراجع أمام الضغط العثماني على منطقة أردبيل، وسعى لعقد الصلح مع الدولة العثمانية في عام ١٥٨٩. غير أن القائد العثماني فرهاد باشا رفض الاصغاء لعرض السلام الذي تقدم به الشاه عباس حتى يوافق علي إرسال ولده إلى الآستانة ليكون رهينة لدى السلطان العثماني(٢) مراد الثالث الذي كان يشكو أيضاً من استمرار الحرب، ويرغب في عقد الصلح لفراغ خزائنه من الأموال وحتى يتمكن من مواجهة الخطرالأوربي، ولخوفه من خوض الحرب على جبهتين في وقت واحد(٣)، وخشيته من نتائج تمرد الانكشارية، التي رفض ثمانية آلاف من أفرادها في مطلع ١٥٨٩ مغادرة الآستانة إلى فارس قبل أن يذهب السلطان ومعه السباهية اليها، كما تمرد الجنود العثمانيون على ضباطهم في فارس لعدم دفع مرتباتهم في شباط ١٥٨٩. مما أضطر السلطان مراد الثالث إلى التهديد بقطع رؤوس كبار المسؤولين العثمانيين إذا لم يسارعوا بدفع مرتبات الجيش العثماني(٤).

وعلى الرغم من رغبة الدولتين في عقد الصلح فقد استمرت الحرب عاماً آخر، وخيبت القوات العثمانية بقيادة فرهاد باشا الآمال المعقودة عليها

(١) Edward Barton to Walsingham. Oct. 12, 25, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII. July - Dec. 1588) p. 282; J. Wrothe to Walsingham. Jan. 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII) p. 393.

(٢) News From Venice. Feb. 3, 1589. (Calendar of State Papers. Vol. XXIII. Jan. 1589- July 1589. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1950) pp. 62-63.

(٣) Edward Barton to Walsingham. Oct. 12 and 25, 1588. (Calendar of State Papers. Vol. XXII) pp. 281-282.

(٤) Edward Barton? To Walsingham? Feb. 14 and 28, 1589 (Calendar of State Papers. Vol. XXIII. Jan. 1589- July 1589) p. 132, 134.

وفشلت في استعادة الأماكن التي خسرتها الدولة العثمانية في حروبها السابقة. كما أن الهزيمة التي لحقت بها أضرّت بمحاولات عقد الصلح. وبينما كان الجانبان الصفوي والعثماني يستعدان للحرب في ربيع ١٥٩٠ اضطر الشاه عباس للدخول في مفاوضات لعقد معاهدة الصلح مع العثمانيين لوقف خطر قوات قبائل الأوزبك الذي هدد حدوده الشرقية. وكان السلطان العثماني مراد الثالث راغباً في عقد الصلح[١] أيضاً.

وجرت المفاوضات في الآستانة، وفرض العثمانيون شروطهم على الشاه عباس الأول وتم التوقيع على المعاهدة في ٢٢ آذار ١٥٩٠ وتضمنت ما يلي[٢]:

أ ـ تنازل الشاه عباس الأول للسلطان مراد الثالث عن تبريز والولايات الغربية من فارس ـ خوزستان وشماخي وتفليس وقسم من منطقة لارستان وشهرزور.

ب ـ توقف الفرس عن الاساءة إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة.

ج ـ ارسال حيدر ميرزا ابن أخ الشاه عباس رهينة لدى السلطان مراد الثالث في الآستانة لاحترام المعاهدة.

د ـ الافراج عن الأسرى الصفويين والعثمانيين.

وأرسل فرهاد باشا دفترداره[٣] إلى السلطان مراد الثالث ليبشره بعقد الصلح. ولذلك حظي فرهاد باشا بمنزلة رفيعة في الدولة العثمانية واحتل المرتبة التالية للصدر الأعظم وتلقى من السلطان مراد الثالث هدايا ثمينة، ولكن بعض منافسيه في بلاط السلطان ادعى عليه جمعه أموالاً طائلة أثناء قيادته الجيش العثماني في فارس مما اضطره إلى دفع نصف مليون دوكة إلى السلطان لينجو من مصادرة ممتلكاته. واضطر الشاه إلى ارسال خان أردبيل إلى الآستانة ومعه ابن أخيه حيدر ميرزا مع هدايا ثمينة إلى السطان العثماني[٤].

---

(١) List and Analysis of State Papers. Elizabeth I. Vol. I, Aug. 1589 - June 1590. Edited By Richard Bruce Wernham (London 1964). p. 432. pp. 438-439.

(٢) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج ـ القسم التاريخي ـ (الدوحة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٣) Ibid p. 439.

(٤) List and Analysis of State Papers. Vol. I p. 444.

واستقبلت العاصمة العثمانية السفارة بحفاوة بالغة حيث كان في استقبالها ٧٠٠٠ من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان و٦٠٠٠ من كبار موظفي القصر السلطاني والانكشارية ولابسي الدروع. ونقلت عشرين سفينة الوفد الفارسي إلى الجانب الأوربي من العاصمة استانبول، كذلك كانت السفارة الفارسية مناسبة للانكشارية للمطالبة بزيادة مرتباتها في مقابل مشاركتها في الاستقبال كما أدى قرار السلطان مراد الثالث بتزيين العاصمة إلى قيام السباهية بأعمال النهب والسلب والاعتداء على السكان(١). وبعد وصول حيدر ميرزا إلى الآستانة كتب السلطان مراد الثالث إلى ملكة انكلترا اليزابث متباهياً بأنه قد شغل لعدة سنوات بالحرب مع الصفويين حتى توسل الشاه عباس إليه وأرسل ابن أخيه حيدر ميرزا إلى الباب العالي والتمس منه عقد الصلح(٢). وكان السفير الانكليزي في الآستانة قد أبدى اهتماماً عميقاً بالشؤون العثمانية وحرص على إرسال التقارير إلى لندن عن الدولة العثمانية والتي تضمنت اسماء كبار موظفيها وحكام ولاياتها. كذلك اهتمت الدول الأوربية بالصلح الصفوي العثماني خوفاً من زيادة الضغط على حدودها(٣).

ومهما يكن من أمر فقد حقق العثمانيون هدفين من عقد الصلح مع الصفويين في عام ١٥٩٠ هما:

أ - تأمين سلامة حدودهم على الجبهة الفارسية ليتفرغوا لقتال الدول الأوربية.

ب - وقف الحملات الصفوية المذهبية ضد السكان السنّة لاسيما في مناطق الحدود.

وحرص الشاه عباس الأول في العقد الأخير من القرن السادس عشر على إظهار مودته وحسن نيته نحو الدولة العثمانية وعلى أن يكون السفراء

---

(١) Ibid. p. 444

(٢) Ibid. pp. 452-453.

(٣) Barton Delivers the Queen's Letters. Aug. 23, 1590. (List and Analysis of State Papers. Foreign Series. Elizabeth I. Vol. II. July 1590 - May 1591. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1969). pp. 458-459, 460.

الفرس إلى السلطان العثماني من ذوي المكانة الرفيعة في فارس(1). وفي الوقت الذي كان فيه يستعد لشن الحرب ضدها. ولذلك نقل عاصمته من قزوين إلى اصفهان ليبعد العاصمة الصفوية عن الخطر العثماني المرتقب.

وبعد وفاة ابن أخ الشاه عباس الأول حيدر ميرزا(2) في استانبول في عام ١٥٩٦ أرسل السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) سفيراً إلى الشاه عباس الأول لأعادة النظر في معاهدة ١٥٩٠ وليرسل ولده الأكبر إلى الآستانة رهينة في بلاط السلطان. وللحصول على مزيد من الامتيازات وترك خراسان للاوزبك الذين استولوا على مشهد. ورفض الشاه عباس الموافقة على مقترحات السلطان العثماني واستغل سوء الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان مراد الثالث في عام ١٥٩٥ والاضطرابات التي تزعمها بعض الباشوات العثمانيين ومضايقة التجار الفرس والاستيلاء على أموالهم في الأراضي العثمانية، وثورة الجلاليين الذي سيطروا على بعض الولايات العثمانية على الحدود الفارسية وعاثوا فيها فساداً مما أدى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصادية في الأناضول بعد هرب الفلاحين من قراهم. وعندما زاد ضغط الدولة العثمانية عليهم في عام ١٦٠٨ هربوا إلى فارس حيث رحّب الشاه عباس بزعمائهم. كذلك حدثت فتنة في بغداد ضد الوالي العثماني أدت إلى توقف الامدادات عن قلعة نهاوند العثمانية، وانتهز الشاه عباس الفرصة فدمرها في عام ١٦٠٢. كذلك استفاد الشاه عباس من خدمات الأخوين شيرلي في إنشاء مصنع للاسلحة النارية وتزويد جيشه بالمدافع وفق الأنظمة الأوربية.

وعندما نشب نزاع مسلح في عام ١٦٠٢ بين علي باشا حاكم تبريز

---

(1) Lists and Analysis of State Papers. Foreign Series. Elizabeth I. Vol. III. June 1591 - April 1592. Edited By Richard Bruce Weinham. (London, 1980) p. 504.

(2) حاول أحد الخدم الجورجيين في مقر السلطان العثماني دس السم للأمير الصفوي في عام ١٥٩٠ ولكن طبيب السلطان أنقذه.
انظر.

List and Analysis of State Papers. Vol. I. p.444.

العثماني وغازي بك الكردي حاكم مدينة سلماس اغتنم الشاه عباس انشغال معظم قوات علي باشا بعيداً عن تبريز فاستولى عليها في عام ١٦٠٣. وعندما حاول علي باشا استعادتها وقع في أسر الشاه عباس الذي تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على قلعة تبريز بدون قتال وأمر بهدمها دلالة على انتهاء الحكم العثماني في منطقة أذربيجان(١).

كذلك استفاد الشاه عباس الأول من الاضطربات التي حدثت في الآستانة بعد وفاة السلطان محمد الثالث وتولِّي ابنه السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٦) البالغ من العمر ستة عشر عاماً، وفقدت القوات العثمانية بقيادة شريف باشا الأمل في سرعة وصول النجدات اليها من الآستانة واستسلمت قلاع ايروان الثلاث للشاه عباس في عام ١٦٠٤.

وأمر السلطان أحمد الأول باعداد جيش كبير بقيادة الصدر الأعظم سنان باشا المشهور باسم جيغال أوغلو لاستعادة نهاوند وتبريز ونخجوان وايروان وغيرها من مدن أذربيجان. وتوقف الجيش العثماني في مدينة قارص على الحدود الفارسية - العثمانية لرسم الخطط والاستعداد للهجوم على أذربيجان. وكان الشاه عباس الأول على علم تام بتحركات الجيش العثماني، فأحرق كل شيء وردم آبار المياه وأمر بترحيل السكان على امتداد الطريق الذي سيسلكه الجيش العثماني في هجومه على أذربيجان. وبنى قلعة جديدة في تبريز وأمر بحفر خندق حولها وزودها بالمعدات العسكرية والمواد الغذائية الكافية(٢).

وتقدم الجيش العثماني من قارص قاصداً ايروان ونخجوان في فصل الشتاء ولكن الأحوال الجوية القاسية وسياسة الأرض المحروقة التي نفذها الشاه عباس اضطرت سنان باشا إلى التراجع نحو وان بعد أن لحقت بجيشه خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. وتشجع الشاه عباس فأمر قائده الله وردي خان بمهاجمة الجيش العثماني في وان قبل أن يتمكن من تنظيم صفوفه

---

(١) بديع جمعة واحمد الخولى: تاريخ الصفويين وحضارتهم (القاهرة، ١٩٧٦) ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٣١.

(٢) بديع جمعة واحمد الخولى: المرجع السابق، ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

وقبل أن تصله الامدادات العسكرية، وفوجئ سنان باشا باقتراب القوات الصفوية، فاحتمى مع قواته بقلعة وان وعندما فقد الأمل هرب مع عدد من مستشاريه عن طريق بحيرة وان نحو الأراضي العثمانية وأخذ يستعد لجولة أخرى من القتال ضد الصفويين وتقدم بقواته البالغة حوالي مئة ألف نحو أذربيجان وعسكر بها بالقرب من مدينة سلماس. ولكن القوات الصفوية بقيادة الله وردي خان ألحقت هزيمة أخرى بالقوات العثمانية في عام ١٦٠٥. ومات سنان باشا «جيغال أوغلو» كمدا بعد يومين من هزيمته الأخيرة.

أدرك الصدر الأعظم درويش باشا أن مصلحة الدولة العثمانية تقضي بابرام الصلح مع الدولة الصفوية فاقترح على الشاه عباس الأول طلب الصلح من السلطان أحمد الأول. واستجاب الشاه لطلب الصدر الأعظم وأرسل سفيراً محملاً بالهدايا ومعه رسالة يقترح الشاه عباس فيها على السلطان أحمد عقد الصلح بنفس شروط معاهدة ١٥٦٢ التي توصل اليها الشاه طهماسب والسلطان سليمان القانوني. ولم ينتظر الشاه عباس الأول موافقة السطان أحمد الأول على مقترحاته بل استمر في إخضاع منطقة أذربيجان والسيطرة على كل قلاعها. وتمكن في عام ١٦٠٧ من الاستيلاء على قلعة شماخي عاصمة أقليم شيروان، وأدرك الصدر الأعظم مراد باشا بأن المصلحة العامة تقضي بالاسراع بعقد معاهدة صلح مع الصفويين فكرر طلب الصدر الأعظم السابق درويش باشا واستجاب الشاه عباس مرة أخرى فبعث رسالة للسلطان أحمد في عام ١٦٠٩ وجرت مفاوضات بين الجانبين استغرقت عدة سنوات وانتهت بتوقيع معاهدة الصلح في عام ١٦١١ بين الشاه عباس الأول والصدر الأعظم مراد باشا ونصت على ما يلي[١].

أ ـ الاعتراف بالحدود الصفوية على ما كانت عليه في عهد السلطان سليم الأول والشاه اسماعيل الأول وبذلك تخلى العثمانيون عن فتوحات السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) ومحمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣).

---

(١) بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص ١٨٣ ـ ١٨٨.

ب ـ تعهد الشاه عباس بتصدير مئتي حمل من الحرير سنوياً إلى الدولة العثمانية بدون مقابل.

ج ـ تقوم كل دولة بتعيين ممثلين عنها لتحديد الأراضي التابعة لكل منهما.

واجتمعت اللجان المشتركة الصفوية ـ العثمانية لرسم الحدود الفاصلة بين الدولتين في مدينة سلماس بأذربيجان ونجحت في رسم الحدود في منطقة أذربيجان وأرمينيا كما تم الاتفاق على تقسيم بلاد الكرج بين الدولتين، مما أدى إلى ثورة طهمورث خان حاكم ولاية كاخت ضد الشاه عباس الذي قضى على الثورة بعنف بالغ في عام١٦١٦ .وتوترت العلاقات الصفوية ـ العثمانية لامتناع الشاه عباس الأول عن إرسال كمية الحرير التي تعهد بتقديمها سنوياً للدولة العثمانية وتجاوزاته على بلاد الكرج، واتهمه العثمانيون بافتعال الهجمات عبر الحدود لتقويض المباحثات، ولكن الشاه عباس أقنع الصدر الأعظم نصوح باشا بأنه أمر جيشه باخضاع الثائرين في الجانب الصفوي من الحدود وللتأكيد على حسن نيته أمر بالافراج عن الأسرى العثمانيين. وأمر السلطان العثماني باعدام الصدر الأعظم نصوح باشا لاتهامه بالتواطوء مع الشاه عباس، وحشد جيشاً كبيراً بقيادة الصدر الأعظم الجديد محمد باشا الذي توغل في منطقة أذربيجان وحاصر قلعة ايروان في عام ١٦١٦ ولكنه فشل في الاستيلاء عليها فعاد إلى مدينة وان حيث عزله السلطان، وعين مكانه خليل باشا الذي تقدم بجيش كبير نحو أذربيجان. وبادر الشاه عباس إلى احراق كل شيء في الطريق بين ديار بكر وتبريز وأخلى تبريز من السكان والمؤن والجنود وأمر باحراقها وعسكر بقواته في مدينة أردبيل.

وقصد الجيش العثماني تبريز وتمكن من دخولها بدون مقاومة. ولما كانت المدينة مهجورة لم يمكث فيها سوى بضعة أيام واضطر إلى الاقامة خارجها. وأخذ يستعد لاحتلال المدن الفارسية الأخرى. ورفض الشاه عباس مقترحات الصدر الأعظم خليل باشا لعقد الصلح وقامت القوات الصفوية بهجوم مباغت على الجيش العثماني المعسكر بجوار تبريز وأوقعت به خسائر فادحة بلغت حوالي خمسة عشر ألف قتيل. وبذلك أصبح الوضع في منطقة

أذربيجان في صالح الشاه عباس وفقدت الدولة العثمانية زمام المبادرة خلال الفترة الباقية من حكم الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩)، وحرصت على توقيع معاهدة سراو مع الدولة الصفوية في ٢٧ أيلول ١٦١٨.

وتضمنت المعاهدة ما يلي(١):

أ ـ التأكيد على الحدود الصفوية ـ العثمانية كما كانت عليه في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) مع تعديل طفيف حيث تم تبادل مناطق الحدود بين الدولتين فتنازلت الدولة العثمانية عن درنة ودرتنك وتنازلت فارس عن أخسخة(٢).

ب ـ عدم قيام الصفويين باستفزازات مذهبية.

ج ـ عدم تدخل إحدى الدولتين في الشؤون الداخلية للأخرى.

د ـ تعهد الشاه بالوفاء بتصدير مئة حمل من الحرير سنوياً.

وقد سر الشاه عباس بالصلح وأرسل للجيش العثماني على الحدود الفارسية ثمانمئة حمل من المواد الغذائية والهدايا. وبمناسبة جلوس السلطان عثمان الثاني (١٦١٨ ـ ١٦٢٢) أرسل له مئة حمل من الحرير مع هدايا أخرى(٣). وبعد معاهدة سراو ١٦١٨ استمر الهدوء بين الدولتين حتى عام ١٦٢٣ حيث ساءت العلاقات بينهما لاستيلاء الشاه عباس على بغداد.

استيلاء الشاه عباس الأول على بغداد في عام ١٦٢٣.

استغل الشاه عباس الأول الاضطرابات التي وقعت في العاصمة العثمانية بعد اغتيال السلطان عثمان الثاني في عام ١٦٢٢ وإعادة مصطفى الأول (١٦١٦ ـ ١٦١٨) إلى الحكم مرة أخرى، وثورة بكر الصوباشي قائد

---

(١) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢١ ـ ٢٤. وكان الصدر الأعظم خليل باشا قد نصح الشاه عباس بقبول الشروط العثمانية وتتلخص في ارسال حوالي ثلاثمئة حمل من الحرير سنوياً إلى السلطان العثماني وإعادة المناطق الغربية من اذربيجان وأرمينيا وشيروان وبلاد الكرج للدولة العثمانية وارسال أحد أبناء الشاه رهينة إلى بلاط السلطان.

(٢) ياسين عبد الكريم: اتفاقية الحدود الشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر ـ (الفصل الخامس) في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي ـ دراسة تاريخية ـ (بغداد، ١٩٨١) ص ١٩٢.

(٣) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤ ـ ٢٧.

حامية بغداد على الوالي يوسف باشا الذي قتل برصاصة طائشة وسيطر بكر الصوباشي على بغداد وأعلن العصيان على الدولة العثمانية، وعهد السلطان عثمان الثاني إلى حافظ باشا والي ديار بكر بقيادة جيوش الولايات المجاورة لبغداد للقضاء على الفتنة فيها.

وخاف بكر الصوباشي، فاستنجد بالشاه عباس الأول الذي استغل الفرصة للاستيلاء على بغداد والعتبات المقدسة في كربلاء والنجف. ولذلك توجه بقواته نحو بغداد متذرعاً بزيارة العتبات الشيعية المقدسة[1] وعندئذ اضطر حافظ باشا إلى رفع الحصار عن بغداد وإلى عقد الصلح مع بكر الصوباشي والاعتراف به والياً على بغداد.

وكان حاكم همدان صفي قلي خان قد بعث برسله إلى بغداد، وكتب بكر الصوباشي إلى الشاه عباس يخبره بتسوية خلافاته مع الدولة العثمانية وعدم حاجته للمساعدة الصفوية، ولكن الشاه عباس رفض الاعتراف بالاتفاق الذي تم بين بكر الصوباشي وحافظ باشا وواصل الزحف على بغداد، ورد بكر الصوباشي على ذلك بقتل المندوبين الفرس وعلقهم على أسوار بغداد[2]. وأحكم الشاه عباس الحصار على بغداد ثلاثة أشهر انتشرت خلالها المجاعة فيها لقلة المواد الغذائية، ولكن بكر الصوباشي لم يستسلم فلجأ الشاه عباس إلى الحيلة فاتفق مع محمد بن بكر الصوباشي على التعاون معه في مقابل حكم بغداد ونجحت الحيلة وفتحت أبواب بغداد في ليلة ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣ وفوجئت حامية بغداد بالقوات الصفوية التي قتلت عدداً كبيراً من أفرادها[3].

وقتل الشاه عباس بكر الصوباشي وعين صفي قلي خان حاكم همدان السابق والياً على بغداد حيث ظل في منصبه حتى عام ١٦٣١ وخلفه بكتاش

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. pp. 51-55.
وانظر أيضاً،
أطلس تاريخ ايران ـ دانشكاه تهران (١٩٧٦) خارطة ٢١.

(٢) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p. 56.

(٣) Ibid. pp. 56-57.

خان الأرمني حتى عام ١٦٣٨، واضطهد الشاه عباس السكان السنّة ودمّر مزاراتهم ومساجدهم في بغداد[١]. ومن بغداد أرسل الشاه عباس قواته للاستيلاء على الموصل وكركوك ولم يبق في حوزة الدولة العثمانية من العراق سوى البصرة التي حاول الشاه عباس الاستيلاء عليها أكثر من مرة لاستكمال السيطرة الصفوية على مجمل الأراضي العراقية ولابعاد البرتغاليين عن تجارة البصرة والأحساء والقطيف بعد طردهم من البحرين وجمبرون وهرمز للقضاء على منافستهم التجارية لميناء جمبرون «بندر عباس»، لاسيما بعد أن أصبحت أسواق البصرة عامرة بالبضائع الشرقية الأوربية ووفدت عليها القوافل التجارية الفارسية. ولذلك شجع الشاه عباس أمير الحويزة التابع له والقبائل البدوية المجاورة للبصرة لازعاجها وتهديد أمنها وتعريض مواصلاتها للخطر، وقد ساعدت طبيعة البصرة القاسية لوجود المستنقعات والأهوار فيها مما سهل على أعدائها الاخلال بأمنها.

ولذلك لم يمض وقت طويل على سقوط بغداد في قبضة الصفويين حتى فرض الشاه عباس الحصار على البصرة في عام ١٦٢٤ بعد أن فشل في استمالة حاكمها علي باشا أفراسياب الذي اعتمد على المساعدة البرتغالية البحرية التي ضمت خمس سفن حربية مما اضطر الشاه إلى رفع الحصار عنها في ٢٣ أذار ١٦٢٥. وقرر الشاه عباس فرض الحصار على البصرة مرة أخرى وعهد إلى حاكم شيراز إمام قولي خان بقيادة الحملة الصفوية[٢] واستمر في حصار البصرة حتى وفاة الشاه عباس في كانون الثاني ١٦٢٩ فرفع الحصار عنها وعاد إلى بغداد.

---

(١) Ibid. p. 57.

(٢) Ibid. pp. 103-105; Gombroon, Mar. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634). pp. 130-131.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٥. وانظر أيضاً، عبد الكريم محمود غرابية: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦. وعلي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق، (بغداد، ١٩٢٧) ص ١٠٩.

المحاولات العثمانية لاستعادة بغداد (١٦٢٣ - ١٦٣٨).

بدأت محاولات الدولة العثمانية لاستعادة بغداد بعد فترة قصيرة من استيلاء الشاه عباس عليها، فقد أصدر السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) أمره إلى والي ديار بكر حافظ باشا بالتوجه إلى بغداد على رأس جيش كبير لطرد القوات الصفوية منها. وتمكن حافظ باشا في عام ١٦٢٥ من استعادة كركوك وكربلاء والحلة ثم فرض حصاراً على بغداد استمر ثمانية أشهر، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار والانسحاب في أيار ١٦٢٦ لعدم توفر المدفعية الكافية والذخيرة اللازمة لديه لاسيما بعد أن علم بزحف الشاه عباس الأول إلى بغداد. وكان الأكراد قد ساعدوا القوات العثمانية باخضاع المناطق المجاورة لتبريز لإرغام الشاه عباس على سحب جزء من قواته من بغداد(١).

وقام العثمانيون بمحاولة ثانية لاستعادة بغداد بعد وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩، وقاد الصدر الأعظم خسرو باشا جيشاً عثمانياً بلغ حوالي ثلاثمئة ألف رجل في أيار ١٦٢٩ توجه إلى اردلان ثم زحف على همدان فوصلها في حزيران ١٦٣٠، وبعد أن نهبها مكث فيها بضعة أيام ثم توجه إلى بغداد وفرض عليها حصاراً شديداً في تشرين الأول ١٦٣٠ وأصبحت بغداد في خطر، ولكن الحامية الصفوية فيها كانت مستعدة للمقاومة بعد أن زودها الصفويون بالمواد الغذائية والذخائر(٢) ولذلك انسحب الجيش العثماني بعد أربعين يوماً من بداية الحصار دون أن يتمكن الصفويون من عرقلة الانسحاب لضعف استعداداتهم العسكرية في عام ١٦٣٠، وكان لدى الشاه صفي حوالي ستين ألفاً من القزلباش الذين عسكروا بالقرب من بغداد، ولم يتجرأ الشاه صفي على قتال العثمانيين على الرغم من استفزازهم لقواته.

وقد أدى فشل محاولة خسرو باشا لاستعادة بغداد إلى وقوع اضطرابات في العاصمة العثمانية وإلى تمرد الانكشارية في سراي السلطان مراد الرابع الذي

---

(١) Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. Ispahan, May 19, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629). pp. 201-202.

(٢) Postscript. Oct. 26, 1630; Ed. Heynes and Wm. Gibson To The East India Company. Ispahan, Sept. 30, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 53-54.

وقف بحزم وأنقذ الدولة من الفوضى[1].

وربما يعود اخفاق الحصار العثماني إلى استنفاد القوات العثمانية طاقتها ومعظم عتادها في العمليات العسكرية التي قامت بها لعدة شهور في الأراضي الفارسية قبل التوجه إلى بغداد.

وبقيت بغداد تحت الحكم الصفوي إلى أن تمكن السلطان مراد الرابع من استعادتها في عام ١٦٣٨، وكان السلطان قد غادر استانبول في ربيع ١٦٣٨ قاصداً حلب على رأس جيش ضم مئة ألف من الفرسان والمشاة[٢]، ومن حلب توجه إلى بغداد فوصلها في ١٥ تشرين الثاني ١٦٣٨ وبعد أن رفض طلب الصلح الذي تقدم به الشاه صفي فرض عليها حصاراً شديداً شاملاً، واستسلمت بغداد في ٢٥ كانون الأول ١٦٣٨ بعد أربعين يوماً من بدء الحصار[٣]. وبعد أن فتحت المدفعية العثمانية ثغرة في سور بغداد واستسلم الحاكم الصفوي بكتاش خان. وفي ١٧ شباط ١٦٣٩ غادر السلطان مراد الرابع مع قسم من جيشه بغداد قاصداً تبريز. وبذلك عادت بغداد للحكم العثماني واعترف الشاه صفي بذلك في معاهدة زهاب في ١٧ أيار ١٦٣٩ التي تم التوصل اليها بعد طرد الصفويين من بغداد وتضمنت ما يلي:

أ ـ تعيين مناطق الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية ولكن صياغة هذه المادة لم تحسم الخلافات الحدودية مما سيؤدي إلى تجدد النزاع بشأن الحدود بين الدولتين لعدم اتفاقهما على رسم خط الحدود. كما لم تتعرض المعاهدة لمسألة شط العرب ولحدود ولاية البصرة ولكنها نصت على أن

(١) Edward Heynes and William Gibson At Gombroon To The Company, March 17, 1631. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910). pp. 140-141; Agent William Burt To The East India Company. Oct. 6, 1630- (Colonial Papers Vol. V. 1630/1634) pp. 59-61; Selections from State Papers, Bombay, Regardıng The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary of Events. 1600-1800. p. 9.

(٢) عبد الرزاق الحسني: العراق ـ قديماً وحديثاً ـ (صيدا، ١٩٤٨) ص ٢٧.

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cıt. pp. 68-69.

ولاية البصرة وتوابعها للدولة العثمانية في الجنوب(١).

ب - تمتنع الدولة الصفوية عن التعرض للخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة واستعمال الكلمات غير اللائقة بحقهم.

ج - تمتنع الدولة العثمانية عن التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الصفوية(٢).

ووقع الشاه صفي والسلطان مراد الرابع على المعاهدة في أيار ١٦٣٩ واستقرت بذلك الحدود التي رسمتها المعاهدة دون تغيير كبير(٣) حوالي ثمانين عاماً لانشغال الدولتين الصفوية والعثمانية بمشاكلهما الداخلية، فعادت العراق إلى الحكم العثماني، بينما بقيت ايروان وأجزاء من القوقاز تحت السيطرة الصفوية.

وبعد وفاة الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٩ خلفه الشاه صفي (١٦٢٩ - ١٦٤١) وفي عهده ساءت الأوضاع الادارية وضعفت سياسة فارس الخارجية وأعدم حاكم شيراز إمام قولي خان مع ثلاثة من أولاده في عام ١٦٣٣ وكان من الخانات الأقوياء الذين اعتمد عليهم الشاه عباس الأول(٤). ولذلك اتخذ اقليم شيراز موقفاً عدائياً من الشاه صفي، كما هرب بعض أولاد إمام قولي خان الآخرين وثار أخوه في جورجيا ضد الشاه صفي. ولم يكتف الشاه بذلك، ففي عام ١٦٣٤ أعدم أربعة من النبلاء الفرس كان من بينهم وزيره الأول «اعتماد الدولة» وأمر أحد الخانات بتنفيذ حكم الاعدام في اعتماد الدولة ورمى رأسه خارج الأسوار، وعين خاناً آخر بدلاً منه في منصبه وحذره بمصير سلفه، مما أدى إلى انتشار الذعر والفزع في أوساط حاشية الشاه فخاف أفرادها على أرواحهم(٥).

---

(١) عبد العزيز سليمان نوار: مرجع سبق ذكره، ص ١٣ - ١٨.

(٢) شاكر صابر الضابط: مرجع سبق ذكره، ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) Ramazani, Rouhollah K. The Persian Gulf, Iran's Role (U.S.A. 1972). p. 11.

(٤) Edward Pettus To The East India Company. Ispahan. Sept. 27, 1618 (Colonial Papers. Vol. II. 1617-1621) pp. 198-199.

(٥) Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan, Oct. 13, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. =

وتعرضت الدولة الصفوية في عهد الشاه صفي لخطر التقسيم بعد الهجمات التي شنت عليها من الشرق والغرب ولاسيما بعد انتشار الفساد وازدياد قوة وتعديات الأفغان في اقليم قندهار وخلف الشاه صفي الشاه عباس الثاني (١٦٤١ - ١٦٦٦) والشاه سليمان (١٦٦٦ - ١٦٩٤) والشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) وفي عهد الأخير تمكن مير محمود الأفغاني من دخول اصفهان في عام ١٧٢٢ فأنهى بذلك حكم الأسرة الصفوية في فارس. ثم تقاسمت الدولة العثمانية وروسيا المقاطعات الفارسية مثل كرمنشاه واردلان وأورمية وتبريز وكنجة في عام ١٧٢٤.

= 574-576; Cap. John Weddell To The East India Company. Gombroon, Mar. 24, 1633 (Colonial Papers. Vol. V.) pp. 387-388; Bausani, Alessandro. The Persians. From the Earliest Days To The Twentieth Century. (Translated From the Italian By J.B. Donne New York?) pp. 144-145.

العلاقات الصفوية ـ الأوربية

امتنع الشاه إسماعيل الأول الصفوي (١٤٩٩ ـ ١٥٢٤) عن الاشتباك في حرب مع البرتغاليين الذين احتلوا هرمز ومنعوا ملكها من دفع الاتاوة السنوية له، بل تبادل معهم الهدايا والسفراء[١]. وعقد اتفاقاً معهم نص على مساعدتهم له في حروبه ضد العثمانيين في مقابل استيلائهم على جزيرة هرمز وميناء جمبرون لانشغاله في الحرب ضد العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق. واستمرت العلاقات الصفوية ـ البرتغالية على هذا النحو حتى نهاية عهد الشاه محمد خدابنده في عام ١٥٨٧.

وكذلك دخل الشاه إسماعيل الأول في مراسلات مع شارل الخامس (١٥١٩ ـ ١٥٥٦) امبراطور المانيا للتحالف ضد العثمانيين فكتب اليه رسالة في تشرين الأول ١٥١٨ ولكنها وصلت في عام ١٥٢٤ متأخرة ست سنوات ورد شارل الخامس على رسالة الشاه اسماعيل في ٢٥ آب ١٥٢٥[٢] واقترح عقد معاهدة بين المانيا وفارس وأرسل ملك المجر وملك سويسرا مبعوثين إلى الشاه اسماعيل.

وحرص الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) منذ بداية حكمه على إقامة علاقات عسكرية سياسية وتجارية وثيقة مع حكام أوربا للحصول على

---

(١) Barbosa, Durate. A Description Of The Coasts of East Africa And Malabar In The Beginning of the Sixteenth Century. (U.S.A. 1970) p. 38, 40.

(٢) وصل نبأ وفاة الشاه اسماعيل الأول (١٥٢٤) وتولي الشاه طهماسب إلى شارل الخامس في ١٥ شباط ١٥٢٩.

مساعدتهم له في حروبه المستمرة ضد الدولة العثمانية، ولزيادة التبادل التجاري بين فارس والدول الأوربية. فاتصل بامبراطور المانيا رودلف الثاني الذي استقبل سفارة الشاه عباس الأول والتي ضمت حسين علي بك بيات وأنطوني شيرلي ثم استقبل بعثة مهدي قلي بك وروبرت شيرلي، وأرسل رودلف الثاني وفدا ألمانيًا إلى بلاط الشاه عباس في عام ١٦٠٢ لعقد تحالف بين ألمانيا وفارس ضد الدولة العثمانية. كذلك اتصل الشاه عباس بملك هولندا للاشتراك في حلف معه ضد العثمانيين والسماح بمرور قوافل الحرير الفارسي عبر الأراضي الهولندية بعد قرار الشاه عباس تحويل طريق تجارة الحرير الفارسي عن الأراضي العثمانية. ولتحقيق ذلك شجع تجار البندقية على القدوم إلى بلاده للمساهمة بنصيبهم في تجارة الحرير التي عمل على رواجها[١]

ويمكن إجمال الأهداف المشتركة للعلاقات الصفوية - الأوربية في عهد الشاه عباس الأول بالرغبة المشتركة للجانبين الصفوي والأوربي في استمرار العداء للدولة العثمانية وفي زيادة التبادل التجاري بين فارس واوربا. ولكن الدول الأوربية لم تبادر إلى تقديم عون عسكري فعال للصفويين في حروبهم ضد العثمانيين، بل لجأ بعض الحكام الأوربيين إلى تحسين علاقاته مع الدولة العثمانية. فبينما أرسل رودلف الثاني امبراطور المانيا وفداً إلى الشاه عباس لعقد حلف لمحاربة العثمانيين إذا به يوقع معاهدة صلح مع السلطان العثماني[٢]. ويمكن القول أن الموقف الأوربي من الحرب الصفوية - العثمانية اقتصر على تقديم الوعود بفتح عدة جبهات على الحدود العثمانية في أوربا وببعض المساعدات العسكرية البحرية التي لم تتحقق، باستثناء ما قدمه الأخوان أنطوني وروبرت شيرلي ورفاقهم من خبرة لتنظيم الجيش الصفوي وإعادة تدريبه وتسليحه مما مكنه مع أسباب أخرى من إحراز النصر على القوات العثمانية في منطقة اذربيجان.

(١) Sarwar, Ghulam. History of Shah Ismail Safawi. (Ali-garh, 1939) p. 87.
وانظر ايضاً، بديع جمعة وأحمد الخولى: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٢) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

بينما نجح حكام اوربا في حمل الشاه عباس للعطف على[1] الرعـايا المسيحيين في بلاده، فوافق على بناء الكنائس في اصفهان وغيرها من المدن الفارسية كما سمح للبعثات التبشيرية بالقدوم إلى بلاده ومنحهـا الحريـة في ممارسة نشاطها التبشيري، مما أدى إلى اعتناق بعض مستشاري الشاه عباس المسيحية.

وهكذا حققت أوربا مكاسب كثيرة من علاقاتها الصفوية، تمثلت في حرية رعاياها في ممارسة التجارة والتبشير، وعملت أوربا على تعميق الخلافات المـذهبية بـين المسلمين السنَّة والشيعة في منـطقة الخليـج العربي وفـارس. وسنعرض للعلاقات الصفوية ـ الأوربية حسب أقدميتها وسنبدأ بالبرتغال.

(١) بلغ عطف الشاه عباس الأول على المسيحين في بلاده حدا عرض فيه أحد القساوسة على الشاه اعتناق المسيحية، وقد اشارت التقارير الانكليزية إلى ذلك في عام ١٦٠٩.
انظر،
Thos. Bays to Salisbury. June 10, 1609 (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 185-186.

العلاقات الصفوية ـ البرتغالية

مارس البرتغاليون سيطرة فعلية على مدخل الخليج العربي، بعد احكام قبضتهم على قلعة هرمز التي أصبحت مركزاً لحكمهم في الخليج العربي، ولم يكن في وسع القوى المحلية خلال القرن السادس عشر طردهم منها لعدم قدرتها على تحدي القوة البحرية البرتغالية[1]. واضطر الشاه إسماعيل الأول للتحالف مع البرتغاليين والتنازل لهم عن جزيرة هرمز وميناء جمبرون الذي استخدمه البرتغاليون مرفأ لسفنهم الحربية الكبيرة التي لا تستطيع سواحل جزيرة هرمز استقبالها. وأقام البرتغاليون في جمبرون قلعة واتخذوا منها قاعدة بحرية ضمت حوالي ثلاثين سفينة لحماية القلعة وتحصيل الرسوم الجمركية من السفن والبضائع غير البرتغالية.

وتمكن الشاه عباس الأول من طرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٠٢ وفرض الحصار على ميناء جمبرون في عام ١٦٠٣ ثم رفعه استجابة لطلب السفير الاسباني أنطونيو دي جوفيا رغبة منه في الحصول على المساعدة الاسبانية له في صراعه ضد العثمانيين، ولكنه لم يظفر منها بشيء. ولذلك أعد حاكم شيراز الله وردي خان حملة بقيادة ابنه إمام قولي خان للاستيلاء على جمبرون وطرد البرتغاليين منها ولكن الحملة فشلت. وبعد وفاة الله وردي خان تمكن ابنه إمام قولي خان من طرد البرتغاليين من جمبرون وهدم قلعتهم فيها

(١) جون. ب. كيلي: بريطانيا والخليج، ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠. ترجمة محمد أمين عبدالله. (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٨.

وبنى مكانها قلعة فارسية في عام ١٦١٤، وأقام ميناء آخر قريباً من الميناء السابق[١]، مما أدى إلى تدهور العلاقات الصفوية ـ البرتغالية.

وبعد أن عقد الشاه عباس الأول معاهدة سراو مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨ تفرغ لطرد البرتغاليين من هرمز، وعندما رفض البرتغاليون دفع الجزية التي سبق لملوك هرمز دفعها إلى حكام فارس اتخذ من ذلك ذريعة لطردهم من جزيرة هرمز وضغط على الشركة الانكليزية للحصول على مساعدتها العسكرية بعد أن هددها بالغاء الامتيازات الممنوحة لها في بلاده إذا لم تقم بمساعدته[٢]. وهكذا نجح الشاه عباس في طرد البرتغاليين من هرمز في نيسان ١٦٢٢. وعندما حاول البرتغاليون في عام ١٦٢٥ استعادة هرمز تصدى لهم اسطول هولندي انكليزي مشترك وفشلت محاولاتهم اللاحقة فانصرفوا إلى إقامة الحصون القوية في مسقط، لتعزيز مركزهم العسكري والتجاري في منطقة الخليج العربي.

---

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960). p. 174; Nyrop, Richard F. (Editor) Iran A Country Study. (? 1978) p. 43.

العلاقات الصفوية ـ الاسبانية

أصبحت المصالح البرتغالية في الشرق تابعة لاسبانيا بعد ضم البرتغال اليها في عام ١٥٨٠، ووصلت إلى اصفهان في عام ١٥٩٨ بعثة اسبانية ضمت راهبين يمثلان الطائفتين الكاثوليكيتين الفرنسيسكان والدومنيكان للطلب من الشاه عباس الأول ليسمح لمسيحيي فارس بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبناء الكنائس ورد الشاه عباس على البعثة الاسبانية فأرسل أنطوني شيرلي وحسين علي بك بيات إلى مدريد في ٩ حزيران ١٥٩٩ وسلكت البعثة الصفوية طريق مازندران ثم روسيا ومنها إلى وسط اوربا. وفي روما حدث خلاف بين مسئولي البعثة فقطع أنطوني شيرلي صلته بالشاه عباس وتوجه حسين علي بك بيات إلى اسبانيا فوصلها في عام ١٦٠١ وأقام فيها شهرين اعتنق خلالهما ثلاثة من مرافقيه المسيحية وقتل إمام البعثة على يد متعصب ولم يتمكن حسين علي بك بيات من زيارة انكلترا وغيرها وعاد دون تحقيق شيء من الأهداف التي سافر لأجلها وتمثلت في عقد المعاهدات مع ملوك أوربا لمحاربة العثمانيين وتسويق الحرير الفارسي في الأقطار الأوربية[1].

وخلال الفترة (١٦٠٢ ـ ١٦١٣) قام السفير الاسباني أنطونيو دي جوفيا بزيارة فارس ثلاث مرات مبعوثاً من الملك الاسباني فيليب الثالث (١٥٩٨ ـ ١٦٢١) وجاء معه في الزيارة الأولى في عام ١٦٠٢ بعدد كبير من المبشرين الاسبان واستقبله الشاه عباس الأول في مشهد، وأعلن الوفد الاسباني رغبة الملك فيليب الثالث اعادة البحرين إلى السيادة الاسبانية ورفع الحصار

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

الصفوي عن جمبرون والسماح للمبشرين الاسبان بحرية العمل في الاراضي الفارسية والتصريح لهم ببناء كنيسة لممارسة شعائرهم الدينية[1]. ورفض الشاه عباس إعادة البحرين، واكتفى برفع الحصار عن جمبرون وساوم الوفد الاسباني في مسألة بناء الكنيسة وربط ذلك بتقديم إسبانيا مساعدتها العسكرية له ضد الدولة العثمانية.

وانشغل الشاه عباس في مشاكله الداخلية فلم يرد على سفارة أنطونيو دي جوفيا الأولى إلا في عام ١٦٠٨. وبعد اشتداد الحرب في منطقة أذربيجان أرسل روبرت شيرلي إلى اسبانيا فوصلها في عام ١٦١٠، وسلم رسالتين دعا الشاه عباس الأول فيهما الملك فيليب الثالث للتعاون معه ضد العدو العثماني المشترك. وعرض عليه تحويل تجارة الحرير الفارسي عن الأراضي العثمانية إلى أي ميناء على الساحل الفارسي في الخليج العربي وفي مقابل ذلك وعد الشاه عباس بمنح رعايا اسبانيا والبرتغال تسهيلات تجارية ولكن فيليب الثالث قابل المشروع بفتور[2] واكتفى بالوعد بحثّ البابا وملوك اوربا الآخرين على شنّ الحرب ضد الدولة العثمانية، كما وعد بارسال السفن الحربية الاسبانية والبرتغالية لاغلاق مدخل البحر الأحمر أمام التجارة العثمانية مع الهند.

وقام أنطونيو دي جوفيا بزيارته الثانية إلى فارس في عام ١٦٠٨ لمطالبة الشاه عباس بإعادة البحرين ومنح الرعايا المسيحيين الحرية لممارسة شعائرهم الدينية في فارس واحتكار التجار الاسبان والبرتغاليين التجارة الفارسية في مقابل المساعدة العسكرية الاسبانية للشاه عباس في حروبه ضد العثمانيين[3].

وأرسل الشاه عباس سفيره دنكيز بك إلى مدريد مع أنطونيو دي جوفيا في عام ١٦١١ لتوثيق العلاقات الصفوية ـ الاسبانية. وبقي دنكيز بك في

---

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي. ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٢٠.
(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

اسبانيا حتى عام ١٦١٢ حيث عاد مع أنطونيو دي جوفيا الذي بدأ زيارته الثالثة والأخيرة لفارس في عام ١٦١٣ بهدف حصول التجار الاسبان على امتياز باحتكار الحرير الفارسي والحصول على تأكيد من الشاه عباس باحترام السيادة البرتغالية على هرمز وقشم وجمبرون وغيرها من المراكز البرتغالية في الخليج العربي. ولكن الشاه عباس استقبل السفير الاسباني بفتور شديد وأمر بقتل دنكيز بك(١) مما أدى إلى خوف أنطونيو دي جوفيا على نفسه فهرب إلى هرمز.

واضطر الشاه عباس بسبب شدة الضغط العسكري العثماني لطلب المساعدة العسكرية من الدول الأوربية فأرسل روبرت شيرلي مرة أخرى إلى اسبانيا في تشرين الأول ١٦١٥ فوصلها في عام ١٦١٧ وبقي فيها حتى عام ١٦٢٢. ولكن المفاوضات التي أجراها مع الملك الاسباني لم تسفر عن نتيجة ايجابية بسبب استمرار العمليات الحربية في الخليج العربي بين الصفويين والبرتغاليين من ناحية وبسبب تشدد الشاه عباس في موقفه مع اسبانيا بعد توقيعه معاهدة سراو مع الدولة العثمانية وتوثيق صلاته التجارية مع الانكليز ليضمن تعاونهم ضد البرتغاليين من ناحية أخرى. وقد ساعدت الهزائم التي لحقت بالقوات البرتغالية في الهند - خلال الفترة (١٦١٢ - ١٦١٥) الشاه عباس على التفرغ للعمل في المناطق الجنوبية من بلاده ضد البرتغاليين.

واقترح الشاه عباس الأول على الملك فيليب الثالث أن يرسل إليه سفيراً من غير رجال الدين للتفاوض معه واستجاب الملك الاسباني لذلك وأرسل دون جارسيا دي سيلفا فيجورا على رأس وفد كبير مع هدايا

(١) أما الاتهامات التي أدت إلى إعدام دنكيزبك، فهي فضه رسالة الشاه عباس إلى فيليب الثالث بناء على طلب الوكيل الإسباني في جاوه وارتداء ملابس الحداد بدلاً من الملابس الفارسية الرسمية بمناسبة وفاة ملكة اسبانيا وبيعه رسالة الشاه عباس إلى البابا لبعض التجار وأساءة معاملة مرافقيه الفرس مما أدى إلى اعتناق بعضهم المسيحية والبقاء في اسبانيا بدل العودة إلى بلادهم. أنظر. بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٢.

ثمينة[1]. فوصل اصفهان في عام ١٦١٨ وحث الشاه عباس على إعادة البحرين وجمبرون والسماح للرعايا المسيحيين بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنح التجار الاسبان والبرتغاليين امتيازات تجارية في فارس وابعاد الانكليز عنها وفي مقابل ذلك كرر الوعود الأسبانية بالمساعدة العسكرية ضد العثمانيين، وكان رد الشاه عباس عنيفاً، فقد رفض الحديث عن البحرين وجمبرون وأعلن عن رغبته في بيع الحرير الفارسي لمن يدفع ثمناً أكثر وأنه حر في اختيار الأصدقاء[2] حيث لم تعد الدولة الصفوية بحاجة إلى المساعدة العسكرية من اسبانيا بعد عقد الصلح مع الدولة العثمانية في عام ١٦١٨.

بعد فشل بعثة دون جارسيا أرسل فيليب الثالث رسالة إلى الشاه عباس الأول تحدث فيها عن ضرورة إعادة البحرين وميناء جمبرون للسيادة الاسبانية وحذر الشاه عباس من التعرض لجزيرتي قشم وهرمز، وهدد بقطع العلاقات بين اسبانيا وفارس مما أغضب الشاه عباس فمزّق الرسالة من شدة تأثره وأقسم على استرداد هرمز وطرد القوات البرتغالية منها، ولاظهار احتقاره للانذار الاسباني أصدر أمره بمنح الانكليز تجارة الحرير في بلاده[3]. ولذلك أرسل فيليب الثالث في عام ١٦٢٠ إلى السلطات البرتغالية في هرمز لإعلان الحرب على الدولة الصفوية إذا لم تتخل عن الأماكن التي احتلتها في منطقة الخليج العربي.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٠.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٣) Wright, Arnold. Early English Adventures in the East. (London (1917) p. 247.

العلاقات الصفوية ـ الانكليزية

أرسلت ملكة انكلترا اليزابت الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) أنطوني جنكنسون إلى بلاط الشاه طهماسب الذي استقبله بفتور، ولم يحقق جنكنسون نتيجة ملموسة من رحلته إلى فارس. وأدرك الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) أن استمرار الحرب ضد الدولة العثمانية يحتّم عليه التعاون مع أعدائها الأوربيين، ولذلك تضمنت سفارات الشاه عباس إلى ملوك وأمراء أوربا التأكيد على التحالف ضد العدو العثماني المشترك. وليضمن الشاه عباس وقوف أوربا إلى جانبه حرص على توفير الأمن والحرية للرعايا الأوربيين في بلاده.

وعندما بدأ الصراع الصفوي ـ البرتغالي باستيلاء الصفويين على البحرين في مطلع القرن السابع عشر، أدرك الشاه عباس حاجته الماسة إلى التحالف مع أسطول أوربي لطرد البرتغاليين من هرمز بعد احتلال دام أكثر من قرن، ولذلك كان على وعي تام بأهمية الصداقة مع الانكليز بعد أن برهنوا على قوتهم البحرية في المحيط الهندي وألحقوا الهزيمة بالبرتغاليين.

ولذلك شجع الشاه عباس الشركة الانكليزية على التجارة مع بلاده ومنحها امتيازات وتسهيلات تجارية منها احتكار تصدير الحرير من الموانئ الفارسية[١] وإقامة وكالة تجارية لها في جاسك على الساحل الفارسي في خليج

---

(١) Kelly, J.B. Britain and The Persian Gulf. 1795-1880. (Oxford 1968) p. 2; Bennett, Thomas Jewell. The Past and Present Connection of England with the Persian Gulf. (Journal of the Society of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) p. 637.

عمان لرغبتها في تجنب سفنها المرور بمضيق هرمز الذي يسيطر البرتغاليون عليه. وكان هدف الشاه عباس من التعاون مع الشركة الانكليزية توريطها في حرب ضد البرتغاليين (١) الذين حرصوا على عدم السماح لها بالظهور في منطقة الخليج العربي حتى عام ١٦١٥ حيث كان نشاطها محصوراً في الهند، بعد أن أقامت وكالة تجارية لها في سورات في عام١٦١٢ ثم وسعت نطاق تجارتها لتكدس الأقمشة الصوفية الانكليزية في ميناء سورات في عام ١٦١٥ مما حتم عليها البحث عن أسواق أخرى لتصريف بضائعها التي عجزت أسواق الهند عن استيعابها فعثرت على الأسواق الفارسية.

وأدت المنافسة البرتغالية الشديدة للانكليز إلى توثيق التحالف بين الشركة الانكليزية والشاه عباس الأول، ورحبت وكالة الشركة في سورات بالتبادل التجاري مع فارس وما يتبع ذلك من فوائد اقتصادية. وبعد دراسة الشركة لوضعها الاقتصادي وحاجتها الملحة إلى أسواق جديدة لبيع أقمشتها الصوفية، والحرب الصفوية - العثمانية وسفارة روبرت شيرلي إلى اسبانيا، قررت التعاون مع السلطات الفارسية باعتبارها أقوى تنظيم سياسي في منطقة الخليج العربي في الربع الأول من القرن السابع عشر، ولذلك أرسلت آحد موظفيها كونوك الى الشاه عباس ليحصل منه على فرمان لتسهيل تفريغ البضائع الانكليزية في الموانئ الفارسية ومنح الرعايا الانكليز حرية التجارة التامة (٢).

وبدأت الشركة الانكليزية تجارتها مع فارس بارسال السفينة جيمس إلى ميناء جاسك التي اختارها الانكليز لبعدها عن البرتغاليين المسيطرين على هرمز آنذاك ثم تمكنت خلال فترة وجيزة من إقامة محطات تجارية في شيراز

---

(١) Wright, Arnold. Op. Cit. p. 246.

(٢) A Commission or Instruction for Edward Connock, Chief, Tho. Barker, George Pley, Edward. Pettus, Wm. Tracy, and Mathew Pepwell in the Voyage Intended for Persia. (Letters Received By the East India Company. Vol. IV. 1616. Edited By William Foster. London 1900). pp. 220-221.
وانظر أيضاً، محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي. ١٥٠٧ - ١٦٥٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثاني شباط ١٩٦٠، ص ٢٣٢ - ٢٥٦) ص ٢٤١.

واصفهان وجمبرون. وغدت الأخيرة المركز التجاري الرئيسي لنشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي اعتباراً من عام ١٦٢٣. وتعود أهمية ميناء جمبرون إلى اتصاله بالطرق البرية مع شيراز وغيرها من المناطق الداخلية في فارس. ولذلك أقام الانكليز والهولنديون والفرنسيون وكالاتهم التجارية فيه(١). وبرهنت الشحنات التجارية الأولى التي أرسلتها الشركة الانكليزية إلى منطقة الخليج العربي وفارس على أهمية الأسواق فيها لاستيعاب البضائع الانكليزية الفائضة في الهند ومقايضتها بالحرير الفارسي.

وعندما وجد الشاه عباس أن في وسعه طرد البرتغاليين من هرمز بمساعدة الاسطول الانكليزي، عهد الى حاكم شيراز إمام قولي خان بالتفاوض مع وكلاء الشركة للقيام بهجوم فارسي - انكليزي مشترك(٢) للاستيلاء على هرمز فتم ذلك في نيسان ١٦٢٢. ولكن الشركة الانكليزية اتهمت الشاه عباس بعدم التقيد بالشروط التي تم الاتفاق عليها قبل الاستيلاء على هرمز ولذلك رفضت الاستجابة لرغبته الملحة والمتكررة وضنت عليه بالمساعدة العسكرية ضد البرتغاليين في مسقط وغيرها من موانئ الخليج العربي. ومن الامثلة على ذلك:

أ - عندما فرض الشاه عباس الحصار على البصرة (١٦٢٤-١٦٢٥)، استنجد والي البصرة العثماني علي باشا أفراسياب بقائد الاسطول البرتغالي في مسقط الذي استجاب لطلب المساعدة ووقف الى جانب العثمانيين ضد

---

(١) Sykes, P.M. A History of Persia. Vol. II (London 1915) pp. 273-274.
وانظر أيضاً، بنلوب طوسون: المصادر الارشيفية للدراسات العربية ودراسات الخليج في سجلات وزارة الهند (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٤، نسيان ١٩٧٨) ص ٩٧ وأداموف: القنصلية الروسية العامة في تبريز ١٩٠٢. ترجمة نوري عبد البخيت بعنوان التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (مجلة الخليج العربي. البصرة، العدد ٩ لعام ١٩٧٨) ص ١١٠.

(٢) Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal of The Bombay Branch of The Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914). p. 40; Amin, Abdul Amir. British Interests in the Persian Gulf. (Leiden 1967) pp. 6-7.

الصفويين وأرسل الى باشا البصرة أسطولاً ضم خمس سفن حربية[١]. مما حصل قائد الحملة الفارسية إمام قولي خان على طلب المساعدة من الانكليز الذين رفضوا الاستجابة لأسباب تتعلق بالامتيازات العثمانية للشركة التركية «الليفانت» وعندما بيّن حاكم جمبرون لوكيل الشركة الانكليزية فيها أن المساعدة البحرية المطلوبة ليست ضد العثمانيين وانما ضد السفن الحربية البرتغالية الموجودة في جهات البصرة[٢] وأن كل ما يطلبه المسؤولون الفرس من الشركة الانكليزية ارسال اثني عشر بحاراً انكليزياً مع سفنهم الى ميناء البصرة في مقابل دفع نفقاتها ولكن «ويدال» قائد الاسطول الانكليزي في الخليج رفض التعاون مع السلطات الفارسية وفقاً لاتفاقية الاستيلاء على هرمز.

ب ـ عندما اشتد التهديد البرتغالي للموانئ الفارسية في عام ١٦٢٥ وكان البرتغاليون قد ركزوا عملياتهم العسكرية ضد السواحل الفارسية معتمدين على قلعتهم الحصينة في مسقط طلب حاكم جمبرون بقاء الأسطول الانكليزي لتأمين التجارة في الخليج العربي من الخطر البرتغالي وفقاً للاتفاق الفارسي ـ الانكليزي في ١٦٢٢، فأجابه وكيل الشركة الانكليزية في جمبرون بأن السلطات الفارسية قد أخفقت في تنفيذ بنود المعاهدة بعد الاستيلاء على هرمز مباشرة وعندئذ لجأ حاكم جمبرون الى تهديد الانكليز بمساواة الهولنديين معهم في مجال الامتيازات والتسهيلات التجارية اذا هم رفضوا ابقاء اسطولهم في الخليج العربي لابعاد سطوة القوة البرتغالية عن الموانئ الفارسية. ولما رفض الهولنديون ابقاء سفنهم مدة أطول مما هو مقرر لها، اضطر حاكم جمبرون الى عرض مبلغ خمسمئة تومان في الشهر على الشركة الانكليزية في

---

(١) Minutes of A Court To Consider of The Persian Trade. No. 24, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) p. 450; Longrigg, Stephn Hemsley. Op. Cit. p.105.

(٢) Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker, And John Benthall, Factors of Long Residence in Those Parts. Jan. 1 to Feb 10, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp. 2-3.

مقابل ابقاء اسطولها ولكنها رفضت العرض الفارسي[1].

جـ ـ تقدمت السلطات الفارسية بطلبات متكررة الى الشركة الإنكليزية للحصول على مساعدتها العسكرية البحرية للاستيلاء على مسقط وطرد البرتغاليين منها، ولجأ المسؤولون الفرس إلى إغراء وكلاء الشركة الانكليزية بالفوائد الاقتصادية التي يمكنهم الحصول عليها بعد الاستيلاء على مسقط زيادة على ما حصلوا عليه نتيجة الاستيلاء على هرمز[2].

ولكّن الإنكليز لم يكونوا على استعداد للتحالف مع الصفويين ضد كل أعدائهم، لاسيما وأن لهم مصالح تجارية مزدهرة في الدولة العثمانية، كما فضّل الإنكليز بعد طردهم البرتغاليين من هرمز (١٦٢٢) اقرار الصلح معهم لأن استمرار العمليات الحربية بين الجانبين الإنكليزي والبرتغالي يهدد المصالح الإنكليزية في منطقة الخليج العربي. ولذلك امتنعت الشركة الإنكليزية عن تقديم المساعدة العسكرية ضد البرتغاليين في مسقط مما أدى إلى فتور العلاقات الصفوية ـ الإنكليزية في آخر عهد الشاه عباس الأول.

ومهما يكن من أمر فقد وصلت إلى أصفهان في نيسان ١٦٢٨ بعثة إنكليزية برئاسة السير دود موركتن وبرفقته روبرت شيرلي الذي عاد من إنكلترا. وعرض السير موركتن على الشاه عبّاس خططا إنكليزية لزيادة التبادل التجاري بين الدولتين. ووعد الشاه عبّاس الإنكليز تسليمهم سنويا عشرة آلاف بالة من الحرير في ميناء جمبرون. وأصدر الشاه صفي (١٦٢٩ ـ ١٦٤١) فرمانا بدفع ديون الشركة التي استطاعت بالتهديد بالانسحاب من التجارة الفارسية في عام ١٦٣٩ الحصول على أمر من الشاه صفي بتسليمها ٢٦٥ بالة من الحرير بالإضافة الى عائداتها المتأخرة من نصيبها في الرسوم

---

(١) Consultations Held While Captain Weddell's Fleet Was At Gombroon. Jan. 1- Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) pp. 42-43, 45.

(٢) Henry Darrell, Thomas Barker, John Benthall, And Christopher Rosons In Gombroon Road. (The English Factories In India. Vol. II. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) pp. 180-181.

الجمركيه في جمبرون. ورغبت الشركة الإنكليزية في تصفية وكالتها في أصفهان وتركيز نشاطها في جمبرون ولكن المنافسة الهولندية الشديدة لها في العاصمة الصفوية حالت دون تحقيق رغبتها(١).

وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر زادت الاعتداءات البرتغالية على المصالح الفارسية في الخليج العربي مما ادى إلى تودّد السلطات الفارسية للإنكليز. فعرض الوزير الصفوي الأول (اعتماد الدولة) على الشركة الإنكليزية دفع حصتها من العائدات الجمركية في جمبرون بانتظام، ونقل البضائع الفارسية على السفن الإنكليزية في مقابل تعهدها بإرسال سفنها إلى الموانئ الفارسية وتقديم كميات كافية من البضائع الإنكليزية واستمرار التبادل التجاري مع فارس. واهتم مجلس إدارة الشركة الإنكليزية بالتجارة الفارسية فقرر في عام ١٦٨٤ انتداب موظفين من الوكالة الإنكليزية في جمبرون للإقامة في أصفهان للإشراف على مصالح الشركة الإنكليزية فيها وطلب من السلطات الفارسية منح الإنكليز الأفضلية على الهولنديين لتصدير صوف كرمان. ثم أصدرت الشركة الإنكليزية تعليماتها إلى وكلائها في فارس في عام ١٦٨٦ ليحصلوا من الشاه على امتيازات خاصة باحتكار الحرير الفارسي وصوف كرمان لتشجيع التجارة الإنكليزية، واستجاب الشاه لرغبة وكلاء الشركة الإنكليزية فأصدر أمره بحماية التجارة الإنكليزية وتأكيد امتيازاتها في جمبرون رغم دسائس الهولنديين ومكائدهم في بلاط الشاه(٢).

وفي عهد الشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) واجهت الشركة الإنكليزية صعوبة أثناء محاولتها تأكيد امتيازاتها السابقة، لا سيما بعد أن رفضت تقديم مساعدتها العسكرية للاستيلاء على مسقط من العرب، حيث لم يكن في وسع السلطات الفارسية مواجهة النشاط البحري العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر الذي لم يقتصر على مياه الخليج العربي فحسب، بل امتد ليشمل

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٦.
(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ١٠١.

الساحل الشرقي لافريقيه والساحل الغربي للهند. فقد رفضت الشركة الانكليزية التورط في عمل عدائي ضد عرب مسقط لاحترامهم السفن الانكليزية. ولذلك صدر فرمان الشاه حسين في ١٨ حزيران ١٦٩٧ بعد مماطلة السلطات الفارسية والتي استمرت ثلاث سنوات، وكان مماثلا للفرمان الذي منحه الشاه عبّاس الأول في عام ١٦١٧ للشركة الإنكليزية مع إضافة شرط يقضي بأن تدفع الشركة الرسوم المستحقة على صادراتها ووارداتها في الموانئ والأراضي الفارسية كتلك التي تحصلها السلطات العثمانية في حلب وإستنبول(١).

وفي نهاية القرن السابع عشر تعزز مركز الشركة الإنكليزية في فارس عندما قام الشاه حسين بزيارة الوكالة الإنكليزية في أصفهان في ٢٣ تموز ١٦٩٩. ورغم إنفاقها مبلغ «١٢٠٠» جنيه استرليني على هذه الزيارة فقد منحها الشاه حسين امتيازات جديدة وأمر بدفع جزء من عائداتها المتأخرة(٢) والمستحقة لها في ميناء جمبرون ووعد بدفع الباقي في المستقبل.

وفيما يلي لمحة عن ميناءي جاسك وجمبرون لأهميتهما التجارية في العلاقات الصفوّية ـ الإنكليزية.

أ ـ جاسك

تقع جاسك في أقصى الركن الجنوبي الغربي الفارسي على خليج عمان، وتبتعد حوالي ١٥٠ ميلا إلى الشرق من مسقط وتبتعد حوالي ٤٠ فرسخا (٩٠ كيلومترا) عن هرمز وتبتعد عن أصفهان حوالي ١٠٠٠ ميل وعن ميناء سورات في الهند مسافة ٢٧ يوما. وتشتهر بصخورها الموجودة في جهتها الشمالية على بعد أميال قليلة من الساحل(٣). وهي في وسط صحراء رملية منخفضة فيها

---

(١) المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٤.

(٣) Miles, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf. (?1966) p. 185; Surat, Aug. 19, 1614 (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 316-317; McCluer, John. An Account of The Navigation Between India And The Gulph of Persia. (London 1786) p. 14, 16.

بضع شجيرات. ووصفها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر بأنها «مرسى وبه ناس من العرب صيادي السمك وعندهم شجر الكندر بكثرة ومنه يستخرج صمغ اللبان ولا معيشة لأهل ذلك المرسى إلا من صيد السمك»[١] أ. هـ.

وكان ريتشارد ستيل قد اقترح جاسك على الشركة الإنكليزية في سورات كميناء مناسب للتجارة الإنكليزية وحصل وكيل الشركة في أصفهان على موافقة الشاه عبّاس وأشاد الإنكليز بلطف السكان وبتوفر المواد الغذائية والتوابل فيها[٢].

ثم زهدت الشركة الإنكليزية فيها بعد إقامة دامت حوالي سبع سنوات (١٦١٦ - ١٦٢٣) لبعدها عن أصفهان ولأن نقل البضائع اليها مكلف من ناحية، ولعدم وجود موانع طبيعية تحيط بها مما يشكل خطورة عليها من اعتداءات البرتغاليين من ناحية أخرى[٣].

ب - جمبرون:

تقع جمبرون على أرض مستوية بالقرب من مياه الخليج العربي حيث تبتعد التلال عن البحر حوالي ١٥ ميلا، وتبتعد جمبرون عن جزيرة هرمز ثلاثة فراسخ وعن جزيرة قشم أربعة فراسخ وتحتوي على آثار قليلة وآشتهرت رغم موقعها التجاري المهم بعدم ملائمتها لاقامة الاوروبيين وبخاصة في فصل الصيف. ولذلك كان الحاكم والشاهبندر والتجار يتركونها في فصل الصيف ويتجهون نحو الداخل وعندئذ لا يبقى فيها سوى الصيادين الفقراء. ومن يبقى فيها من الاوروبيين يكون عرضة للموت[٤]. وكان البرتغاليون قد

(١) شاكر خصباك: أبن بطوطة ورحلته (النجف، ١٩٧١) ص ٧٢.

(٢) Miles, S.B. Op. Cit. p. 185; Capt. Nich. Downton to Sir Robt. Sherley, In Persia. Nov.? 1614; George Pley to Robt. Middleton And Robt. Bateman, London. Dec. 30, 1616 (Colonial Papers. Vol.I. 1513-1616) pp. 345-346, 486-487.

(٣) Thos. Kerridge To The East India Company. Ajmere, March 20, 1615 (Colonial Papers. Vol. I) p. 396.

(٤) Foster, Sir William - Editor - Thomas Herbert, Travels In Persia. 1627-1629. (New York 1929) pp. 42-43; Hamilton, Alexander. A New Account Of The =

استولوا على قرية جمبرون الصغيرة في الربع الأول من القرن السادس عشر بعد احتلالهم هرمز ورغبت الشركة الإنكليزية في الانتقال اليها في عام ١٦١٨ بدلا من جاسك لأنها أكثر ملائمة لمصالحهم التجارية ولأنها مأهولة بالسكان وعامرة بالتجارة وفيها قلعة قوية لحماية الميناء(١).

وبعد أن قرر الشاه عبّاس الأول هجر جزيرة هرمز بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٢٢ وإحلال جمبرون مكانها أعيدت تسمية جمبرون فاصبحت تعرف باسم «بندر عباس»(٢). ومنح الشاه عباس الشركة الإنكليزية تصريحاً باقامة وكالة تجارية في جمبرون ووصف الرحّالة بيدرو ديلا فالا في ١٥ كانون الثاني ١٦٢٣ جمبرون بأنها «مكان واسع على ساحل البحر مأهول بالسكان ومكتظ بكل الطوائف والجنسيات ويأتيها التجار من كل الجهات حيث يمارسون شعائرهم الدينية بحرية ويجدون كل التسهيلات»(٣) وبذلك استمدت جمبرون شهرتها من سقوط هرمز وأصبحت بعد عام ١٦٢٢ من أفضل المدن الفارسية بعد أن هاجر معظم سكان هرمز اليها وازدانت بالمباني الفخمة وآستفادت من الرسوم الجمركية ومن المبالغ التي ينفقها التجار فيها من مختلف الأقطار والجنسيات، وهكذا تحولت جمبرون من قرية صغيرة إلى مدينة ذات تجارة مزدهرة.

East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of The World. Digested By John Pinkerton. Vol. VIII. London 1811). pp. 295-297; Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634. p. 196.

(١) Account of the Voyage of The Expedition From Surat To Jask And Back, By John Rewe. (The English Factories In India. Vol. I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906). pp. 45-46.

(٢) Sherley, Sir Antony. His Relation Of His Travels Into Persia. (London 1613) p. 13, 15.

(٣) Foster, Sir William. - Editor - Op. Cit. p. 43.

العلاقات الصفوية - الهولندية

إستقرت شركة الهند الشرقية الهولندية في جمبرون «بندر عبّاس» في عام ١٦٢٣، وحرص الشاه عبّاس الأول على إثارة المنافسة التجارية بينها وبين شركة الهند الشرقية الإنكليزية بغية رفع أسعار الحرير الفارسي، وتحقيق مكاسب اقتصادية من الشركات الأوروبية المتنافسة، وفي عام ١٦٢٤ أرسلت الشركة الهولندية بعثة تجارية الى أصفهان نجحت في عقد اتفاقية مع الشاه عبّاس تضمنت السماح للهولنديين بإقامة الكنائس وأماكن العبادة الخاصة بالهولنديين. وحاول الشاه عبّاس الحصول على المساعدة الهولندية ضد القوات البرتغالية في مسقط، ولذلك أرسل سفارة الى هولندا بهدف قطع الصلات التجارية والسياسية بين هولندا والدولة العثمانية، ومشاركة الاسطول الهولندي في الخليج العربي في طرد البرتغاليين من مسقط وغيرها من موانئ الخليج العربي. ولم تحصل السفارة الفارسية على نتيجة ملموسة وآكتفت السلطات الهولندية بتقديم الوعود للشاه عبّاس للحفاظ على مصالحها التجارية التي حصلت عليها في فارس، ووصل المبعوث الهولندي إلى أصفهان في آذار ١٦٢٩ وبعد وفاة الشاه عبّاس ردا على سفارته السابقة إلى هولندا.

ومهما يكن من أمر فقد تمكنت الشركة الهولندية خلال فترة قصيرة من توطيد نفوذها التجاري[١] في الأراضي الفارسية؛ فأقامت ثلاث وكالات تجارية لها في أصفهان وجمبرون ولار. وكانت وكالتها في أصفهان المركز

---

(١) Birdwood, Sir George. Report On The Old Records Of India Office. (London 1891). p. 185.

الرئيسي للتجارة الهولندية من البضائع الشرقية والأوروبية وإعادة شحنها بالبضائع الفارسية التي ضمت الحرير والسجاد والمخمل والمسكوكات الذهبية[1]. أما وكالتها في لار فكانت محطة لاستراحة القوافل التي تنقل البضائع الهولندية التي شملت الأصواف والأواني والعطور ومختلف أنواع العقاقير ـ الأدوية ـ من جمبرون إلى أصفهان.

(١) بديع جمعة وأحمد الخولى: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.

العلاقات الصفوية ـ الروسية

أرسل الشاه عبّاس الأول في عام ١٥٨٩ وفدا فارسيا إلى موسكو برئاسة هادي بك وبوداق بك لطلب المساعدة العسكرية من القيصر الروسي ضد العثمانيين وحرضه على احتلال باكو ودربند وغزو أذربيجان وشيروان وبلاد الكرج لإبعاد السيطرة العثمانية عنها. وكان معظم رسل الشاه عبّاس الأول إلى أوروبا يتوجهون إلى موسكو ومنها يتابعون سفرهم إلى العواصم الأوروبية الأخرى[(١)].

وشجع الشاه عبّاس الأول التجار الروس على القدوم إلى بلاده لشراء الحرير الفارسي، ومما ساعد على ازدهار النشاط التجاري بين روسيا وفارس إرسال قسم من البضائع الفارسية إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية لإغلاق الطرق التجارية عبر العراق وبلاد الشام بسبب الحروب الصفوية ـ العثمانية. ولأن الشاه عبّاس كان يسعى خلال الربع الأول من القرن السابع عشر لتدمير الاقتصاد العثماني بمنع تصدير البضائع الفارسية إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية. لذلك فاوض القوزاق في منطقة البحر الأسود والسلطات الروسية لتأمين طريق تجاري آخر للبضائع الفارسية والشرقية عبر استراخان ونهر الفولغا وآركانجل عن طريق البحر الأسود وبولنده[(٢)].

وبعد أن استرد الشاه عبّاس أذربيجان وبلاد الكرج وشيروان زاد حجم التبادل التجاري بين روسيا وفارس بعد أن أصبحت حدودهما مشتركة وتم

---

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٢.

تبادل السفراء بينهما. ولكن العلاقات الودية بين القيصر ميخائيل رومانوف والشاه عبّاس الأول ما لبثت أن فترت بعد أن ضن الشاه بالمساعدة المالية[1] على القيصر اثر الاضطرابات التي حدثت في البلاط الروسي في عام ١٦١٨، مما أدى إلى توقف الاتصالات وتبادل المراسلات حتى وفاة الشاه عباس في كانون الثاني ١٦٢٩.

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

العلاقات الصفوية مع البابا

إهتم البابا بتوثيق علاقاته بالشاه عبّاس لحماية الرعايا المسيحيين في فارس، ولذلك أرسل البابا عدة رسائل للشاه عبّاس حثه فيها على حسن معاملة المسيحيين في بلاده والسماح لهم ببناء الكنائس وإقامة شعائرهم الدينية بحرية وعدم إرغام الذين يدخلون في الدين المسيحي على التخلي عنه في مقابل أن يحظى الرعايا الفرس بمعاملة مماثلة في أوربا . وحرضّه على مواصلة الحرب صد الدولة العثمانية ووعده بتحريض ملوك أوربا للقيام بهجوم مشترك ضدها من الغرب بينما يقوم الشاه عبّاس بهجوم عليها من الشرق، بعد تزويد الجيش الصفوي بالمهندسين والخبراء العسكريين الأوربيين وأعرب عن رغبته في تبادل السفراء بين روما وأصفهان(١) .

---

(١) بديع محمد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

تقويم القرنين الحادي عشر
والثاني عشر الهجريين

بالتاريخين
الهجري والميلادي

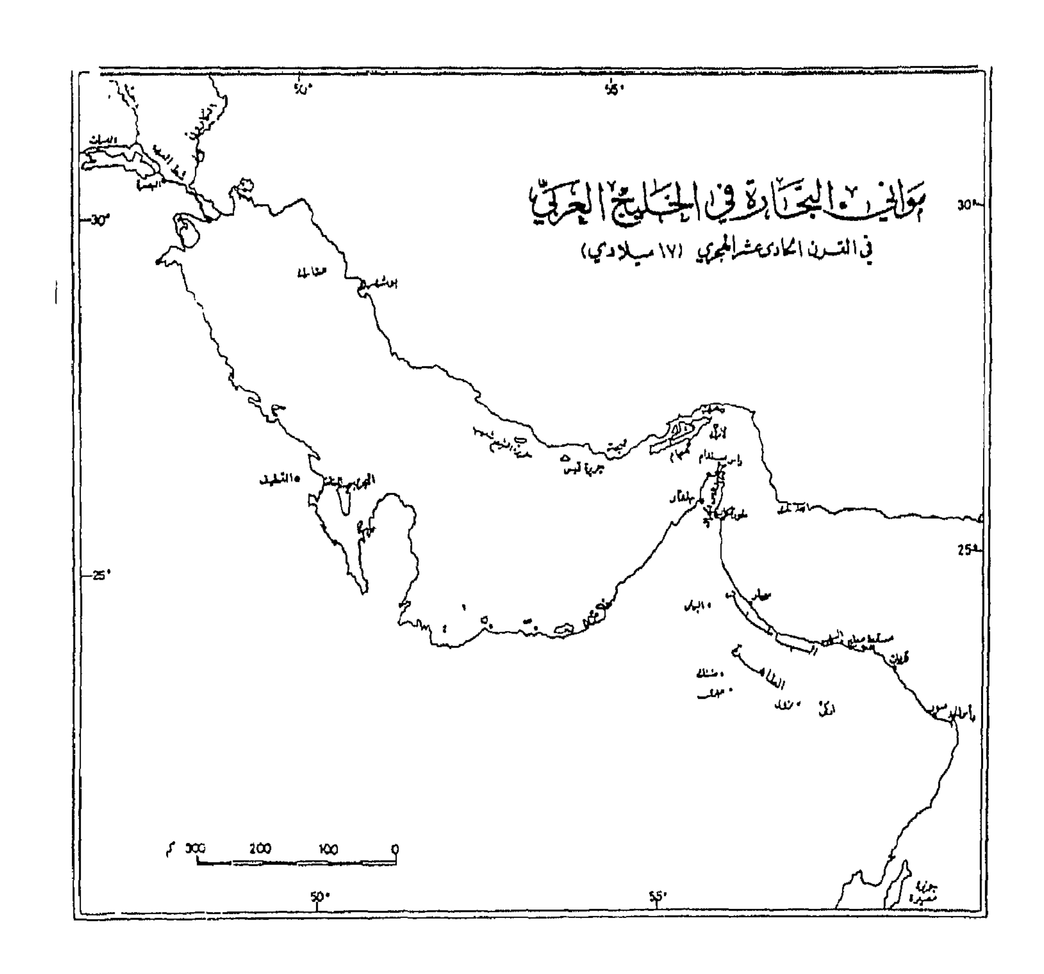
القرن الحادي عشر الهجري

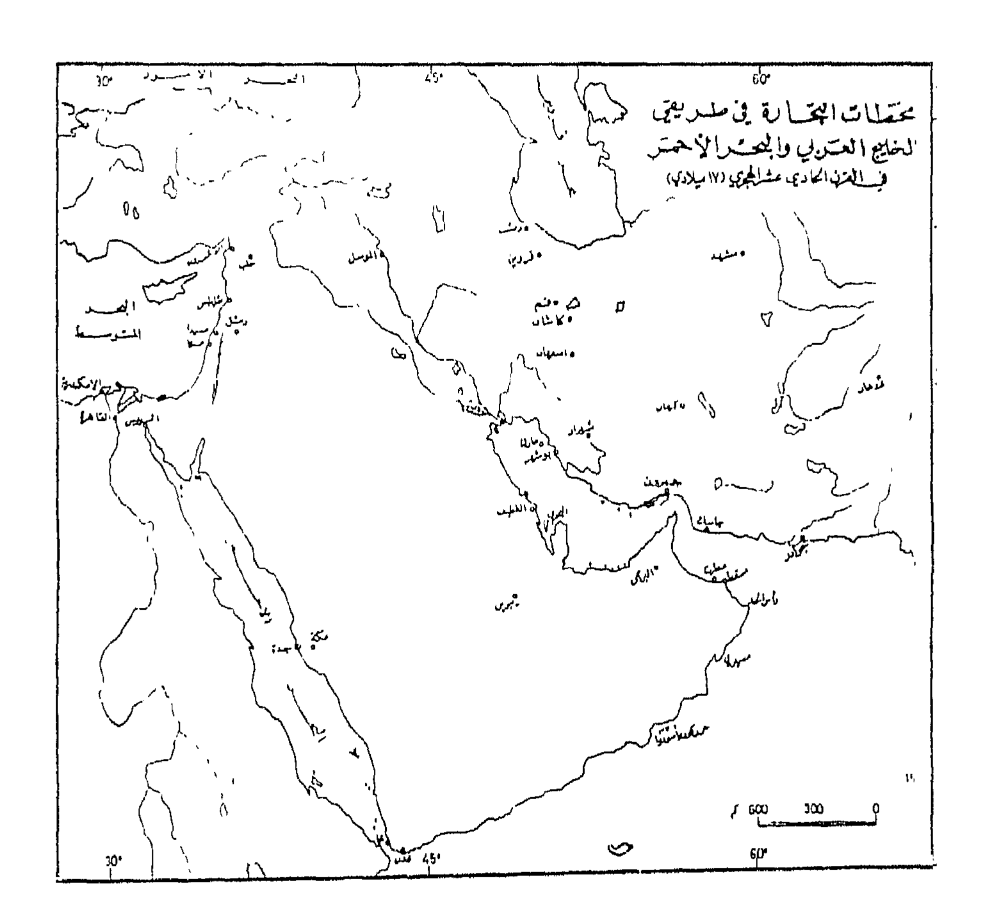
س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م
١٠٠١	١٠-٨	١٥٩٢	١٠١١	٦-٢١	١٦٠٢	١٠٢١	٣-٤	١٦١٢	١٠٣١	١١-١٦	١٦٢١	١٠٤١	٧-٣٠	١٦٣١	١٠٥١	٤-١٤	١٦٤١	١٠٦١	١٢-٢٥	١٦٥٠	١٠٧١	٩-٦	١٦٦٠	١٠٨١	٥-٢١	١٦٧٠	١٠٩١	٢-٢	١٦٨٠
١٠٠٢	٩-٢٧	١٥٩٣	١٠١٢	٦-١١	١٦٠٣	١٠٢٢	٢-٢١	١٦١٣	١٠٣٢	١١-٥	١٦٢٢	١٠٤٢	٧-١٩	١٦٣٢	١ ٥٢	٤-١	١٦٤٢	١٠٦٢	١٢-١٤	١٦٥١	١٠٧٢	٨-٢٧	١٦٦١	١٠٨٢	٥-١٠	١٦٧١	١٠٩٢	١-٢١	١٦٨١
١٠٠٣	٩-١٦	١٥٩٤	١٠١٣	٥-٣٠	١٦٠٤	١٠٢٣	٢-١١	١٦١٤	١٠٣٣	١٠-٢٥	١٦٢٣	١٠٤٣	٧-٨	١٦٣٣	١٠٥٣	٣-٢٢	١٦٤٣	١٠٦٣	١٢-٢	١٦٥٢	١٠٧٣	٨-١٦	١٦٦٢	١٠٨٣	٤-٢٩	١٦٧٢	١٠٩٣	١-١٠	١٦٨٢
١٠٠٤	٩-٦	١٥٩٥	١٠١٤	٥-١٩	١٦٠٥	١٠٢٤	١-٣١	١٦١٥	١٠٣٤	١٠-١٤	١٦٢٤	١٠٤٤	٧-٢٧	١٦٣٤	١٠٥٤	٣-١٠	١٦٤٤	١٠٦٤	١١-٢٢	١٦٥٣	١٠٧٤	٨-٥	١٦٦٣	١٠٨٤	٤-١٨	١٦٧٣	١٠٩٤	١٢-٣١	١٦٨٢
١٠٠٥	٨-٢٥	١٥٩٦	١٠١٥	٥-٩	١٦٠٦	١٠٢٥	١-٢٠	١٦١٦	١٠٣٥	١٠-٣	١٦٢٥	١٠٤٥	٦-١٧	١٦٣٥	١٠٥٥	٢-٢٧	١٦٤٥	١٠٦٥	١١-١١	١٦٥٤	١٠٧٥	٧-٢٥	١٦٦٤	١٠٨٥	٤-٧	١٦٧٤	١٠٩٥	١٢-٢٠	١٦٨٣
١٠٠٦	٨-١٤	١٥٩٧	١٠١٦	٤-٢٨	١٦٠٧	١٠٢٦	١-٩	١٦١٧	١٠٣٦	٩-٢٢	١٦٢٦	١٠٤٦	٦-٥	١٦٣٦	١٠٥٦	١٢-١٦	١٦٤٦	١٠٦٦	١٠-٣١	١٦٥٥	١٠٧٦	٧-١٤	١٦٦٥	١٠٨٦	٣-٢٨	١٦٧٥	١٠٩٦	١٢-٨	١٦٨٤
١٠٠٧	٨-٤	١٥٩٨	١٠١٧	٤-١٧	١٦٠٨	١٠٢٧	١٢-٢٩	١٦١٧	١٠٣٧	٩-١٢	١٦٢٧	١٠٤٧	٥-٢٧	١٦٣٧	١٠٥٧	٢-٦	١٦٤٧	١٠٦٧	١٠-٢٠	١٦٥٦	١٠٧٧	٧-٤	١٦٦٦	١٠٨٧	٣-١٦	١٦٧٦	١٠٩٧	١١-٢٨	١٦٨٥
١٠٠٨	٧-٢٤	١٥٩٩	١٠١٨	٤-٦	١٦٠٩	١٠٢٨	١٢-١٩	١٦١٨	١٠٣٨	٨-٣١	١٦٢٨	١٠٤٨	٥-١٥	١٦٣٧	١٠٥٨	١-٢٧	١٦٤٨	١٠٦٨	١٠-٩	١٦٥٧	١٠٧٨	٦-٢٣	١٦٦٧	١٠٨٨	٣-٦	١٦٧٧	١٠٩٨	١١-١٧	١٦٨٦
١٠٠٩	٧-١٣	١٦٠٠	١٠١٩	٣-٢٦	١٦١٠	١٠٢٩	١٢-٨	١٦١٩	١٠٣٩	٨-٢١	١٦٢٩	١٠٤٩	٥-٤	١٦٣٩	١٠٥٩	١-١٥	١٦٤٩	١٠٦٩	٩-٢٩	١٦٥٨	١٠٧٩	٦-١١	١٦٦٨	١٠٨٩	٢-٢٣	١٦٧٨	١٠٩٩	١١-٧	١٦٨٧
١٠١٠	٧-٢	١٦٠١	١٠٢٠	٣-١٦	١٦١١	١٠٣٠	١١-٢٦	١٦٢٠	١٠٤٠	٨-١٠	١٦٣٠	١٠٥٠	٤-٢٣	١٦٤٠	١٠٦٠	١-٤	١٦٥٠	١٠٧٠	٩-١٨	١٦٥٩	١٠٨٠	٦-١	١٦٦٩	١٠٩٠	٢-١٢	١٦٧٩	١١٠	١٠-٢٦	١٦٨٨

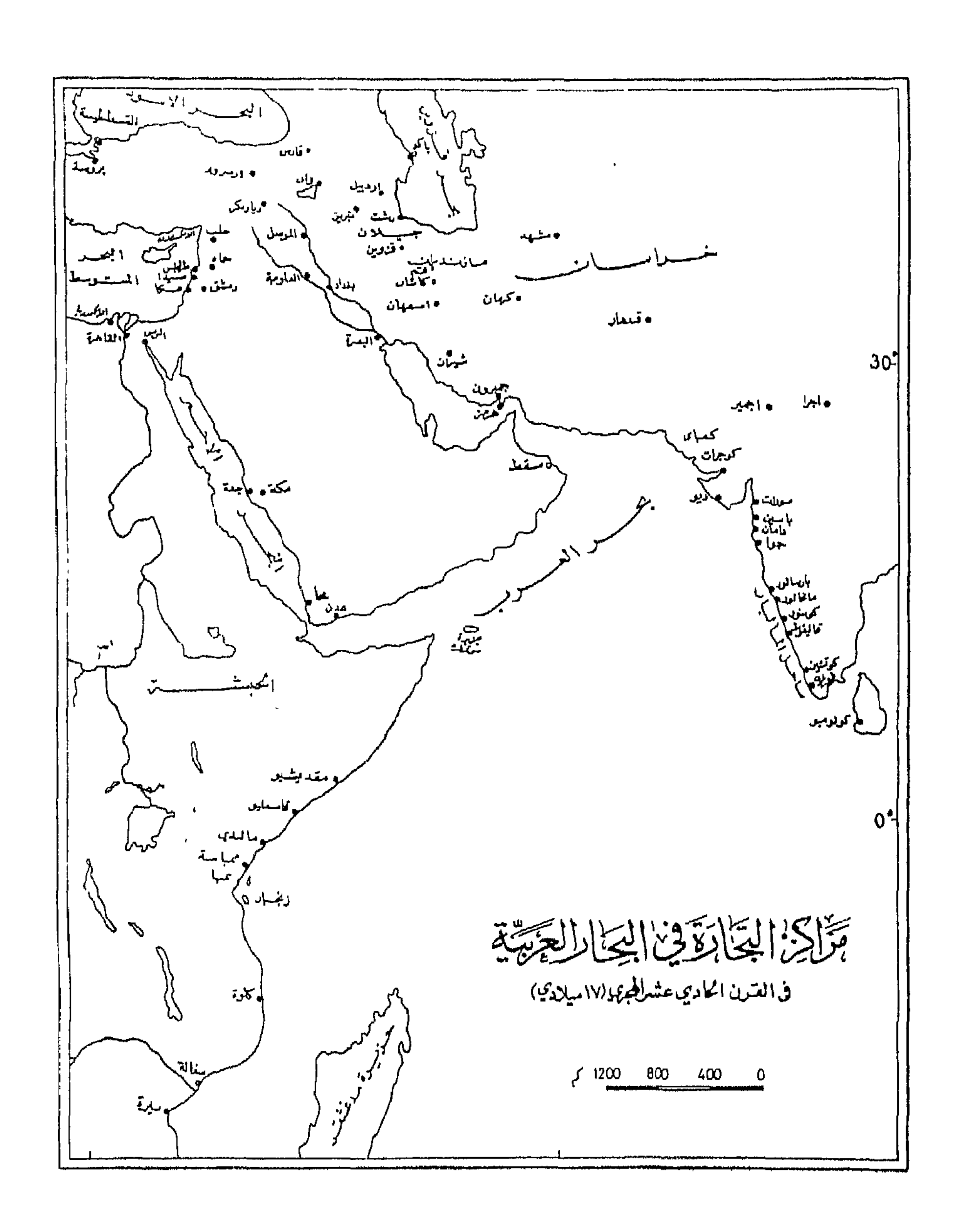
القرن الثاني عشر الهجري

س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م	س هـ	تبدأ يوم-شهر	س م
١١٠١	١٠-١٥	١٦٨٩	١١١١	٦-٢٩	١٦٩٩	١١٢١	٣-١٣	١٧٠٩	١١٣١	١١-٢٤	١٧١٨	١١٤١	٨-٧	١٧٢٨	١١٥١	٤-٢١	١٧٣٨	١١٦١	١-٢	١٧٤٨	١١٧١	٩-١٥	١٧٥٧	١١٨١	٥-٣٠	١٧٦٧	١١٩١	٢-٩	١٧٧٧
١١٠٢	١٠-٥	١٦٩٠	١١١٢	٦-١٨	١٧٠٠	١١٢٢	٣-٢	١٧١٠	١١٣٢	١١-١٤	١٧١٩	١١٤٢	٧-٢٧	١٧٢٩	١١٥٢	٤-١٠	١٧٣٩	١١٦٢	١٢-٢٢	١٧٤٨	١١٧٢	٩-٤	١٧٥٨	١١٨٢	٥-١٨	١٧٦٨	١١٩٢	١-٣٠	١٧٧٨
١٠٠٣	١٠-٥	١٦٩١	١١١٣	٦-٨	١٧٠١	١١٢٣	٢-١٩	١٧١١	١١٣٣	١١-٢	١٧٢٠	١١٤٣	٧-١٧	١٧٣	١١٥٣	٣-٢٩	١٧٤٠	١١٦٣	١٢-١١	١٧٤٩	١١٧٣	٨-٢٥	١٧٥٩	١١٨٣	٥-٧	١٧٦٩	١١٩٣	١-١٩	١٧٧٩
١٠٠٤	٩-٢٤	١٦٩٢	١١١٤	٥-٢٨	١٧٠٢	١١٢٤	٢-٩	١٧١٢	١١٣٤	١٠-٢٢	١٧٢١	١١٤٤	٧-٦	١٧٣١	١١٥٤	٣-١٩	١٧٤١	١١٦٤	١١-٣٠	١٧٥٠	١١٧٤	٨-١٣	١٧٦٠	١١٨٤	٤-٢٧	١٧٧٠	١١٩٤	١-٨	١٧٨٠
١١٠٥	٩-٢	١٦٩٣	١١١٥	٥-١٧	١٧٠٣	١١٢٥	١-٢٨	١٧١٠	١١٣٥	١٠-١٢	١٧٢٢	١١٤٥	٦-٢٤	١٧٣٢	١١٥٥	٣-٨	١٧٤٢	١١٦٥	١١-٢٠	١٧٥١	١١٧٥	٨-٢	١٧٦١	١١٨٥	٤-١٦	١٧٧١	١١٩٥	٢-٢٨	١٧٨٠
١١٠٦	٨-٢٢	١٦٩٤	١١١٦	٥-٦	١٧٠٤	١١٢٦	١-١٧	١٧١٤	١١٣٦	١٠-١	١٧٢٣	١١٤٦	٦-١٤	١٧٣٣	١١٥٦	٢-٢٥	١٧٤٣	١١٦٦	١١-٨	١٧٥٢	١١٧٦	٧-٢٣	١٧٦٢	١١٨٦	٤-٤	١٧٧٢	١١٩٦	١٢-١٧	١٧٨١
١١٠٧	٨-١٢	١٦٩٥	١١١٧	٤-٢٥	١٧٠٥	١١٢٧	١-٧	١٧١٥	١١٣٧	٩-٢٠	١٧٢٤	١١٤٧	٦-٢	١٧٣٤	١١٥٧	٢-١٥	١٧٤٤	١١٦٧	١٠-٢٩	١٧٥٣	١١٧٧	٧-١٢	١٧٦٣	١١٨٧	٣-٢٥	١٧٧٣	١١٩٧	١٢-٧	١٧٨٢
١١٠٨	٧-٣١	١٦٩٦	١١١٨	٤-١٥	١٧٠٦	١١٢٨	١٢-٢٧	١٧١٥	١١٣٨	٩-٩	١٧٢٥	١١٤٨	٥-٢٤	١٧٣٥	١١٥٨	٢-٣	١٧٤٥	١١٦٨	١٠-١٨	١٧٥٤	١١٧٨	٧-١	١٧٦٣	١١٨٨	٣-١٤	١٧٧٤	١١٩٨	١١-٢٦	١٧٨٣
١١٠٩	٧-٢٠	١٦٩٧	١١١٩	٤-٤	١٧٠٧	١١٢٩	١٢-١٦	١٧١٦	١١٣٩	٨-٢٩	١٧٢٦	١١٤٩	٥-١٢	١٧٣٦	١١٥٩	١-٢٤	١٧٤٦	١١٦٩	١٠-٧	١٧٥٥	١١٧٩	٦-٢٠	١٧٦٥	١١٨٩	٣-٤	١٧٧٥	١١٩٩	١١-١٤	١٧٨٤
١١١٠	٧-١٠	١٦٩٨	١١٢٠	٣-٢٣	١٧٠٨	١١٣٠	١٢-٥	١٧١٧	١١٤٠	٨-١٩	١٧٢٧	١١٥٠	٥-١	١٧٣٧	١١٦٠	١-١٣	١٧٤٧	١١٧٠	٩-٢٦	١٧٥٦	١١٨٠	٦-٩	١٧٦٦	١١٩٠	٢-٢١	١٧٧٦	١٢٠٠	١١-٤	١٧٨٥

ملحق : خرائط


موانئ التجارة في الخليج العربي
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
50°
55°
30°
25°
0 100 200 300 كم


محطات التجارة في طريقي
الخليج العربي والبحر الأحمر
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
30°
45°
60°
البحر
المتوسط
حلب
طرابلس
دمشق
الاسكندرية
القاهرة
السويس
رشت
قزوين
قم
كاشان
اصفهان
مشهد
شيراز
بوشهر
جاسك
600
300
0


مراكز التجارة في البحار العربية
في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي)
1200 800 400 0 كم
30°
0°
البحر الأسود
القسطنطينية
بروسة
قارس
أرضروم
دياربكر
أردبيل
تبريز
رشت
جيلان
قزوين
باكو
حلب
حماة
طرابلس
دمشق
البحر المتوسط
الإسكندرية
القاهرة
الموصل
بغداد
البصرة
أصفهان
كاشان
كرمان
مشهد
خراسان
قندهار
شيراز
جمبرون
هرمز
مسقط
مكة
جدة
عدن
بحر العرب
الحبشة
مقديشيو
ماليندي
ممباسة
كلوة
سفالة
أجمير
كمباي
كوجرات
ديو
سورات
دامان
كولومبو

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الانكليزية

IOR: India Office Record, London.

Summary List of India Office Records.

B. Minutes of The Court of Directors and the Court of Proprietors. 1599-1858.

E. East India Company General Correspondence, 1602- 1859.

E/3 Original Correspondence With the East. 1602-1753.

E/4 Correspondence With India 1703-1853.

G. Factory Records 1602-1888.

G/3. Bombay, 1669-1710, 31 Volumes.

G/29. Persia and Persian Gulf. (Basra and Bandar Abbas, 1620,-1822. 39 Volumes.

G/29/1. Factory Records, Early Papers relating to Persia. 1620-1697.

G/29/2. Gombroon diary. Nov. 1, 1708- July 31, 1710.

G/29/2-14. Bandar Abbas Diaries and Consultations Nov. 1, 1708-Feb. 7, 1763.

G/29/15-24. Letters and enclosures, received from Bandar Abbas and Basra, 1704-1811.

G/29/15-17. Letters and enclosures, received from Bandar Abbas. 1704-1763.

G/29/18-24. Letters and enclosures, received from Basra. 1724-1811.

G/36. Surat, 1616-1804. 127 Volumes. Both Bombay and Surat had connections with the Gulf factories.

I. Records relating to European in India Etc. 1425-1824. 214 Volumes.

I/1. The French in India, 1664-1820. 17 Volumes.

I/2. The Dutch In India 1596-1864. 32 Volumes.

I/3. Transcripts and Translations of Dutch and Portuguese Records, 1475-1806. 165 Volumes. The Dutch Collections 1600 - 1700 mainly comprises correspondence with Indonesia.

The Portuguese material 1475-1800 relates principally to Portuguese possessions in India.

I/1/1-17. French in India 1664-1820.

I/2/1-32. The Dutch in India 1596-1824.

I/3/1-106. Transcripts and Transactions of Dutch and Portuguese 1600-1700.

I/3/162-165. Albuquerque's letters. 1507-1515.

L/MAR. Marine Department Records, 1600-1879.

L/P&S. Political and Secret Department Records. 1756-1950.

L/P&S/20. C. 227. Political and Secret Department.

L/P&S/5/277. Secret Letters and Enclosures from India.

P. Proceeings of the Government of India and of the Presidencies and Provinces, 1702-1942.

R/15. Persian Gulf: Residency and Agency Records, 1763-1951. 15326 items.

R/15/1. Persian Gulf, Political Residency. Bushire Records, 1763-1948. 758 Vols./files.

R/15/2. Political Agency, Bahrain.

R/15/3. Political Agents Courts, Bahrain.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1635-1639. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1907.

A Calendar of the Court Minutes Etx. of the East India Company. 1640-1643 by Ethel Bruce Sainsbury with an Introduction and notes by William Foster. Oxford 1909.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of The East India Company.

1644-1649. By Ethel Bruce Sainsbury with an introduction and notes by William Foster. Oxford 1912.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury with an introduction and notes by William Foster. Oxford 1913.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company. 1655-1659. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1916.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company. 1660-1663. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by William Foster. Oxford 1922.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1664-1667. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by Sir William Foster. Oxford 1925.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1668-1670. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by Sir William Foster. Oxford 1929.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1671-1673. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1932

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1674-1676. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1935.

A Calendar of the Court Minutes Etc. of the East India Company 1677-1679. By Ethel Bruce Sainsbury. With an introduction and notes by W.T. Ottewill. Oxford 1938.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Preserved in Her Majesty's Record Office, and elsewhere. Vol. I. 1513/1616. Edited by William Noel Sainsbury. London 1862.

Calendar Of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. II. 1617-1621, edited by William Noel Sainsbury. 4 Vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. III. 1622-1624, edited by William Noel Sainsbury. 4 vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. IV.

1625-1629, edited by William Noel Sainsbury. 4 vols. 1617-1634. London 1870-1892.

Calendar of State Papers, Colonial Series, East Indies. Vol. V. 1630-1634, edited by William Noel Sainsbury. London 1892.

Letters Received by the East India Company from its Servants in the East. Transcribed from the Original Correspondence Series of the India Office Records. Vol. I. 1602-1613. edited with an introduction by Frederick Charles Danvers. London 1896. Amsterdam reprinted 1968.

Letters Received by the East India Company From Its Servants in the East. Vol. II. 1613-1615. With an Introduction by William Foster. London 1897.

Letters Received by the East India Company. Vol.III. 1615. Edited by William Foster. London 1899.

Letters Received by the East India Company. From its Servants in the East. Vol. IV. 1616. Edited by William Foster. London 1900.

Letters Received by the East India Company From its Servants in the East Vol. V. 1617. Edited by William Foster. London 1901.

Letters Received by the East India Company From its Servants in the East. Vol. VI. 1617. Edited by William Foster. London 1902.

The English Factories in India 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906.

The English Factories in India. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908.

The English Factories in India. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909.

The English Factories in India. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910.

The English Factories in India 1634-1636. By William Foster. Oxford 1911.

The English Factories in India. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912.

The English Factories in India. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913.

The English Factories in India. 1646-1650. By William Foster. Oxford 1914.

The English Factories in India. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915.

The English Factories in India. 1655-1660. By William Foster. Oxford 1921.

The English Factories in India. 1661-1664. By William Foster. Oxford 1923.

The English Factories in India. 1665-1667. By Sir William Foster. Oxford 1925.

The English Factories in India. 1668-1669. By Sir William Foster. Oxford 1927.

The English Factories in India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936.

The English Factories in India. Vol. II. New Series. 1670-1677, By-Sir Charles Fawcett. Oxford 1952.

The English Factories in India. Vol. III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954.

The English Factories in India. Vol. IV. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1955.

Annals of the Honorable East India Company. 3 Volumes - republished - Germany 1968.

Precis Containing Information Regard To the First Connection of the Hon'ble East India Company with Turkish Arabia. Calcutta 1874.

Precis of Various articles, the Produce of Arabia, Persia and India. 1570-1744,

Selections From The Records of the Bombay Government. No. XXIV. New Series. 1856.

Selections From State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, With a Summary of Events. 1600-1800.

The Register of Letters. The First Letter Book of The East India Company. 1600-1619. Edited by Sir Georges Birdwood. Assisted by William Foster London - reprinted - 1965.

PRO: Public Record Office, London.

SP 97: State Papers Foreign Series Turkey, 1577-1779.

FO 78: Foreign Office, General Correspondence, 1780-1905.

CO 77: Colonial Office, East Indies, 1570-1856.

Calendar of State Papers, Foreign Series of the reign of Edward VI. 1547-1553. Preserved in the State Papers Department, Public Record Office. Edited by William B. Turnbull. London. 1861.

Calendar of State Papers, Foreign Series of the reign of Mary 1553-1558. Edited by William B. Turnbull. London 1861.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1558-1559. Edited by Joseph Stevenson. London 1863.

Calendar of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth. 1561-1562. Edited by Joseph Stevenson. London 1866.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1562. Edited by Joseph Stevenson. London 1867.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1563. Edited by Joseph Stevenson. London 1869.

Calendar of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth 1569-71. Edited by Allan James Crosby. London 1874.

Calendar of State Papers. Foreign Series on the reign of Elizabeth. 1572-75. Edited by Allan James Crosby. London 1876.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1575-77. Edited by Allan James Crosby. London 1880.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1577-78. Edited by Arthur John Butler. London 1901.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1578-1579. Edited by Arthur John Butler. London 1903.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1579-1580. Edited by Arthur John Butler. London 1904.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth 1581-1582. Edited by Arthur John Butler. London 1907.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth May-Dec. 1582, Edited by Arthur John Butler London 1909.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Jan.June 1583, Edited by Arthur John Butler and Sophie Crawford Lomas. London 1913

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth July 1583, July 1584. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1914.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Vol. XIX. Aug. 1584 to Aug. 1585. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1916.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth Vol. XX. Sept. 1585 - May 1586. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1921.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. June 1586, to June 1588. Edited by Sophie Crawford Lomas. London 1927.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. Vol. XXIII Jan. 1589 to July 1589. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1950.

Calendar of State Papers, Foreign Series on the reign of Elizabeth. Vol. XXII July-Dec. 1588. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1936.

List and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. I. Aug. 1589- June 1590. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1964.

List and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. II. July 1590- May 1591. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1969.

Lists and Analysis of State Papers, Foreign Series, on the reign of Elizabeth I. Vol. III. June 1591- April 1592. Edited by Richard Bruce Wernham. London 1980.

ثانياً: المراجع العربية

ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد. بغداد، ١٩٦٢.

ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن ابراهيم): رحلة ابن بطوطة (بيروت، ١٩٦٨).

أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢.

أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة ـ فصل العلاقات بين الشرق العربي وأوربا ـ القاهرة، ؟

أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر. بيروت، ١٩٥٧.

أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية ١٧٥٠ ـ ١٨٠٠ ـ نشأة وتطور الكويت والبحرين ـ ترجمة محمد أمين عبدالله. بيروت، ١٩٦٥.

محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة. القاهرة، ١٩٦٨.

أحمد نور الانصاري: النصرة في اخبار البصرة ـ تقرير قدمه القاضي أحمد نور الانصارى في عام ١٢٧٧ هـ إلى منيب باشا والي البصرة. تحقيق يوسف عز الدين، مستل من المجلدين السابع عشر والثامن عشر من مجلة المجمع العراقي. بغداد، ١٩٦٩.

السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي. القاهرة، ١٩٦٨.

الشاطر بصيلى عبد الجليل: الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في

المحيط الهندي وشرق أفريقيا والبحر الأحمر. (المجلة التاريخية المصرية. المجلد الثاني عشر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ص ١٢٩ ـ ١٤٠). القاهرة، ١٩٦٥.

بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. الجزء الأول. الكويت، ١٩٧٨.

بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير ١٥٨٨ ـ ١٦٢٩. بيروت، ١٩٨٠.

بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم. الجزء الأول. القاهرة، ١٩٧٦؟

جمال زكريا قاسم: الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي ـ أصول المشكلة وتطورها ـ (المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون، ١٩٧٣ ص ١٥٣ ـ ٢١١)، القاهرة، ؟

استقرار العرب في ساحل شرق آفريقا (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر، ١٩٦٧ ص ٢٧٧ ـ ٣٤٠) القاهرة، ١٩٦٧.

الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية. القاهرة، ١٩٧٥.

دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١. القاهرة، ١٩٦٨.

مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي ـ، الكويت، ١٩٧٢.

المصادر العربية لتاريخ شرق أفريقيا (المجلة التاريخية المصرية. المجلد الخامس عشر، ١٩٦٩).

حامد البازي: البصرة في الفترة المظلمة. بغداد، ١٩٧٠.

حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي. الجزء الثالث. بيروت، ١٩٦٢ والجزء الرابع، بيروت، ١٩٦٥.

خالد العربي: الخليج العربي في ماضيه وحاضره، بغداد، ١٩٧٢.

خضير نعمان العبيدي: **البحرين من إمارات الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٩.**

زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني، القاهرة، ١٩٦٢).

زين الدين (الفقيه الشيخ): تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، لشبونة، ١٨٩٨.
سالم بن حمود السيابي: إسعاف الاعيان في انساب أهل عمان، (؟، ١٩٦٥).
سعيد بن علي المغيرى: جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار. تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة، ١٩٧٩.
سلطان ناجي: الخلفية التاريخية للاحتلال البريطاني لعدن، (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثاني، نيسان ١٩٧٥، ص ٢٩ - ٤٢) الكويت.
سليم طه التكريتي: الصراع على الخليج العربي، بغداد، ١٩٦٦.
سليمان ابراهيم العسكري: التجارة والملاحة في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٧٢.
سيد نوفل: الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، القاهرة، ١٩٦١.
شاكر خصباك: ابن بطوطة ورحلته. النجف، ١٩٧١.
شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران. بغداد، ١٩٦٦.
صالح محمد العابد: إمارة كعب العربستانية (الفصل السادس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.
دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠. بغداد، ١٩٧٦.
موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي. ١٧٩٨ - ١٨١٠. بغداد، ١٩٧٩.
صبري فارس الهيتي: الخليج العربي - دراسة في الجغرافية السياسية - بغداد، ١٩٧٨.
صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي. القاهرة، ١٩٧٤.
طارق نافع الحمداني: تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٤ نيسان ١٩٨٣، ص ٦٣ - ٧٢).

عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. بيروت، ١٩٧٥.

عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ـ العهد العثماني الأول ـ ١٥٣٤ ـ ١٦٣٨ الجزء الرابع بغداد، ١٩٤٩. والعهد العثماني الثاني ـ ١٦٣٩ ـ ١٧٥٠. الجزء الخامس. بغداد، ١٩٥٣.

عبد الأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦.

المصالح البريطانية في الخليج العربي. ١٧٤٧-١٧٧٨. ترجمة هاشم كاطع لازم. بغداد، ١٩٧٧.

المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي. العدد الثامن سنة ١٩٧٧).

عبد الأمير محمد أمين ومصطفى عبد القادر النجار: دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية. بغداد، ١٩٧٨.

عبد الرزاق الحسني: العراق ـ قديماً وحديثاً ـ صيدا، ١٩٤٨.

عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١.

عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية ـ دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ـ مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤. القاهرة، ١٩٧٤.

المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤. القاهرة، ١٩٦٨.

عبد العزيز عبد الغني ابراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني ـ دراسة في العلاقات التعاهدية ـ بغداد، ١٩٧٨.

علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ـ الرياض، ١٩٨٢.

عبد القادر زلوم: عمان والامارات السبع. بيروت، ١٩٦٣.

عبد الكريم محمود غرابية: مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٩١٨. الجزء الأول. ـ العراق والجزيرة العربية ـ دمشق، ١٩٦٠.

عبدالله الجزائري: نبذة تاريخية عن البحرين. بيروت، ١٩٥٥.

علاء موسى كاظم نورس: الصراع العثماني ـ الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن الثامن عشر. (الفصل الثاني في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.
علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق. بغداد، ١٩٢٧.
مختصر تاريخ البصرة. بغداد، ١٩٢٧.
عماد أحمد الجواهري: الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الثالث عشر. كانون الثاني ١٩٧٨).
قطب الدين محمد بن أحمد الشهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني ـ تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجرى مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر ـ أشرف على طبعه ـ حمد الجاسر ـ لرياض ١٩٦٧.
محمد اسماعيل الندوى: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية. بيروت، ١٩٧٠.
محمد بن خليفة بن حمد النبهان: التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية. بغداد، ١٣٣٢ هـ.
محمد رشيد الفيل: مشكلات الحدود بين إمارات الخليج العربي. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الثامن ـ تشرين الأول ١٩٧٦).
محمد عبد اللطيف البحراوى: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. القاهرة، ١٩٧٩.
محمد بن عبدالله السالمى وناجي عساف: عمان ـ تاريخ يتكلم ـ دمشق ١٩٦٣.
محمد عرابى نخلة: تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣. الكويت، ١٩٨٠.
محمد على الزرقا: عمان ـ قديما وحديثا ـ دمشق، ١٩٥٩؟
محمد متولي: حوض الخليج العربي ـ الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٧٤.

محمد محمود الصياد: الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر (مجلة الدارة العدد الثالث ١٩٧٧).
محمد مرسي عبدالله: أبو ظبي بين الأمس واليوم. أبو ظبي، ١٩٦٩.
امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ ـ ١٨١٨. القاهرة، ١٩٧٨.
محمود بهجت سنان: البحرين ـ درة الخليج العربي ـ بغداد؟ ١٩٦٣.
محمود علي الداود: تأريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الخامس. نيسان ١٩٦٢، ص ٢٥٩ ـ ٢٧١.
تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث، كانون الثاني ١٩٦١).
الخليج العربي والعمل العربي المشترك. بغداد، ١٩٨٠.
العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد لعام ١٩٦٠ ص ١ ـ ٣٠).
العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثاني ـ شباط ١٩٦٠).
محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان. القاهرة، ١٩٦٤.
محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية. ١٨٩٠ ـ ١٩١٤. القاهرة، ١٩٦١.
ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي ـ العدد الثامن، ١٩٧٧).
مصطفى عبد القادر النجار: شركة الهند الشرقية ـ ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي ـ ١٦٠٠ ـ ١٨٥٨. (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. العدد الخامس عشر تموز ١٩٧٨ ص ١٠١ ـ ١١١.
مصطفى عقيل الخطيب: التنافس الدولي في الخليج العربي، ١٦٢٢ ـ ١٦٧٣. (لبنان، ؟).

مهدي جواد حبيب: الصراع العثماني ـ الفارسي وأثره في العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر. (الفصل الثالث في كتاب الـدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.
نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي الرياض، ١٩٨٣.
نور الدين بن عبدالله بن حميد السالمى: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - الجزءان الأول والثاني. القاهرة، ١٩٦١.
ياسين عبد الكريم: اتفاقيات الحدود الشرقية إلى نهاية القرن التاسع عشر (الفصل الخامس في كتاب الحدود الشرقية للوطن العربي. دراسة تاريخية) بغداد، ١٩٨١.

ثالثاً: المراجع المعربة

آداموف، الكسندر: القنصلية الروسية العامة في تبريز ١٩٠٢ ـ التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ ترجمة. نورى عبد البخيت (مجلة الخليج العربي، العدد التاسع سنة ١٩٧٨).

ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها. ترجمة هاشم صالح التكريتي، البصرة، ١٩٨٢.

أوزبران، صالح: الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ ـ ١٥٨١ ترجمة عبد الجبار ناجي. (بغداد،؟)

بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. القاهرة، ١٩٦٢.

بلجريف، جيمس: البحرين. بيروت. ١٩٧١؟

بيرين، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب ـ خمسة قرون من المغامرة والعلم ـ ترجمة قدرى قلعجى بيروت،؟.

حورانى، جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي. ترجمة يعقوب بكر. القاهرة، ١٩٥٨.

روت، رودولف سعيد: سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ ـ ١٨٥٦. ترجمة عبد المجيد حسيب القيسى. البصرة؟ ١٩٨٣.

طوسون، بنلوب: المصادر الارشيفية للدراسات العربية ودراسات الخليج في سجلات وزارة الهند (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الرابع عشر. نيسان، ١٩٧٨).

كيلي، جون: الحدود الشرقية للجزيرة العربية. ترجمة محمد أمين عبدالله. الكويت، ١٩٦٨.

بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ الجزء الأول، ترجمة محمد أمين عبدالله. القاهرة، ١٩٧٩.

لوريمر، ج.ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - الدوحة، ١٩٧٦ (مكتب الترجمة بالقسم الثقافي بديوان حاكم قطر. الدوحة، ١٩٦٨).

هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة. لندن، ؟

ويلسون، أرنولد ت: الخليج العربي - مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين. ترجمة عبد القادر يوسف. الكويت، ؟

رابعاً: المراجع الأجنبية

Printed Sources and Modern Works.

- Abbasi, Muhammad Yusuf. Arabia In The Accounts of The South Asian Travells. *Islamic Studies. Quarterly Journal of the Islamic Research Institute. Vol. XVIII. No. 1. pp. 49-63. Islamabad 1979.*
- Adamiyat, Fereydoun. Bahrein Islands. U.S.A. 1955.
- Aitchison, C.U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. Vol. X. Calcutta 1892.
- Aitchison, C.U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. Vol. XIII. Persian and Afghanistan. Calcutta 1933.
- Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids: 1514-1722. *Sumer, A Journal of Archaeology & History In Iraq. Vol. XXV. Nos. I & II. pp. 99-102.? 1969.*
- Alpers, Edward A. Ivory and Slaves. Gt. Brit. 1975.

-Amin. Abdul Amir. British Interests in the Persian Gulf. Leiden 1967.

- Badger, George Percy. "Translator". History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil-IBN-Razik. From 66-1856. U.S.A. 1963.
- Barbosa, Durate "A Portugese". A Description of the Coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the Sixteenth Century. Translated by Henry E.J. Stanley. U.S.A. 1970.
- Barker, J. Ellis. The Rise and Decline of the Netherlands. London 1906.
- Bausani, Alessandro. The Persians. From the earliest days to the

Twentieth Century. Translated From the Italian by J.B. Donne. New York?

- Belgrave, Sir Charles. Persian Gulf. Past and Present. *Journal of the Royal Central Asian Society. Vol. LV. Part I. pp. 28-31. London,. Feb. 1968.*
- Belgrave, C.D. The Portuguese in the Bahrain Islands, 1521-16092. *Journal of The Royal Central Asian Society Vol. XXII. Part IV. pp. 617-630. Oct. 1935.*
- Belgrave, J.H.D. History of the Bahrain Islands. *Journal of the Royal Asian Society Vol. XXXIX Part I. pp. 57-68. January 1952.*
- Bennett, Thomas Jewell. The Past and Present Connection of England with the Persian Gulf. *Journal of the Society of Arts. Vol. L. pp. 634-652. June 1902.*
- Bent, J. Theodore. The Bahrin Islands, In the Persian Gulf. *Proceedings of the Royal Geographical Society and Monthly Records of Geography. Vol. XII. No. 1. pp. 1-19. London, January 1890.*
- Berg, F.J. the Coast From The Portuguese Invasion. "Zamani A survey of East African History". Chapter VI. pp. 119-141. Edited by B.A. Ogot and J.A. Kieran Kenya 1969.
- Birdwood, Sir George. Report On the Old Records of India Office. London 1891.
- Boxer, C.R. Anglo-Portugese Rivalry in the Persian Gulf: 1615-1635. "Chapeters in Anglo Portuguese Relations" pp. 46-129. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971.
- Boxer, C.R. "Editor" Commentaries of Ruy Freyre De Andrada. Gt. Brit. 1930.
- Boxer, C.R. & De Azevedo, Carlos. Fort Jesus and The Portuguese in Mombasa. 1593-1729. London 1960.
- Bradly - Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf toThe Caspian. Vol. XX. U.S.A. 1910.
- Carswell, John. the Armenians and East - West Trade through Persia in The XVIIth Century. Sociétés. *Et Compagnies de Commerce en Orient Dans L'Ocean Indien.pp. 481-486. Paris 1970.*
- Chaudhuri, K.N. the Trading World of Asia and the English East India Company. 1660-1760. Gt. Brit. 1978.
- Cotton, Sir Evan. East Indiamen. Edited by Sir Charles Fawcett. London?

- Coupland, R. East Africa And Its Invaders Oxford 1938.
- Dames, M. Longworth. The Portuguese and Turks in the ındian Ocean in the Sixteenth Century. *Journal of the Royal Asiatic Cociety. Part I. January 1921.*
- Danvers, F.C. Report On Portuguese Records. London 1892.
- Danvers, F.C. Report on the India Office Records Relating To Persia And The Persian Gulf. London?
- Danvers, F.C. The Portuguese In India. Vol. II. London 1894.
- David, M.D. History of Bombay. 1661-1708. Bombay 1973.
- Davies, D.W. A Primer of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade.? 1961.
- De Andrada, Ruy Freyre. Commentaries. Edited with an introduction by C.R. Boxer. Gt. Brit. 1930.
- De Groot, A.H. The Ottoman Empire And The Dutch Republic. A History of the Earliest Diplomatic Relations. 1610-1630. Leiden, Istanbul 1978.
- Delle Valle, Pietro. Extracts From His Travels. "A General Collection of the Best and Most Interesting Voyages and Travels In All Parts of the World". by John Pinkerton Vol. IX. London 1811.
- De Oliveria Marques, A.H. History of Portugal. Vol. I. New York 1972.
- De Somogyi, Joseph. A Short History of Oriental Trade. Germany 1968.
- Di Varthema, Ludovico. The Travels of Ludocico Di Varthema. A.D. 1503 to 1508. Translated from the original Italian edition of 1510 by John Winter Jones. New York?
- Dunn, Archibald J. British Interests in the Persian Gulf. *Proceedings of the Central Asian Society read Jan. 9, 1907.*
- Edmonds, C.J. the Iraqi - Persian Frontier: 1639-1938. Asian Affairs - *Journal of the Royal Society for Assian Affairs -Formerly the Royal Central Asian Society. Vol. 62. (New Series. Vol. VI) Part II. pp. 147-154. June 1975.*
- Eliot, Sir Charles. The East Africa Protectorate. London 1966.
- Epstein, M. The Early History of The Levant Company. London 1908?
- Faroughy, Abbas. The Bahrein Islands (750-1951). New York 1951.
- Ferrier, R.W. An English View of Persian Trade In 1618. *Journal*

Of The Economic and Social History Of The Orient. Vol. XIX. Part II. pp. 182-214. May 1976.

- Ferrier, R.W. The Armenians and the East India Company in Persia in the Seventeenth and Early Eighteenth Centuries. *The Economic History Review. Second Series. Vol. XXVI. No. 1 pp. 38-70. February 1973.*
- Ferrier, R.W. The European Diplomacy of Shah Abbas I. And The First Persian Embassy to England. IRAN, Journal of the British Institute of Persian Studies Vol. X. pp. 75-92. 1973.
- Foster, Willim. A View of Ormus in 1627. *The Geographical Journal. Vol. IV. No. 2. pp. 160-162. London, Aug. 1894.*
- Foster, Sir William. England's Quest of Eastern Trade. London 1933.
- Foster, Sir William. "Editor". Thomas Herbert, Travels in Persia 1627-1629. New York. 1929.
- Fraser, Lovat. Some Problems of the Persian Gulf. *Proceeding of the Central Asian Society read Jan. 8, 1908, pp. 1-23.*
- Freeman -Grenville, G.S.P. the Coast 1498-1840. "History of East Africa". Edited by Roland Oliver and Gervase Mathew. Vol. I. Oxford 1963.
- Freman - Grenville, G.S.P. The East African Coast. "Select Documents From the First To The Earlier Nineteenth Century". Oxford 1962.
- Geddes, Charless L. An Account of Socotra In The Early Seventeenth Century. *University of Colorado Studies. Series in History. No. 3. pp. 70-77. U.S.A. 1964.*
- Geographical Section Of The Naval Intelligence Division, A Hand Book of Arabia. Vol. I. London?
- Gray, John. History of Zanzibar From The Middle Ages to 1856. London 1962.
- Hall, Lesley A. Factory Records, Persia and Persian Gulf. 1620-1822. India Office Records G/29.
- Hamilton, Alexander. A New Account of the East Indies. 1688-1723. "A General Collection of The Best and Most Interesting Voyages and Travels In all Parts of the World. Digested on A New Plan. By John Pinkerton-Vol. VIII. London 1811.
- Hamilton, C.J. the Trade Relations Between England and India. 1600-1896. Delhi. 1975.
- Havers, G. The Travels of Pietro Della Valle In India. "From the

Old English Translation of 1664". Edited by Edward Grey. 2 Vols. U.S.A. 1892.
- Hawley, Donald. The Trucial States. London 1970.
- Hay, Sir Rupert. The Persian Gulf States. Washington 1959.
- Hikoichi, Yajima. Maritime Activities of the Arab Gulf People And the Indian Ocean World in the 11th and 12th Centuries. *The Arab Gulf. Vol. 8. pp. 9-16? 1977.*
- Historical Section OF The Foreign Office, Persian Gulf. London 1920.
- Hogarth, David George. The Penetration of Arabia. A Record of the Development of Western Knowledge Concerning the Arabian Peninsula. U.S.A. 1904.
- Hopwood, Derek. "Editor" The Arabian Peninsula, Society and Politics. London 1972.
- Hyma, Albert. A History of the Dutch in the Far East. U.S.A. 1953.
- India Office, "Confidential". The Prospects of British Trade in Mesopotamia and the persian Gulf. Delhi, 1917.
- Ingham, Kenneth. A History of East Africa. London. 1962.
- Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History and Its People. Holland. 1967.
- Issawi, Charles. The Decline of Middle Eastern Trade. 1100-1850. "Islam and the Trade of Asia". A colloquium edited by D.S. Richards. London 1970.
- Jones, John Winter. "Tanslator". The Travels of Ludocico Di Varthema. A.D. 1503-1508. From The Original Italian edition of 1510. New York?
- Kelly, J.B. Britain and the Persian Gulf. 1795-1880. Oxford 1968.
- Krusinski, "Father" History of the Late Revolution of Persia - Taken From the Memoirs of Father Krusinski, Procurator of the Jesuits at Ispahan. 2 Vols. London 1740.
- Law, H.D.G. The Romance of the Persian Gulf in the 17th and 18th Centuries. *The Edinburgh Review* Or *Critical Journal. Vol. 246. No. 502. October 1927.*
- Lockhart, Laurence. Persian Cities. London 1960.
- Lockhart, Laurence. The Fall of the Safavi Dvnasty and the Afghan Occupation of Persia. Cambridge 1958.
- Lockhart, Laurence. The Menace of Muscat and Its Consequences in the Late Seventeenth and Early Eighteenth Centuries

The Asiatic Review. Vol. XLIII. No. 152. pp. 363-369. London. Oct. 1946.
- Longrigg, Stephn Hemsley. four Centuries of Modern Iraq. Beirut 1968.
- Lorimer, J.G. GazetterOf The Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 5 vols. Irish University Press. 1970. (New Edition).
- Lybyer, A.H. the Ottoman Turks and the Routes of The Oriental Trade. *The English Historical Review. No. CXX. Vol. XXX. pp. 577-588. Oct. 1915.*
- Malet, A. Precis Containing Information in Regard to the First Connection of the Honourable East India Company.
- McCluer, John. An Account of The Navigation Between India and the Golph of Persia. London 1786.
- Miles, S.B. Note On Pliny's Geography of the East Cost of Arabia. *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, New Series. Vol. X. pp. 157-172. London?*
- Miles, S.B. The Countries and Tribes of the Persian Gulf.? 1966.
- Monshi, Eskandar Beg. History of Shah Abbas the Great. 2 Vols. Translated By Roger M. Savory. U.S.A. 1978.
- Moreland, W.H. The Ships of the Arabian Sea About A.D. 1500. *Journal of the Royal Asiatic Society. Second Quarter. Part II. pp. 173-192. April, 1939.*
- Mukherjee, RamKrishna. The Rise and Fall Of The East India Company. A Sociological Appraisal. Berlin. 1958.
- Naval Intelligence Division, Iraq And The Persian Gulf. London 1944.
- Nyrop, Richard F. Area Handbook for The Persian Gulf States?. 1977.
- Nyrop, Richard F. "Editor" Iran A Country Study. 1978.
- Osgood, Joseph B.F. Notes of Travel "or Recollections of Majunga, Zanzibar, Muscat, Aden, Mocha, and Other Eastern Parts. New York - reprinted - 1972. First published 1854.
- Ozbaran, Salih. A Turkish Report on the Red Sea and the Portuguese in the Indian Ocean. 1525. *"Arabian Studies". IV. pp. 81-88. London 1978.*
- Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese in the Persian Gulf: 1534-1851. *Journal of Asian History. vol. 6. No.* 1 *pp. 45-87.? 1972.*
- Pahlow, Edwin W. Anglo-Dutch Relations: 1671-1672. *Annual*

Report Of The American Historical Association For The Year 1911 Vol. I. pp. 123-127. Washington 1913.
- Pearce, F.B. Zanzibar. New York 1920.
- Phillips, Wendell. Oman, A History? 1967.
- Pitcher, Donaled Edgar. An Historical Geography of the Ottoman Empire - From Earliest Times To The end of The Sixteenth Century - Leiden 1972.
- Prestage, Edgar. Portuguese Expansion Overseas, Its Causes and Results. "Chapters In Anglo-Portuguese Relations". pp. 171-198. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971.
- Ramazani, Rouhollah k. The Persian Gulf, Iran's Role, U.S.A. 1972.
- Rawlinson, H.G. Early Trade Between England and the Levant. *Journal of Indian History. Vol. II. pp. 107-116. 1922-1923.*
- Reusch, Richard. History of East Africa. New York. 1961.
- Ricks, Thomas Millet. Politics and Trade in Southern Iran and the Gulf. 1745-1765. Indiana University, Ph.D. 1975.
- Roelofsz, Meilink. The Earliest Relations Between Persia and Netherlands. *Persica No. VI. pp. 1-50, 1972-1974.*
- Ross, E.G. "Translator". Annals of Oman From Early times to the year 1728 A.D. From an Arabic MS. by Sheykh Sirhan Bin Said Bin Sirhan Bin Muhammad, of the Benu Ali Tribe of Oman,- Keshf-ul-Ghummeh, or Dispeller of Grief - *"Journal of the Asiatic Society of Bengal". Part I. No. 11. pp. 111-196. Calcutta 1874.*
- Saldanha, J.A. Selection From State Papers. 1600-1800.
- Saldanha, J.A. The Portuguese in the Persian Gulf. *The Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society. Vol. XXIII. London 1914.*
- Saleh, Zaki. Mesopotamia (Iraq) 1600-1914. Baghdad 1957.
- Salil-Ibn-Razik. History of the Imamas and Seyyeds of Oman From 66-1856. Translated by George Percy Badger. U.S.A. 1963.
- Sarwar, Ghulam. History of Shah Ismail Safavi. Aligarh 1939.
- Savory, Roger M. A.D. 600-1800. "The Persian Gulf States, A General Survey". pp. 14-40. by Alvinj. Cottrell - General Editor - London 1980.
- Savory, Roger. Iran Under the Safavids. Gt. Brit. 1980.
- Serjeant, R.B. Historical Sketch of the Gulf In the Islamic Era From the Seventh To the Eighteenth Century A.D. *Qatar - Archaeological Report - Excavations 1973. Oxford 1978.*

- Serjeant, R.B. The Portuguese off The South Arabian Coast. Oxford 1963.
- Sherley, Sir Antony. Relation of His Travels Into Persia. pp. 1-139. London 1613.
- Sidi Ali Reis. The Travels and Adventures of The Turkish Admiral: 1553-1556. Translated From The Turkish, with notes by A. Vambery. London 1899.
- Skeet, Ian. Muscat and Oman. The End of An era. London 1974.
- Standish, J.F. British Maritime Policy In The Persian Gulf. pp. 324-354. I.O.L. (T 22623).
- Steensgaard, Niels. The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century - The East India Companies and the Decline of the Caravan Trade. Chicago?
- Stevens, John. The History of Persia. London 1715?
- Stevens, Sir Roger. Robert Sherley: the Unanswered Questions. *IRAN, Journal of the British Institute of Persian Studies. Vol. XVII pp. 115-125. 1979.*
- Stiffe. A.W. The Island of Hormuz. *The Geographical Magazine. Vol. I. April 1894.*
- Stigand, C.H. The Land of Zinj. "Being An Account of British East Africa, its Ancient History and Present Inhabitants". London 1913.
- Strachan, Michael & Penrose, Boies. "Editors". The East India Company Journals of Captain William Keeling And Master Thomas Bonner. 1615-1617. Minneapolis 1971.
- Strandes, Justus. The Portuguese Period in East Africa. Translated From The German by jean f. Wallwork. Edited with Topographical Notes by J.S. Kirkman. Nairobi 1968.
- Stripling, George William Frederic. The Ottoman Turks and The Arabs: 1511-1574. *Illinois Studies in The Social Sciences. Vol. XXVI. No. 4, U.S.A. 1942.*
- Sutton, J.E.G. the East African Coast. Nairobi 1970.
- Sykes, P.M. A History of Persia. 2 Vols. London 1915.
- Tuson, Penelope. Guide To India Office Collection Of British Residency. Records on Kuwait and Persian Gulf region. London 1979.
- Tweedy, Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. England?
- Warden, Francis. Brief Notes Relative To the Province of Oman. Prepared in Aug. 1819.

— Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And The British Empire in the Far East. New York 1965.
— Williamson, James A. A Short History of British Expansion. The Old Colonial Empire. London 1955.
— Wilson, Arnold T. Early Spanish and Portuguese Travellers In Persia. Part II. *The Asiatic Review vol. XXII. - Part I & II. No. 72. Oct. 1926- January 1927.*
— Wilson, Sir Arnold T. some Early Travellers in Persia and The Persian gulf. *Journal Of The Central Asian Society. Vol. XII. Part I. 1925. Reprinted in Germany 1963.*
— Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. "Historical Sketch From the Earliest Timesto the Beginning Of The Twentieth Century.Oxford 1928. - reprinted - 1954.
— Wood, Alfred C. A History of the Levant Company. London 1964. - First Edition 1935 -
— Wright, Arnold. Early English Adventures in the East. London 1917.

الفهارس العامة

لكتاب

دراسات في تاريخ الخليج العربي

الجزء الثاني

١ ـ فهرس الأعلام

حرف الألف ـ الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الأماكن

حرف الألف ـ الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ - فهرس الموضوعات